

جامعة آل البيت

كلية الشريعة

قسم أصول الدين

جهود طه جابر العلواني في الدراسات القرآنية

دراسة تحليلية

**The Efforts of Taha Jabir Al –Alwani in the Quranic studies: an
Analytical study**

إعداد الطالبة

حنان موسى عيسى أبو قدوم

الرقم الجامعي (١٣٢٠١٠٥٠٠٩)

إشراف الأستاذ الدكتور

زياد خليل الدغامين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في التفسير وعلوم القرآن

عمادة الدراسات العليا

جامعة آل البيت

الفصل الصيفي

٢٠١٩/٢٠١٨

تفويض

أنا الطالبة **حنان موسى عيسى أبو قدوم**، الرقم الجامعي (١٣٢٠١٠٥٠٠٩)، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات والمؤسسات والهيئات والأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ:

إقرار

الرقم الجامعي (١٣٢٠١٠٥٠٠٩)

أنا الطالبة حنان موسى عيسى أبو قدوم

الكلية : الشريعة

التخصص: أصول الدين

أقر بالتزامي بقوانين جامعة آل البيت وقراراتها المفعلة المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير عندما أعددت رسالتي بشكل شخصي والموسومة بـ

(جهود طه جابر العلواني في الدراسات القرآنية دراسة تحليلية)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أقر بأن رسالتي الماجستير هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، ووفقاً لذلك فإنني متحمل لكامل المسؤولية فيما لو تبين غير ذلك والقبول بأي قرار يتخذه مجلس العمداء في جامعتي، دون أن أقدم أي تظلم أو اعتراض أو طعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالبة:

التاريخ:

قرار لجنة المناقشة

جهود طه جابر العلواني في الدراسات القرآنية

دراسة تحليلية

The Efforts of Taha Jabir Al –Alwani in the Quranic studies:
an Analytical study

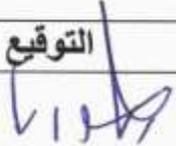
إعداد الطالبة

حنان موسى عيسى أبو قنوم

الرقم الجامعي (١٣٢٠١٠٥٠٠٩)

إشراف الأستاذ الدكتور

زياد خليل الدغامين

التوقيع	أعضاء لجنة المناقشة
	الأستاذ الدكتور زياد خليل الدغامين (مشرفاً ورئيساً)
	الأستاذ الدكتور عماد عبد الكريم الخصاونة (عضواً)
	الأستاذ الدكتور يحيى ضاحي الشطناوي (عضواً خارجياً)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن الكريم في كلية الشريعة في جامعة آل البيت .

نوقشت وأوصي بإجازتها يوم الاثنين ١٨/١٢/١٤٤٠هـ ، الموافق ١٩ / ٨ / ٢٠١٩م

الإهداء

إلى الحياة بأكملها .. إلى أعظم كتاب قرأته في حياتي ..

إلى والدتي الحبيبة رحمها الله تعالى ورفع مقامها في أعلى عليين، ومع سيدات نساء العالمين

إلى من له في عيوني صورة تزهو على كل الصور

إلى والدي الحبيب حفظه الله تعالى

إلى من هو عوني وسندي بعد الله إلى أخي الصابر المبدع، جمال أبو عبد الرحمن

تلك النعمة العظيمة التي أنعم الله بها علي، فأدعو مولاي بأن يحفظه ويعافيه

إلى أخواتي الكريمات الحبيبات، وإخواني الأحبة

إلى رمز التفاؤل والأمل إيمان وموسى

إلى من عاش بالقرآن وللقرآن رجل الأمة ذلك العلم الشامخ طه جابر العلواني - يرحمه الله -

إلى مدير أوقاف بلعما الدكتور سعود المشاقبة حفظه الله وورعاه

إلى الزميلة الرائعة الدكتورة مها الجيلاني، وإلى الباحثة الوفيّة سارة الصغير

إلى صانعي المعروف

الدكتور رائد عكاشة، والدكتور حسن أبوسعدة

إلى كل من له فضل علي، وإلى كل من خصني بالدعاء المتواصل

إليهم جميعاً أهدي جهدي هذا

الباحثة

الشكر والتقدير

الشكر لله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً على ما أولانا به من نعم لا تعد ولا تحصى ،ثم الشكر لإستاذي ومشرفي الدكتور زياد الدغامين، فكلمات الثناء لا توافيك حقك، فأرجو أن تقبل مني هذه الشهادة التي أشهد الله عليها، ونحن لا نزكي على الله أحداً، شهادة منك وسام أخلاق العالم الرباني المتواضع الصابر المتفهم، المتسامح، فقد تحملت مني الكثير، ومع ذلك وسع صدرك لي، وكنت تفتح باب الأمل لي في كل مرة، فلك مني كل الشكر والتقدير، وأدعو الله لك من كل قلبي بأن يحفظكم ويديم عافيتكم وعزكم وعطاءكم.

وكما أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان لأهل العلم أعضاء لجنة المناقشة نجوم الهدى ومصايح الدجى، العلماء الأفاضل الذين تفضلوا بقبول مراجعة هذه الرسالة ومناقشتها، ومساهماتهم في التوجيه، وإثراءها بغزير علمهم، وسداد رأيهم، وهم كل من الدكتور عماد عبد الكريم الخصاونة من صيد العلماء ورائدهم، وكما أتقدم بالشكر للعالم الجليل المبارك الدكتور يحيى ضاحي شطناوي أستاذ التفسير وعلومه في جامعة اليرموك.

وأتقدم بالشكر لأعضاء هيئة التدريس في منارة العقول (كلية الشريعة) في ذلك الصرح العلمي المبارك جامعة آل البيت. ونخص بالذكر الأساتذة الأجلاء في قسم أصول الدين. ولن أنسى أن أتقدم بالشكر والعرفان لأعضاء هيئة التدريس في قسم التفسير وعلومه في كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ولا يزال الشكر موصولاً لكل من مد لي يد العون والمساعدة لإتمام هذا العمل، وأخص بالذكر الأخ الكريم أبو عبد الرحمن، والدكتور الفاضل حسن الدليمي، والأستاذ الفاضل خالد عبد المنعم، والمجتهدة مريم عزت، وأشكر كل من نسيتهم وسيبقون في ذاكرتي. وأقول لكم جميعكم جزاكم الله خيراً " لا يشكر الله من لا يشكر الناس" (١)

(١) الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف: الرياض، ط (١٩٩٥ م)، حديث

فهرس الموضوعات

ب	تفویض
ج	إقرار
هـ	الإهداء
و	الشكر والتقدير
ز	فهرس الموضوعات
ط	الملخص باللغة العربية
١	المقدمة
١	مشكلة الدراسة وأسئلتها
٢	أهداف الدراسة
٢	أهمية الدراسة
٢	الدراسات السابقة
٣	منهج الدراسة
٣	خطة الدراسة
٤	الفصل الاول : ترجمة العلواني وعصره
٤	المبحث الاول: ترجمة العلواني
١٣	المبحث الثاني : عصر الشيخ العلواني
٢٣	الفصل الثاني : المدخل إلى دراسات العلواني القرآنية
٢٣	المبحث الاول: مشروع إسلامية المعرفة
٣٢	المبحث الثاني : محددات المنهجية المعرفية القرآنية (الجمع بين القراءتين)
٣٧	الفصل الثالث : منهج التعامل مع القرآن الكريم، وعلومه
٣٩	المبحث الأول :الوحدة البنائية للقرآن المجيد
٤٥	المبحث الثاني: تفسير القرآن في خطاب العلواني
٥٤	المبحث الثالث : لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب
٦٥	المبحث الرابع : مراجعات في علوم القرآن النسخ
٨٥	المبحث الخامس :مراجعات في علوم القرآن المتشابه
٩٠	الفصل الرابع : منظومة القيم القرآنية العليا
٩١	المبحث الأول : التوحيد
١٠٢	المبحث الثاني : التزكية
١٠٦	المبحث الثالث : العمران
١٠٨	المبحث الرابع : الأمة
١١٤	المبحث الخامس : الدعوة

١١٧	الخاتمة
١١٧	النتائج
١١٨	التوصيات
١١٩	قائمة المراجع
١٢٧	Abstract

جهود طه جابر العلواني في الدراسات القرآنية دراسة تحليلية

إعداد الطالبة

حنان موسى عيسى أبو قدوم

إشراف

الأستاذ الدكتور زياد خليل الدغامين

الملخص باللغة العربية

هدفت دراستي هذه بالحديث عن جهود- أحد أعلام إسلامية المعرفة- في الدراسات القرآنية، وذلك هو العالم الرباني الفقيه المفكر، من عاش بالقرآن وللقرآن هو: (العلامة الشيخ طه جابر العلواني - يرحمه الله -)، حيث قدم العلواني سلسلة من الدراسات القرآنية تستهدف إعادة تقديم القرآن المجيد إلى الأمة المسلمة وإلى البشرية كافة، كتابا هاديا ومبشرا ونذيرا ومخرجا من الفتن ومنقدا من الضلالة في وقت تكاثرت فيه الخطوب وتداعت فيه الأمم على الإسلام والمسلمين، ولا طريق لخلص الإنسانية إلا هذا القرآن، ولا يتم ذلك إلا بإزالة جميع العوائق التي تحول بيننا وبين تدبر القرآن الكريم، لذلك أخذت هذه السلسلة القرآنية بيد القارئ للقرآن إلى تدبره، وفهم معانيه، وإدراك مقاصده، للوصول إلى منهج قويم لحسن التعامل معه والكشف عن كنوزه، وفي ضوء ذلك جاء من توصيات الدراسة، الدعوة بالتوجه نحو تدبر أفضل وسليم للقرآن، والعمل على وضع طرق تربوية لتدريس القرآن الكريم وتعليم مناهج تدبره في سائر برامج إعداد المعلمين والخطباء والدعاة.

المقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى وبعد:

فإن خدمة كتاب الله سبحانه هي من أعظم القربات والعمل به من أعظم ما تتحصل به وسائل السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، وهذه من أعظم النعم، وليس فوقها نعمة، وأمرنا الله سبحانه بالإعتصام بالقرآن والإستمسك به، أمرنا سبحانه بتدبر القرآن الكريم وأن تكون صلتنا بالقرآن الكريم صلة تدبر وتفهم لآياته، وتفكر في معانيه، وعيش في ظلاله وتخلق بأخلاقه قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد: ٢٤).

ولاشك أن العلماء هم ورثة الأنبياء، ومشاعل النور، وهم حماة الإسلام، وهداة الأنام بهم تشاد الأمم وتصنع الأجيال، والأمة التي لا تقوم بواجب النهي عن الفساد، والشروع يلحقها الترف والفساد الكبير، والعلماء هم من يقف على أمن وسلامة ونجاة المجتمع من وحش الفساد والإفساد. وكان لرواد مدرسة اسلامية المعرفة، وأعلامها الاوائل، جهود قيمة منذ التأسيس، هدفت نحو اصلاح أحوال الأمة، الذي لا يتم الا بالانطلاق من القرآن الكريم كمنهج للتغيير والإصلاح.

ومن روادها عالم رباني مفكر فقيه، هو: العلامة الشيخ طه جابر العلواني ألف في كثير من المجالات في الشريعة الاسلامية، وأبرزها انتاجه سلسلة من الدراسات القرآنية تناولها برؤية علمية تجديدية تأصيلية عميقة، وكان باعته على ذلك الوصول الى هدايات القرآن الكريم والتوجه الى القرآن للخلاص من أزمتنا ولا يتم ذلك الا بإزالة جميع العوائق التي تحول بيننا وبين تدبر القرآن الكريم. فكتاب الله فيه النور والهدى يأخذ به المسلم مستمسكا به متدبرا، وكان العلواني رحمه الله من هؤلاء المتدبرين ووضع أسسا وقواعد نورانية للفهم والتدبر والتمسك به والعناية بكتابه الكريم بكل مهارة وحكمة. وحيث رغبت في هذه الدراسة أن أتناول أبرز جهوده في الدراسات القرآنية، تقديرا لجهوده في خدمة القرآن، وابرار للقيمة العلمية لجهوده.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

وعليه فإن الدراسة حاولت الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١- ما المنهجية المعرفية القرآنية، ومحدداتها؟
- ٢- ما آليات التعامل مع القرآن الكريم كأصل أو بتعبير العلواني كمنشئ للاحكام.
- ٣- كيف نوظف المقاصد القرآنية العليا الحاكمة في فهم كتاب الله حق الفهم، وتدبره أحسن التدبير؟ واستلها معانيه وهديه في حل مشكلات النفس والمجتمع والعالم.
- ٤- ما القيمة العلمية لجهود طه جابر العلواني في حقل الدراسات القرآنية؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- ١- إعادة بناء منهج التعامل مع القرآن الكريم.
- ٢- ادامة الصلة بالقرآن الكريم، من خلال تدبره بتمعن وتفكر، للوصول الى أحسن الفهم من مراد الله تعالى.
- ٣- التوجه الى القرآن الكريم لحلّ أزمت الأمة والمجتمع.
- ٤- ابراز القيمة العلمية لجهود العلواني في الدراسات القرآنية.

أهمية الدراسة:

- اثراء المكتبة الاسلامية خاصة القرآنية منها للاسهام في خدمة القرآن الكريم.
- بناء منهجية لتدبر القرآن الكريم، للوصول الى هدايات القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاع الباحث لم يجد دراسة علمية تكاملية تفصيلية تبرز لنا جهود العلواني في الدراسات القرآنية، وإنما تم الوقوف على بعض الدراسات التي هي عبارة عن مقالات موجزة، تناولت التعريف بشخصية العلواني ومؤلفاته، ولعل أجودها وانفعها بحث الدكتور سليمان الدقور، بعنوان (البواعث الفكرية والمنهجية في سلسلة الدراسات القرآنية لطفه جابر العلواني)، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الأردن، (٢٦-١١-٢٠١٢م)، العدد ٧٢، حيث أن الباحث استعرض العلواني في الدراسات القرآنية كخارطة ترسم معالمها الرئيسة عن طريق:

أولاً: "التعريف بسلسلة دراسات العلواني القرآنية.

ثانياً: بيان المعالم المنهجية في دراساته القرآنية.

ثالثاً: تناول المعايير الرئيسة المستنبطة من دراسات العلواني القرآنية .

وخلص الباحث الى أن ثمة أهمية كبيرة في جهود العلواني القرآنية وذلك في الدعوة إلى القيم الكلية، التي تمثلت في: التوجه إلى القرآن الكريم لحلّ أزمت العالم، وإعادة صياغة التفاسير صياغة عمرانية، ومراجعة التراث الإسلامي وتنقيته ممّا علق به من شوائب، والتخلص من عوائق التدبر، وإعداد قاموس قرآني مفاهيمي، وهذه الدراسة وإن اتسمت بالإيجاز ولكنها نافعة فهي بمثابة كشف ينير الطريق لرسم المعالم الرئيسة لنتاج العلواني في الدراسات القرآنية وبيان الباعث على تأليفها، ولكن دراستي هنا مختلفة حيث ساتناول دراسة جهود طه العلواني دراسة تحليلية لإعطاء هذه الدراسة حقها والوصول الى ثمرتها الدراسة.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة للوصول الى أهدافها على المنهج الاستقرائي والتحليلي الاستنباطي وذلك من خلال الاستقراء التام لجهود العلواني في الدراسات القرآنية، ومن ثم تحليل جهود العلواني في دراساته القرآنية، والوقوف على معالم منهجيته المعرفية القرآنية لاستنباط اليات جديدة من اليات التعامل مع القرآن الكريم.

خطة الدراسة:

كانت خطة العمل في الرسالة على الترتيب الآتي:

الفصل الأول : ترجمة العلواني وعصره.

المبحث الأول: ترجمة العلواني .

المبحث الثاني: عصر الشيخ العلواني .

الفصل الثاني :المدخل إلى دراسات العلواني القرآنية.

المبحث الأول : مشروع اسلامية المعرفة.

المبحث الثاني: محددات المنهجية المعرفية القرآنية(الجمع بين القراءتين).

الفصل الثالث :منهج التعامل مع القرآن المجيد ، وعلومه.

المبحث الأول: الوحدة البنائية للقرآن الكريم

المبحث الثاني : تفسير القرآن في خطاب العلواني

المبحث الثالث :لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب

المبحث الرابع :مراجعات في علوم القرآن (النسخ)

المبحث الخامس: مراجعات في علوم القرآن (المتشابه)

الفصل الرابع :منظومة المقاصد القرآنية العليا.

المبحث الأول :التوحيد

المبحث الثاني :التزكية

المبحث الثالث:العُمران

المبحث الرابع :الأمة

المبحث الخامس :الدعوة

ومن ثم الخاتمة وتصمنت: (النتائج : القيمة العلمية لجهود العلواني في حقل الدراسات القرآنية) والتوصيات).

الفصل الاول

ترجمة العلواني وعصره

المبحث الاول: ترجمة العلواني

المطلب الاول: اسمه ونسبه ونشأته وعقيدته وأخلاقه ووفاته:

أولاً: اسمه ونسبه ووفاته:

هو طه جابر فياض العلواني أصله من بلاد الرافدين من العراق. ولد سنة: ١٣٥٤ - ١٩٣٥ وتوفي- يرحمه الله - في الرابع من شهر آذار لعام ١٤٣٧-٢٠١٦.

ثانياً: نشأته :

ولد ونشأ الشيخ العلواني في مدينة صغيرة تقع على شاطئ الفرات جنوب غربي العراق في مدينة الفلوجة، ونشأ في تلك البيئة العربية المؤمنة المسلمة في أسرة ملتزمة بدينها صالحة، تحرص على التّعلم، وتنشئة ابنائها تنشئة إيمانية، فأخذ العلواني يتعلم كتاب الله قراءة وحفظاً في الكتاتيب (المُلا)، ثم القراءة والكتابة والحساب، ثم تلقى التعليم في المدرسة المحلقة بالمسجد.....، وعين إماماً وخطيباً لجامع الحاجة حسبية الباجة جي في بغداد عام ١٩٥٣، ثم أكمل دراسته إلى أن حصل على درجة الدكتوراة من قلعة العلم والتراث في الأزهر الشريف. (١)

ثالثاً: عقيدته :

ينتمي الشيخ العلواني إلى أهل السنة وهذا ما صرح به الشيخ نفسه قائلاً: "عند قدومه من مدينة الفلوجة إلى بغداد بالأخص منطقة الكرادة الشرقية يقول: للمرة الأولى أجد نفسي في احتكاك مباشر مع غير السنة العرب الذين أنتمي إليهم" (٢)، "ويعتق المذهب الشافعي مذهباً ومنهجاً، ومن حبه للإمام الشافعي يذكر اسمه مقروناً برضي الله تعالى عنه". (٣)

(١) انظر ، العلواني، طه جابر، حلقة من حلقات عمود العلواني، السيرة الذاتية، مقالة صوتية، انظر ايضاً، العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد، ص ١٠

(٢) العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق، منتدى المعارف: بيروت، ط ١، (٢٠١٦)، ج ١، ص ٥٢.

(٣) فرحات ،اسلام ،العلواني (مصارع في حلبة التراث)، مارس ،(٢٠١٦)

ولعل أهم درس استفاده العلواني من شافعيته هو: حركية الفكر، وهي تلك المعانقه التي لا تنتهي بين أسئلة المفكر والفقيه وتغيرات الواقع، فتتحرر الذهنية مع تلك الأسئلة من أسر التقليد إلى براح التجديد.

رابعاً: أخلاقه:

العلواني ذلك العالم الجليل إمام التجديد والفكر، ورجل الأمة، والذي سطر قبيل وفاته بأيام - يرحمه الله- "أنا مسلم .. أنا مسلم"، وكم كانت تعني له هذه الكلمة، كأنها مفهوم يحمل في طياته جملة من المفاهيم تمثل أخلاق ذلك العالم الرباني القدير، وتكشف عن الجوانب المشرقة في شخصيته وحياته العلمية والعملية، حيث يقول العلواني: "أنا مسلم" "أقدس العدل، وأمجد الحرية، وأكرم الإنسان، وأرفق بالضعيف، وأذكرّ القويّ بالذي هو أقوى منه، أحب الخير، وأدعو إلى البرّ، وأرفض الشرّ، وأحب الرفق، وأتشببت بالهدى، وأصون الحق، وأحارب الباطل، وأريد الإصلاح ما استطعت" وقد تحدثت منى أبو الفضل^(٣) عن زوجها العلواني بما يليق به، ووصفت أخلاقه وعلمه وشخصيته، قائلة: "محب لله ورسوله وآل البيت: وهب حياته لخدمة القرآن الكريم وجمع كلمة الأمة: لا أتردد في وصفه بأنه من مجددي الدين في عصره، مربّي أجيال من موقع القدوة والعطاء والعلم الغزير والمتجدد دائماً، واسع الأفق ولديه قابلية عالية للتعلم ولنفع الآخرين بما تعلم، فيه تواضع العلماء على أفضل ما يكونن لا يستتف عن إعطاء كل ذي حق حقه^(٤).

(٣) منى عبد المنعم أبو الفضل من مواليد القاهرة وهي صاحبة مدرسة فكرية في المنظور الحضاري الإسلامي للعلوم السياسية والعلوم الاجتماعية. تخرجت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة عام ١٩٦٦، وحصلت على الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لندن عام ١٩٧٥، وعملت وأستاذاً زائراً بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن من ١٩٨٦-١٩٩٥، وأستاذاً زائراً في جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بواشنطن والتي شاركت في وضع برامجها التأسيسية من ١٩٩٥-٢٠٠٨، والتحققت بهيئة التدريس بجامعة القاهرة منذ عام ١٩٧٦. كما شاركت في العديد من المؤتمرات العربية والدولية، عبدالله، حسان، (٢٠١٧). الأمة القطب (منى أبو الفضل)، IslamOnline، وتعتبر منى أبو الفضل أول من أصل لمفهوم الأمة القطب، واستعمله في المحيط العربي، وهي تطلقه وتريد به الأمة العربية وعمقها الإسلامي.

(٤) ولا أن يعترف بفضل من تعلم منه ولو حرفاً، حتى ولو كانت امرأة أو زوجة أو ابنة أو أم فاضلة، بعيداً عن الغرور والغطرسة والاعتداد بالنفس، والأنانية، على قدر كبير من الزهد في حياته الخاصة، كريم في بيته ومحياه، زوج وفي محب، وأب وجد ودود ومعطاء للأهل وغير الأهل، له حضور وهيبه أينما حل، حلو المجلس، فيه من دماثة خلق مع روح من الفكاهة والدعابة اللطيفة ما يخفف بها عن ألم كل ذي وحشة أو مكربة، لبق في التعامل مع أطراف البشر، وصنوف المواقف، حمول صبور على الأذى، استطاع أن يقهر المرض واليأس بيقين ورجاء، لئلا ينقطع إلى جانب ما أفاض الله به عليه من العلم، فهو على درجة عالية من الحكمة والرشاد والسؤدد في الرأي والمشورة، يخشى الله تعالى ويتقيه في أماناته، ولا يخشى الناس وألسنتهم وسهامهم العاتبة والجارحة، وإنما يتوخى مرضاة الله في المسلك والمخير. <https://alwani.org>

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه : للعلواني مشايخ كثر ، ولكل شيخ من السمات والصفات ما يتميز به عن الآخر ونذكر من شيوخه:

١- الشيخ عبد العزيز بن سالم السامرائي:

هو: شيخ علماء الأنبار في غرب العراق ولد في سامراء في ١٩١٧ وتوفي سنة ١٩٧٣. مذهبه حنفي، إمام وخطيب جامع الفلوجة الكبير، لازم الشيخ السامرائي مدرسته ملازمة دائمة من صلاة الفجر حتى ما بعد صلاة العشاء معتنيا بطلابه يدرسه ويهدب سلوكهم وكان من حبه لطلابه يقول: "لم يعيش لي ولد ولكن الله عوضني بطلبة العلم فإني أشعر كأنهم أولادي"^(١).

تخرج على يديه جيل من شيوخ العلم الشرعي إذ يعد غالب علماء الأنبار الكبار من طلابه ومن البارزين منهم الدكتور أحمد عبيد الكبيسي، والدكتور طه جابر العلواني وغيرهم". ومن بعض مؤلفاته: الأخلاق المحمدية والعقائد الإسلامية وغير ذلك^(٢).

٢: الشيخ أمجد الزهاوي:

"أمجد الزهاوي رئيس رابطة علماء العراق، ابن الإمام محمد فيضي الزهاوي. ولد أمجد في بغداد عام ١٣٠٠هـ، الموافق عام ١٨٨٢، وبها نشأ وتعلم القرآن ودرس على يد أبيه، وعلى يد علماء عصره، وتخرج في كلية الحقوق ومعهد القضاء العالي بإستانبول عام ١٩٠٦، وأنيبت به وظيفة حاكم في محاكم العراق، كما انتخب رئيساً لمؤتمر العالم الإسلامي بالإجماع"^(٣).

وصف الشيخ العلواني شيخه الزهاوي "قائلاً: تشرفت أني تتلمذت على يد، إمام العراق بلا منازع شيخ الإسلام والمسلمين أمجد بن محمد سعيد الزهاوي الذي كان قمة في علمه وفي تقواه وورعه، فشيخي الزهاوي كان عالم أمة، يحب الأمة الإسلامية كلها إلى درجة العشق، لا يفرق بين طائفة وأخرى ولا بين قومية وأخرى، يؤرقه أي شيء يصيب مسلماً أو مسلمة في أية ناحية من نواحي الأرض"^(٤)، ووصفه الإمام الشهيد حسن البناء، حيث قال: إذا أردت أن تنظر إلى وجه رجل من صحابة رسول الله ﷺ فانظر إلى وجه الشيخ أمجد الزهاوي.

(١) العلواني، حلقة عمود العلواني: السيرة الذاتية.

(٢) عبد العزيز السامرائي، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(٣) عمر، شاعر سعيد، مؤتمر الشيخ أمجد الزهاوي (٢٠١٣، ٣، ١٤)، مطبعة شفان، العراق، ط١، (٢٠١٤) ص ٣٦، بتصرف.

(٤) العلواني، حلقة عمود العلواني، الإمام الزهاوي، موقع أكاديمية العلواني .

٣ - عبد الغني عبد الخالق:

"هو أبو الكمال عبد الغني بن محمد عبد الخالق بن حسن بن مصطفى المصري القاهري مولدا ونشأة ووفاة. ولد رحمه الله في عام ١٩٠٨ في القاهرة وتوفاه الله في عام ١٩٨٣، أسرة شيخنا - غفر الله له- أسرة علم وفضل ودين، فوالده أحد كبار علماء الأزهر، حفظ القرآن الكريم في صغره والتحق بمعاهد الأزهر الشريف، وحصل على درجة (الدكتوراه) في أصول الفقه عام ١٩٤٠ وموضوع رسالته "حجية السنة".

وعمل -رحمه الله- فور تخرجه من تخصص المادة بكلية الشريعة الإسلامية بالجامع الأزهر الشريف، ثم بجامعة الأزهر - حديثا- حتى صار أستاذا ورئيسا لقسم أصول الفقه بها، وتخرجت منه أجيال من العلماء الأجلاء، ومن أهم أعماله : حجية السنة، تحقيق كتاب أحكام القرآن للشافعي، تحقيق كتاب الطب النبوي لآين قيم الجوزية، وغير ذلك.

ثانياً: تلاميذه:

للعواني تلاميذ كثر في شتى بقاع الأرض ، من يحملون فكره، ومنهجهم، ولعله من النعم العظيمة أن يكون ابناؤه هم من بين هؤلاء التلاميذ، لذلك اقتصرنا بالحديث هنا عن أقرب تلاميذه إليه وهي ابنته زينب.

- زينب طه جابر العلواني :

من مواليد بغداد عام ١٩٦٢م حصلت على الدكتوراة في الدراسات الإسلامية من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام ٢٠٠٩م، وحصلت على الماجستير في الدراسات الإسلامية والاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٨م وعملت أستاذة للدراسات العربية والإسلامية في عدد من الجامعات الأمريكية، منها جامعة جونز هابكنز وكلية شمال فرجينيا، وعضوة في المجلس الفقهي للولايات المتحدة الأمريكية، وفي عدد من الجمعيات والمؤسسات العلمية والفكرية والاجتماعية، وتعمل حالياً أستاذة مساعداً في الدراسات الإسلامية في جامعة هاورد، في واشنطن، ونشر لها عدد من الكتب والمقالات العلمية المحكمة باللغتين العربية والإنجليزية.

تقول ابنة الشيخ العلواني (زينب) أبي وشيخي " فما أسعد الإنسان حين يحظى بمعاشرة وصحبة الأخيار من العلماء خاصة إذا كانوا آباءً أو أجداداً أو شيوخاً أو أصحاباً، وعيت في هذه الدنيا على صوت أبي يخطب كل جمعة بصوته الجهوري في جامع الحاجة حسبية في بغداد. سمعته يُذَكِّر بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، مخاطباً العقول والقلوب بأسلوب واضح وبلغ، قاصداً تحريك الهمم وتشجيع الناس على إقامة العدل ونشر الرحمة، ورفع الظلم والطغيان"

وتتحدث ابنته عن أسلوب والدها في غرس حب العلم وطلبه في نفوس ابنائه منذ الصغر وتقول :
"فعلى الرغم من غيابه عنا سنوات الطفولة، إلا أنه كان يرسل لنا قصصًا متنوعة عن سيرة المصطفى
صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وأذكر أنني من حبي وشوقي لأبي كنت أقضي النهار
والليل أقرأ وأعيد قراءة تلك القصص، وكأنها كانت حبل الوصال بيني وبينه، حتى حفظتها وبدأت
أعلمها لرفيقاتي في المدرسة. وعندما ألتقينا به وأنا في المرحلة المتوسطة بدأ بتحفيظي وأخوتي القرآن
الكريم، بل كانت ثقته بنا أكبر وأمله بنا أوسع، حيث فسح لنا المجال بأن نساعدته في تخريج بعض
الآيات والأحاديث حين كان يستكمل دراسة وتحقيق الأجزاء الأخيرة من كتاب المحصول في علم
أصول الفقه للإمام الفخر الرازي. وكان شديد الحرص على تعليمنا الدقة في نقل العلم، والتأكد من
صحة نسبة الأقوال لأصحابها، وما تعلمناه في تلك المرحلة هو: أن العلم نور، ولا يكون علمًا نافعًا
ما لم يكن خالصًا لوجه الله تعالى" (١)

وتذكر ابنة العلواني الكثير عن صفات والدها ومناقبه التي تركت أثرًا نافعًا قد انعكس على شخصية
ابنائها، وبقية طلابه ومن هذه الصفات والسمات تقول : " رأيناها صابرة على طلب العلم
وتعليمه، صابرة في طلب الرزق الحلال ، صابرة وشجاعًا في تحقيق مشروعاته الطموحة في خدمة
دينه وأمته بكل عزة وكرامة، و لقد تفانى أبي في حب الناس وتواضع لهم، ولم يقتصر حبه وجنانه
وإخلاصه على أولاده فحسب، بل وسع طلابه وأصحابه وأقاربه وكل من عمل معه وله، فكم رأيت
يسامح ويعفو عن من ظلمه، وكم رأيت يبكي بحرقة صديق أو صاحب اشتد بلاؤه، وكم رأيت ينصح
ويوجه بحكمة شباب ضلوا الطريق، ويخفف عن آباء فقدوا الأمل وقصدوه ناشدين حكمته الأبوية
ومساعدته في محادثة أبنائهم. وهكذا كان أبي خير قدوة وأسوة لأولاده وأحفاده وطلابه في حب الله
ور سوله وأمته وفي حرصه على مواصلة العطاء بكل أشكاله مهما ضاقت السبل، وأحاطت بالأمّة
النوازل، ولإتته علمنا أن خير كنوز الأمّة أبنائها وعلمائها المخلصون، الذين لا تأخذهم في الله لومة
لائم على أي أرض وتحت أي سماء كانوا، فهم أتباع محمد صلى الله عليه وسلم وأبناء أمته. (٢)

(١) العلواني، موقع اكااديمية العلواني (ارشيف العلواني)، المرجع نفسه

(٢) العلواني، موقع اكااديمية العلواني (ارشيف العلواني)، المرجع السابق

المطلب الثالث :مكانته العلمية ومصنفاته:

"حصل على "شهادة المدرسة الأصفية الدينية (المعهد الديني) في الفلوجة، العراق، ١٩٥٢، وشهادة الثانوية الأزهرية، القاهرة، ١٩٥٣، وحصل على "شهادة الليسانس، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، ١٩٥٩، وشهادة الماجستير، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، ١٩٦٨، وشهادة الدكتوراة، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، ١٩٧٣ بمرتبة الشرف الأولى"^(١). ومن خبراته العلمية : "الخطابة والإمامة والتدريس بـغداد من سنة ١٩٥٢ وحتى سنة ١٩٦١، وأستاذ الفقه والأصول كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود من سنة ١٩٧٩ وحتى، ورئيس تحرير مجلة إسلامية المعرفة، الصادرة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي (هيرندن - فيرجينيا) من سنة ١٩٨٥ وحتى ١٩٩٧، ورئيس جامعة قرطبة، فيرجينيا من ١٩٩٦، وتولى عمادتها من عام ١٩٩٦ حتى العام ٢٠٠٣ حين قرّر العودة إلى الوطن العربي ونقل نشاطه العلمي فيه، فأسس في المغرب دار القرآن^(٢)، ثم استقرّ في القاهرة منذ نهاية ٢٠٠٦ إلى قبيل وفاته -يرحمه الله -.

وترأس عضوية مؤسسات علمية كثيرة أذكر منها بإيجاز:

- "استاذًا زائرا لجامعة القاضي عياض، مراكش المغرب.
- استاذًا زائرا لجامعة ستراسبورج"، فرنسا.
- مؤسسًا وعضو مجلس أمناء المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا.
- حاصلًا على جائزة مؤسسة (كبير -CAIR) لأفضل إنجاز في خدمة العمل الإسلامي في أمريكا، واشنطن نو فمبر ٢٠٠٥.
- "عضو المجلس الملكي لبحوث الحضارة (مؤسسة آل البيت -الأردن).
- عضو اللجنة التنفيذية لمجمع التقريب بين المذاهب مع المشاركة في دورات ومؤتمرات عديدة للمجمع في طهران وعمان والأردن"^(٣).

وللشيخ العلواني الكثير من المؤلفات والأبحاث والمحاضرات والندوات الإسلامية الفكرية والفقهية، واعتبر مكتبة متنقلة، وقد حظيت بعض دراساته بإعجاب القراء، والدارسين، في حين أن هناك من وجه النقد إليها، واعتبر بعضها خروجًا عن الثوابت الإسلامية.

(١) العلواني، معالم في المنهج القرآني، حوار مع الاستاذ الدكتور طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العراق، ط ١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص ١٠.

(٢) العلواني، معالم في المنهج القرآني، المرجع السابق، ص ١١.

(٣) العلواني، معالم في المنهج القرآني، المرجع نفسه، ص ١٠.

فقد اهتم الشيخ بالقضايا الفقهية والأصول التقليدية، وإذا أردنا أن نقف عند أهم ما قدمه الشيخ في القضايا الفقهية: هو تحقيق المحصول في علم أصول الفقه^(١) وذكر العلواني في مقدمة التحقيق: يعد المحصول في علم أصول الفقه: الجامع لمزايا الكتب الأصولية السابقة، المجرّد عن جميع المآخذ التي أخذت عليها، وإضافة إلى ذلك ما تمتع به الإمام الرازي من علمه الغزير ودقته في التعبير وحسن الأسلوب، وسلاسة العبارة ما جعل "المحصول" مطمح آمال طلاب "أصول الفقه" ومعقد رجائهم، فأقبلوا عليه، واستغنوا به عما سبقه^(٢).

وفي ضوء اهتمام العلواني بفكرة إسلامية المعرفة، والدعوة إلى التجديد، وحيث قدم بعض الأفكار التي طورها فيما بعد، وهذه المرحلة هي التي تزامنت مع تجربته في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وتمثلها الأعمال الآتية: أصول الفقه: منهج بحث ومعرفة، ١٩٨٨، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات ١٩٩١، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم ١٩٩٦. (٤)

وقدم العلواني سلسلة في الدراسات القرآنية التي تنتظم في مشروعه الطامح إلى نقد التراث بمعيارية القرآن الكريم. تمثلت في الأعمال الآتية:

لا إكراه في الدين، ٢٠٠٦، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، ٢٠٠٦، لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، ٢٠٠٦، نحو موقف قرآني من النسخ، ٢٠٠٧، نحو موقف قرآني من المحكم والمتشابه، ٢٠١٠، أفلا يتدبرون القرآن، ٢٠١٠، الجمع بين القراءتين، تفسير سورة الأنعام، ٢٠١٢، و حوار مع القرآن تجربة ذاتية ودعوة للتدبر ٢٠١٤، وهناك مقالات منشورة وغير منشورة قدمها العلواني في الدراسات القرآنية منها تدبر سورة الفاتحة، من التفسير إلى القرآن، مداخل مراجعة القرآن الكريم، التدبر وسيلتنا لفهم القرآن الكريم.

(٢) (المحصول في علم أصول الفقه للإمام الرازي) دراسة وتحقيق، العلواني، هي رسالة نال بها العلواني درجة الدكتوراة من الأزهر بمرتبة الشرف، ووصفها مفتي الديار العراقية بأنها مفخرة من مفاخر الأزهر، وكان لهذه الرسالة العلمية شأنها وقيمتها في خدمة العلم وطلابه. حلقة تلفزيونية: (قناة الشرقية العراقية) تأبين الراحل طه جابر العلواني

(٣) الإمام الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، ص ٢٨.

(٤) جعفر، خديجة، المراحل الفكرية للشيخ طه جابر العلواني، صحيفة الحياة، (٢٠١٦) بتصرف.

ما لفت نظري **تقديم العلواني** لكثير من مؤلفات العلماء، فقدّم لكتاب شيخه عبد الغني عبد الخالق حجّية السنّة^(١)، وتقديمه لكتاب منهجية القرآن المعرفية^(٢)، وتقديمه لكتاب حوارات الشيخ الغزالي^(٣)، وتقديمه لكتاب دعوى النسخ في ضوء واقعية الخطاب القرآني^(٤)، وتقديمه لكتاب الأسرة في مقاصد الشريعة^(٥)، وغير ذلك. وهذا التكليف المناط إلى الشيخ العلواني له دلالاته بين العلماء من حيث تميز الشيخ العلواني، وسعة علمه، وثقة العلماء به واعترافهم له بفضلهم وقدره، والشيخ العلواني تميز بمكانة علمية مرموقة، شهد له بها القاصي والداني، وقد تحققت هدى المكانة بفضل الله تعالى، ثم بتفوقه العلمي، ونبوغته، وسعة علمه، وتعرف عليه المسلمون من خلال المناصب المشرفة التي ترأسها والتي تنبئ عن ثقة الأمة به، ومن خلال مصنّفاته القيمة التي خدمت الأمة، فاستحق الثناء والتقدير والمحبة والذكر الحسن من الجميع في حياته وبعد مماته.

(١) حجّية السنّة، لشيخه عبد الغني عبد الخالق: تحدّثت عنه سابقاً ذكر العلواني في المقدمة: وإن قد كلفت بتقديم المقدمة للكتاب، إلا أنه لعزير علي أن أقدم لاهم آثار شيخه أبي الكمال..... بعد أن غيب الثرى عنا وجهه السّمح، وحرماناً من غزير علمه...، فإن شيخه لا يقدم له مثلي. ولا يعرف به مثل نفسه. المرجع السابق، ص ٥.

(٢) منهجية القرآن المعرفية، محمد أبو القاسم حاج حمد، قدم للكتاب الشيخ العلواني بمقدمة فيها من الاستطراد، وذكر بأنها دراسة مختصة بقضايا المنهجية القرآنية بطريقة فلسفية في أبعادها ومراميتها وطرائق تناولها لما تناولته، محمد حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، دار الهادي، بيروت، ط ١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ص ٥-٦.

(٣) حوارات الشيخ الغزالي، السيرة والمسيرة، فيقول العلواني في التقديم للكتاب أنني وجدت في الإمام الغزالي ما وجدته في الإمام الشيخ أمجد الزهاوي، وشيخنا الإمام: عبد العزيز بن باز، وأن كلا منهم كان رجل أمة ورجلاً بأمة، ولكل منهم خصائصه ومزاياه. العلواني، حوارات الشيخ الغزالي، دار السلام، القاهرة ط ١. (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)

(٤) دعوى النسخ في القرآن الكريم في ضوء واقعية الخطاب القرآني، الدكتور زياد الدغامين، يتحدث العلواني أن المؤلف عالج قضية النسخ من زاوية محددة في ضوء ما أسماه بواقعية الخطاب القرآني، وهذه الدراسة كمرجعيات لعلوم التراث هي لبنة جديدة، ومع من سبقها من الدراسات، كقيلة بعدم تقديم قضايا النسخ كما كانت تقدم، وأنها علما من علوم القرآن ومعارفه الثابتة. الدغامين، دعوى النسخ في القرآن الكريم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ط ١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص ٩-١٠.

(٥) الأسرة في مقاصد الشريعة، قراءة في قضايا الزواج والطلاق في أمريكا للدكتورة زينب طه العلواني: ابنة الشيخ طه جابر العلواني - يرحمه الله -، فيقول العلواني في تقديمه للكتاب: ليس من السهل على المرء أن يقدم كتاباً لابنته وتلميذته، لكن أخي الدكتور جمال البرزنجي - نائب رئيس المعهد - كلّفني هذا التصدير فلم أجد للإعتذار سبيلاً، وفي التقديم اثني الأب على ابنته زينب، وبين أنها منذ صغرها، تتطلع بشغف عجيب إلى سائر أنواع المعرفة، وكانت تتميز بقدرة فائقة على الاستيعاب والنقد والتحليل، واختارت أن تتخصص في الدراسات الإسلامية، زينب العلواني، الأسرة في مقاصد الشريعة، فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١، (٢٠١٣م، ١٤٣٤م)، ص ١١.

فقال عنه شيخه يوسف القرضاوي "كان الفقيه العلواني - رحمه الله - مثالا للعالم المخلص لأتمته وقضاياها، وحمل هم الأمة في واحدة من أبرز قضاياها المعاصرة فيما اصطلح عليه بـ (إسلامية المعرفة)، وله جهود مشكورة في خدمة العلم وطلابه، وكان يقدم الدروس والحلقات والدورات التدريبية الشرعية في منزله، على الرغم من المرض الذي أقعده المقعد في السنوات الأخيرة"^(١) وقال عنه مفتي الديار العراقية رافع الرفاعي: "الدكتور- يرحمه الله - علم من أعلام الإسلام، ومفخرة للعراقيين جميعا، ورسالته الدكتوراة مفخرة من مفاخر الأزهر، وما رأيت أحدا أعلم بمنهج الإمام الرازي في الفقه مثل الدكتور طه جابر، وما رأيت أحدا أكثر فهما في السياسة الشرعية من هذا الرجل"^(٢).

وقال عنه هشام الطالب رفيق دربه العلواني: "عمود من أهم ركائز الفكر الإسلامي بديار الغرب والعالم الإسلامي، يتميز برؤيا شاملة، فكره المعتدل، طرحه المعتدل، وقراءته الوسطية للدين الإسلامي"

وقال جاسر عودة عن وفاته: "أصيب اليوم هذه الأمة المسكينة في أحد أعلام الإسلام وأئتمته وعلماء هذا العصر. توفي شيخي وأستاذي الدكتور طه جابر العلواني. إلى رحمة الله تستريح يا شيخنا - وهو ما نرجوه من رب كريم:

وتقول الدكتورة رقية ابنة الشيخ العلواني في السبب وراء إنتاجها العلمي الغزير المتسم بالعمق والتأصيل: "أخذت عن الوالد حب القراءة والاهتمام الواسع بالعلم، وساعدني وجود المكتبة العلمية الغزيرة، واهتمام الوالد بالكتب، وبتوجيهي إلى الدراسات المتعمقة التي تجمع بين دراسة الواقع متمثلاً في الدراسات الإنسانية والعلوم الشرعية".

قال عنه زميله الدكتور فتحي ملكاوي: "من أبرز ما عرفته فيه طيلة صلتني الوثيقة به منذ عام ١٩٧٩ حرصه على التعليم والتعلم، ففي مجال التعليم لم ينقطع عن تقديم الدروس والحلقات والدورات التدريبية الشرعية في منزله، على الرغم من مرضه المقعد في السنوات الأخيرة وفي مجال التعلم، فإنه يحب أن يعرف نفسه بأنه طالب علم، يرغب ألا يقف في علمه وفكره على تخصص محدد، ويحرص على أية مناسبة تتاح له ليزداد علماً، سواء في قراءاته أو مناقشاته أو زيارته أو في مجالس العلم التي يعقدها فكان دائم النمو والتطوير في صياغة أفكاره وتوضيحها وإعادة النظر فيها، من خلال مرجعية ثابتة تنهل من القرآن الكريم بوصفه المصدر المنشئ للعلم والفكر، ومن السنة النبوية الشريفة بوصفها المصدر المبين للقرآن الكريم"

(١) القرضاوي، يوسف، في وداع الاعلام،الدار الشامية: تركيا،ص ٧٩٨

(٢) حلقة تلفزيونية،حفل تأبين الشيخ الراحل طه جابر العلواني، العراق،قناة الشرقية بتاريخ،٢٠١٦،٣،٦

المبحث الثاني : عصر الشيخ العلواني

ساقطصرفي حديثي عن عصر الشيخ بالحديث عن جانبين من جوانب الحياة في الفترة التي عاشها الشيخ العلواني، وهما الحياة السياسية، والحياة العلمية، والوقوف عند تلك الجوانب وغيرها تحتم أن يكون لها صدى وانعكاسات على من يعيش في تلك الفترة سواء تأثراً بها أم تأثيراً فيها. والمتتبع لحياة الشيخ العلواني يتبين له أهمية تلك الجوانب في حياته التي انعكست على شخصيته وفكره.

المطلب الأول: الحياة السياسية ومؤثراتها على فكر الشيخ العلواني:

يرى العلواني أنه صاحب تجربة في العمل السياسي جديرة بأن تسلكه في عداد الشاهدين على العصر. وهو لا يسجلها من باب الشعور بأهميته الشخصية، بل بصفة أن الشهادة أمانة يجب أداؤها للأجيال الطالعة الحائرة. فلقد ثابر على العزوف عن المناصب السياسية داخل العراق وخارجها طوال حياته. وما دفعه للكتابة هو استفزاز ما كتبه آخرون له، بما في طروحاتهم من شوائب، مما ضاعف من مسؤولية الكلمة ومن ضرورة توصيلها إلى من يستحقها في ظل تردي حال أمتنا الراهن الذي كثر فيه الهدم وقل البناء. ومن المفاتيح المهمة لفهم شخصية العلواني ملاحظة أنه قدم الدروس المستفادة من تجربته السياسية ومواقفه إزاء القضايا السياسية على سيرته الشخصية وتجربته العملية والفكرية منذ اعتزاله العمل السياسي. فهو يفكر من منطلق الأمة وليس الدولة ولا الهويات الجزئية بوجه عام وفي رصده لعلاقته بالسياسة، يبين أنه بدأ بموقف المشاهد والمراقب عن بعد والمحلل، ثم موقف المشارك، لينتهي إلى اعتزال العمل السياسي^(١). وقد قسمت تجربته السياسية إلى ثلاث مراحل نبدأها :

(١) العلواني، أيام حياتي بين النيل والرافدين والبوتوماك، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة) (٢٠١٢)، ج. ١، ص: ١-٥.

فما يسجله العلواني للنظام الملكي بالعراق أنه: "كان حريصاً على تحقيق وحدة وطنية وثقافية بين المواطنين تجعل الانتماء الخاص تابعاً للانتماء العام للأمة بل نجح العهد الملكي في التغطية على الاتجاهات الطائفية والعنصرية والمذهبية، إلا أنه لم ينجح في إيجاد النسيج المتماسك من خارطة الاجتماعية العراقية خلال مدته التي لم تتجاوز ثمانية وثلاثين عاماً (١٩٢١ - ١٩٥٨)؛ وقد عاصر العلواني، فترة الوصي على العرش عبد الإله وابن أخته الملك فيصل الثاني. ولم يشترك آنذاك بالسياسة، بل بحكم عمله كإمام وخطيب، كان يرى أنه لآمانع من انتقادات الأوضاع العامة، وتقديم النصح، وتقديم مقترحات تستهدف الإصلاح (٢). وقد اعتبر العلواني عمله إماماً وخطيباً في بغداد بداية مرحلة جديدة في حياته، اكتسبته خبرات كثيرة ومن أهمها: الإنفتاح على غير السنة، والاحتكاك بهم بشكل غير مباشر، حيث كان إماماً لمسجد سني في وسط يغلب عليه الشيعة، وبالإضافة أن بغداد كانت مدينة منفتحة تموج بالتيارات السياسية الواسعة، ففيها ثلاثة أحزاب قوية: الشيوعي والديمقراطي والإسلامي، وهذه التركيبة الحزبية المتنوعة، خلقت اثراً فكرياً عميقة على ذلك الشاب القادم من الفلوجة الذي تلقى العلوم النقلية على يد شيخ محافظ عرف بطريقته التصادمية التي لاتعرف حدوداً أو حلولاً وسطاً، ويقول العلواني: وبالنسبة إلي كان التوجه الإسلامي توجهاً أساسياً.

(١) قامت بريطانيا باحتلال العراق، وتم بسط النفوذ البريطاني على مجمل الأراضي العراقية جراء الاحتلال البريطاني للعراق، فتأججت ثورة العشرين التي طالبت بضرورة استقلال العراق في مملكة ذات سيادة حيث تعالت الاصوات للمناداة بالأمير فيصل الأول ملكاً على البلاد، إذأ العهد الملكي في العراق منذ تتويج الملك فيصل الأول الذي حكم العراق فترة (١٩٢١ - ١٩٣٣)، التميمي، فيصل محمد عليوي، السلطة والقبيلة صراع الهويات الفائلة في العراق، دارجلة: الأردن، ط١: ٢١٠٧، ص ١٥٠، ١٥١، و شهدت سنوات حكم الملك فيصل الأول استقراراً وتوازناً بسبب ما كان يتمتع به الملك من خبرة ودراية سياسية، راجع خيون، علي، الفكر السياسي للنخبة العسكرية في العراق، دار دجلة: الأردن: ط١ (٢٠١٨ م)، ص ٣١، ومن ثم تولى الملك غازي الأول بعد وفاة ابيه فيصل الأول (١٩٣٣) - وواجه في سنوات حكمه أزمات عديدة فاقت قدراته السياسية، و لم يترك الملك غازي سوى طفله الوحيد فيصل في الثالثة من عمره، وتولى الوصاية على العرش خاله عبد الإله، وبعد ان بلغ فيصل الثامنة عشرة من العمر نودي به ملكاً في ايار (١٩٥٣) باسم فيصل الثاني، انظر العلواني ، تجربتي مع الحياة السياسية، مرجع سابق ، ص ٣٢

(٢) انظر ، العلواني تجربتي مع الحياة السياسية، مرجع سابق ، ٣٢-٣٨.

ولكن الدرس الأهم لتلك التجربة ما توصل إليه العلوني: " أنه لا ينبغي لثلاثة من الناس أن ينتموا لأي من الفئات الحزبية وهم: - أئمة المساجد - العسكريون سواء من الجيش أم من الشرطة — القضاة، فلا يحق له باعتباره إمام مسجد يرتاده المسلمون على إختلافهم، ومنهم الصوفي والسلفي والحزبي والشيعي والسني وأصحاب الفكر الليبرالي المتدينون، أن يكون منحازا لحزب أو لفريق، فهذا سوف يؤدي إلى إبعاد الفئات الأخرى عن المسجد. إذا فالسياسة التي تصلح للأمة يمكن تبنيها بطريقة العالم لا الحزبي فالإمام يوصل رسالة الحق واضحة دون هجوم أو تكفير أو تنفير فهو يبادر إلى تسوية الصف لا بل تسوية القلوب والأفكار، والتجميع لا التفريق، والإصلاح، ومحاربة الظواهر الاجتماعية والسلبية بقوالب المحبة والرحمة والعدل والحكمة لا التجريح .

إذاً من الواضح أنه لم يكن للعلواني أي دور سياسي بارز في تلك الفترة، ومع ضرورة التزامه كعالم دين بالحيادية الحزبية، ولكن هل بقي مستمرا بموقفه هذا أم أن تدهور الأوضاع السياسية قد فرض عليه موقفاً مغايراً لما سبق؟ وهذا ما سنعرفه من خلال تجربته في العهد الجمهوري في العراق.

ثانياً: (العهد الجمهوري في العراق):

١- (حكم عبد الكريم قاسم): لقد جاء عبد الكريم قاسم إلى الحكم عن طريق الإنقلاب الذي قاده على النظام الملكي في الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨^(٢) و يصور لنا العلواني الحالة المضطربة في تلك الفترة فكانت الأجواء السياسية في العراق قد أصبحت شديدة التوتر نتيجة الصراع بين الشيوعيين، وخصومهم من السياسيين..، فيقول: "وبعد انقلاب تموز لم يعد بمقدور أي عراقي أن ينجو من العمل السياسي، وبوصفي خطيب جمعة ركزت في خطبي على مواجهة الشيوعية، وكنت شديد الانتقاد والمعارضة لعبد الكريم قاسم وحكومته التي فتحت للشيوعيين مجال النشاط والحركة بحرية، فقد إرتكبوا المجازر والجرائم وتفننوا في ذلك، وتلك الممارسات لم تعرفها الحضارات القديمة ولا الحديثة وقد تعرضت المعارضة إلى مزيد من إجراءات العنف والتنكيل والسجون والإعدامات

(٢) وحيث "تولى العميد عبد الكريم قاسم رئاسة الوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة، إتخذ سياسة التفرد بالحكم، والاستحواذ على السلطة، مما أدى إلى إستقطاب كثير من زملائه والتيارات الوطنية...، وتصفية منافسيه ومعارضيه، وأما خطواته اللاحقة كانت تتمثل في إفساح المجال للشيوعيين بالسيطرة على الحياة العامة ومركز القرار، مما أدى إلى أن سخطت عليه قوى متعددة، وتعرض للثورات ومحاولات إغتيال. فالرجل قاسم أصيب بالزهو والغرور، فلم يعد يحفل بما يقدم إليه من نصائح وتوجيهات، انظر العلواني: تجربتي مع الحياة السياسية، ص ٦٣-٦٧، وانظر فوزي احمد: عبد الكريم قاسم وساعاته الاخيرة، دار دجلة: الاردن: ط ١، (٢٠١٥م)، ص ١٦٥، ١٦٣، ١٠٣.

وعلى ضوء ذلك أدرك العلواني أنه لا بد من التطلع إلى العمل السلمي الذي يتوسل إلى التغيير بكل الوسائل والادوات السلمية المشروعة، فقد رفض ثقافة العنف ووقف ضد فتوى بجواز قتل الشيوعيين، ولم يبتلع طعم توظيف البعثيين للدين^(١)، ولم تكن فتواه بخصوص الشيوعيين قائمة على قناعة ببراءتهم، لما مارسوه من جرائم في معركة الكلمة والمعتقد، ولكنه كان موقفاً ضد صناعة العنف وثقافة الدم، خارج نطاق محاكمات عادلة ونزيهة تجفف منابع الجريمة

وفي ضوء تطلع العلواني إلى العمل السلمي، رأى أن الدعوة إلى تأسيس الاحزاب السياسية، والانخراط بالعمل الحزبي، من الوسائل المشروعة في التغيير، وخصوصاً مع اعلان عبد الكريم قاسم أن البلاد متجهة نحو الاستقرار، وإعلانه عن الدعوة إلى تأسيس أحزاب جديدة. وتم تشكيل الحزب الإسلامي العراقي فاشتراط العلواني بقبول الانضمام إلى هذا الحزب شروط وهي التوافق على إستقلالية الحزب، وعلى مرجعيته الإسلامية المنفتحة والتي تتيح للعراقيين كافة الانضمام له، وان على رجل الأمة أن يؤدي دوراً فاعلاً في خدمة أمته. ومن هذا المنطلق شارك في تأسيسه وتبني برنامجه^(٢)، وما يهمننا هنا هو الحديث عن تلك المذكرة التي اقترحها العلواني وهو معتقل داخل السجن على زملائه في الحزب حيث يقول: توصلنا إلى ضرورة إعداد مذكرة شاملة مستفيضة تنتقد سياسات عبد الكريم قاسم، وأثارها السلبية على حاضر البلاد ومستقبلها ونشرها على الشعب العراقي، وفعلاً تم نشر المذكرة وقوبلت بتأييد من جانب علماء العراق من الطوائف كافة وغيرهم، كانت المذكرة نقطة تحول في العمل السياسي العراقي كله، وهي بمثابة خطوة أولى على طريق الإصلاح في إعادة بناء الإيمان بوحدة الأمة وربط الوحدة بالتوحيد وإيجاد الوعي الفطري بقضايا الشعب والأمة مما يعمق وينمي عمل سياسي هادف ينبذ العنف والعمل المسلح، وتفعيل مجالس الشورى والنواب، وتحقيق مبدأ العدالة، والحيادية الحزبية للعلماء والقضاة والشرطة ومؤسسات الجيش، وتحسين أحوال البلاد في مختلف المجالات . فالتفت عبد الكريم بعد تلك المذكرة إلى شخصية العلواني، وبالرغم من أنه أظهر إعجابه بجرأته، فقد حاول أن يدعوه ويفاوضه، بل قد هدّده وتوعده، ومن ثم عرض عليه المناصب الرفيعة، والأموال الكثيرة، وكل ذلك من أجل أن يتوقف العلواني عن توجيه الانتقادات له ، بل وتقديم النصح له.

(٢) قبل تصفية حزب البعث من السلطة في عهد عبد السلام عارف، أراد البعثيون أن يوظفوا الدين في القضاء على منافسيهم . وهم الشيوعيون ثم القوميون الناصريون ثم الإسلاميون، فقرر مجلس الثورة قراراً بضرورة إعدام جميع اعضاء الحزب الشيوعي وقد عضدوا قرارهم بثلاث فتاوى من كبار العلماء، بجواز قتلهم بحكم أنهم مرتدون ، وجزاء المرتد القتل . العلواني، لا إكراه بالدين - إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم، دار الشروق الدولية، القاهرة، ط. ١، (٢٠٠٣م)، ص ٢١-٢٢

(٣) انظر ، العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق ، مرجع سابق، ٧٧، ٧١

ولكن العلواني رجل الأمة ثابت على مبدئه، فرد قائلاً: بإسيادة الزعيم: فعمامتي ثمنها غالٍ، ودونك مئات العمائم التي تستطيع شراءها بأبخس الأثمان، والأجل قد حدده الله (جل شأنه) فأجل كل إنسان مسمى منه، لا يملك أحداً له تقدماً ولا تأخيراً، والرب واحد بيده كل شيء، وبالتالي لماذا يخاف العبد؟، ويحول نفسه إلى عبد للعبيد. وموقفه هذا أسماء -يرحمه الله - "بعض العلماء"^(١).

ومن ثم بعد ذلك تم تكليف العلواني من قبل عبد الكريم قاسم بالخدمة العسكرية وكانت هذه بداية الإنخراط بالعمل العسكري للعلواني، ثم وجد قاسم، أن العلواني شخصية مثقفة لا يصلح إلا أن يكون في مكتب مستشاره الصحفي النقيب "سعيد الدوري" ومهمته تدقيق خطب الزعيم وتصويبها ومراجعتها^(٢). وما نلاحظه أن هذه الأحداث انعكست على فكر العلواني، حيث وجد أن معارضة صناع القرار يجب ان تكون سلمية ورؤيته مستقاة من رؤية السلف الصالح، القائمة على علاقة الفهم والتناصح، و ما خلاص إليه أيضاً: أن دور العالم يتمثل في إدراك أحاسيس الناس وحل مشاكلهم وتطلعات الحكام ثم يقوم بعملية امتصاص وتحويل لدواعي العنف من الطرفين لتلافي الصدام بين الطرفين الحكام والشعوب لتقريب وجهات النظر، حتى وإن تطلب الأمر أن يذهب إلى الحاكم يأمره وينهاه وينصحه لا أن يذهب إليه متملقاً مادحاً.

٢- (حكم عبد السلام عارف): انتهى العهد الجمهوري الأول بانقلاب فبراير ١٩٦٣ الذي نجح في اسقاط نظام عبد الكريم قاسم، بقيادة حزب البعث وتم اعدامه بناء على قرار مجلس قيادة الثورة، وتم تعيين عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية.

ويتحدث العلواني عن علاقته بعبد السلام عارف فقد "التقاه مرات عدة من خلال استماع عبد السلام لبعض خطبه، وكان يتأثر بتلك الخطب، بالرغم من انتقاداته له، وكان يتقبل ذلك منه، وبعد أن صار عارف رئيساً للجمهورية، حضر لأداء الصلاة في مسجده، فراح العلواني يندد بعقائد البعثيين، شركاء عبد السلام في السلطة. وبلغ العلواني فيما بعد أن هؤلاء استأذنوه في إعتقالي فرفض بشده، وحين أستعيد تلك الفترة أشعر بأنني أخطأت بحقه إذ لم أقترب من الرجل وأوثق علاقتي به، فالرجل متدين، محب للإسلام"^(٣) والذي استفاده العلواني من ذلك الموقف: "هو ضرورة دراسة فكر والتزام من نتعاون معهم، ولا نكتفي بالمظاهر الخارجية، بل نأخذ بموازين الجرح والتعديل والتوثيق والتضعيف التي حفل القرآن بها"^(٤)، فلا نحكم على الظاهر، فقد يكون عندهم في الباطن من الخير الكثير.

(١) العلواني، عز العلماء، المرجع السابق

(٢) العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية، مرجع سابق، ١١٥، ص ١٢١

(٣) العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق، المرجع نفسه، ص ١٤٨.

٣- (مجيء حزب البعث إلى السلطة):

أسقط البعثيون نظام عبد السلام عارف في الانقلاب عليه عام: ١٩٦٨، حيث جرت محاولات كثيرة داخلية في العراق ومع دول الجوار كانت قد مهدت الساحة أمام حزب البعث، وبأنهم الأفدر على قيادة العراق وتأمين استقراره بما له من خبرة وانتشار في الجيش والشارع، إلى أن تسلّم البعثيين الحكم في العراق^(١). وقد وقف الشيخ العلواني معارضا شديدا لنظام البعث في العراق، مما أدى إلى ملاحقته من قبل الحزب، ولكن قدر الله بأن يسر له النجاة وكانت مغادرته العراق مساء ١٩٦٩/٦/٢٦^(٢). ولم يدخلها أبدا منذ ذلك الوقت ودفن في غير موطنه.

٤- (مرحلة اعتزال العلواني للحياة السياسية):

وكانت نهاية تجربته مع العمل السياسي، التي لم يحالفه التوفيق فيها أبداً، هو اتخاذ قرار باعتزاله إلى غير رجعة، بعد أن تبين له حسب قوله أنه " لا يصلح لغير القرطاس والقلم"^(٣)، ورؤية الواعية للأوضاع السياسية التي أوجدت عند العلواني قناعات بضرورة التغيير والإصلاح السلمي وبالوسائل المشروعة، وأن التغيير يكون بإصلاح الفكر، وأن المنهج القرآني هو منطلق التغيير. وذلك لإصلاح ما بالعقول وما بالقلوب، فإن أمتنا المسلمة لها خصائصها وأهمها بأنها أمة رسالة مسؤولة عن الشهادة على العالمين، ومسؤولة عن بلورة مفهوم الوسطية بكل ما يحمله من معانٍ وقيم، وقانون الإصلاح هو سنة إلهية تأتي مع الأنبياء والرسل^(٤). ولعل انعكاس آثار تجربته السياسية هذه كان واضحا على فكرة تأسيس مشروع إسلامية المعرفة وبلورتها وتمسكه بضرورة السعي نحو إصلاح الفكر الإسلامي.

(١) حزب البعث: حزب قومي عربي يتبنى الفكر الاشتراكي، حكم في العراق من عام ١٩٦٨ - ٢٠٠٣، وظل يتحكم في كل مفاصل السلطة بالعراق، حتى الغزو الاميركي في العراق عام، ٢٠٠٣. انظر الموسوعة الحرة، تم استرجاعها بتاريخ ٢٥/٨/٢٠١٩

(٢) انظر ، العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية، مرجع سابق، ص ١٩٠، بتصرف.

(٣) العلواني، أيام حياتي بين النيل والرافدين، مرجع سابق، ص ١٣١

(٤) انظر ، العلواني، أيام حياتي بين النيل والرافدين، المرجع نفسه، ص ٢٤٠، ٢٤٢

المطلب الثاني: الحياة العلمية ومؤثراتها على فكر الشيخ العلواني:

أولاً- مرحلة تعليمه في العراق:

يقول العلواني: أن المفكر والباحث ابن بيئته، يتأثر بها فهو منها، فهو فقيه عراقي مارس دورًا سياسيًا مؤثرًا في العراق في الستينيات، واعتزل النشاط السياسي بنفس سرعة انخراطه فيه وانصرف بكليته إلى العمل العلمي، والفكري والمعرفي من مطلع السبعينيات تقريبًا^(١). فأول رافد تعليمي له وهو تلقيه التعليم على يد (المُلا)، ويقول الشيخ ومع بساطة هذا النوع من التعليم، فتكلفته قليلة، إلا أنه فعال ومؤثر بالطلبة. ثم تتلمذ العلواني في المدرسة الملحقة بالمسجد^(٢)، على يد شيخ محب للعلوم الشرعية وملم بعلم المتون، عالم يحب أن يعلم ويدرس وينشر علمه اسمه (الشيخ عبد العزيز السامرائي) فيقول العلواني عن شيخه: أنه بدأ يعلمنا بجد، حيث نبدأ يومنا بصلاة الفجر في المسجد، ونستمر إلى ما بعد صلاة العشاء بدون أي فاصل إلا ثلاث ساعة للإفطار وساعة للغذاء ثم نستمر حتى العشاء وبعد صلاة العشاء ننصرف. وهكذا كما لو كنا في معسكر، ولم يكن يتقاضى منا شيئاً، وكان السامرائي يحب أن يقلده تلاميذه في كل شيء، وكانت له قوالب وأنماط ذهنية يرى الأشياء من خلالها. وكان فكره وسطاً بين السلفية والصوفية، ولكنه كان يمقت الحداثة، وهو ما لم يسترح له العلواني، لأنه كان يعيش في بيت فيه قدر من المرونة في الانفتاح على كل المشارب الإسلامية من الشيعة والسنية والصوفية والسلفية، ولكن العلواني يقرر بالمقابل أن ذلك الشيخ كانت له إيجابيات كثيرة في محاربة البدع والعادات والأعراف السائدة، مع تكوين علاقة حميمة مع مجتمعه^(٣).

فتخرج العلواني من المدرسة وعمره السادسة عشر، وهو يحمل فكر شيخه، فالعلم الشرعي ارتبط عنده بسلوكيات شيخه فقط.

(١) انظر ، العلواني، أيام حياتي بين النيل والفرات والبوتاماك، المكتبة الإلكترونية للعلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي : القاهرة ، ٢٠١٢، ج ٢. ص ٢، وانظر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد، مراجع سابق، ص ١٠-١١.

(٢) يقال لها: المدرسة الأصفية الدينية، ملحقة بمسجد الجامع الكبير الوحيد في الفلوجة، الذي يطل على نهر الفرات ولم تكن تتجاوز غرفة واحدة.

(٣) انظر ، العلواني، أيام حياتي بين النيل والفرات مرجع سابق، ص ٢٢، ٣١، ٣٤.

ثم تلقى العلواني العلم على يد مشايخ ببغداد^(١) أوسع علماً وأكثر انفتاحاً، حيث انفتح ذهنه على القضايا المجتمعية العامة، واحتك بالحدثة وبدأت تنمو عنده حاسة المقارنة بين هؤلاء المشايخ، وبين شيخه في الفلوجة، وكثرت التساؤلات، وتولدت حاسة النقد لديه، فما اعتاده العلواني إذاً مما يقرب أن يكون ثوابت عند شيخه في القديم ينهار شيئاً فشيئاً مع هؤلاء الشيوخ، فبان للفتى من البداية أن ليس أمام العلم مقدس إلا الكتاب، وصحيح السنة

ثانياً - مرحلة تعليمه في مصر:

ذهب العلواني إلى مصر ليكمل تعليمه في الأزهر ولاشك بأن: "سمعة الأزهر طاغية، ولا تعليم بدون المرور بالأزهر قلعة التراث والنور في العالم الإسلامي، وقبلة العلماء، وطلاب العلم، فالأزهر يشكل عالمية الأمة ووحدتها"، ويقول العلواني: "قد انتسبت في كلية الشريعة في الأزهر، وكانت هناك تيارات فكرية متعددة أوجدت نوعاً من الصراع الفكري داخل الأزهر وخارجه، وبدأت أتعرض لهذه التيارات- كلها -، وبدأت الحاسة النقدية عندي تنمو وتزداد، وكنت اجلس مع شيوخ كثر كالشيخ الغزالي، والشيخ محمد حسين الذهبي، والإمام الزهاوي، والتقي مع عدد من خطباء الجمعة، وأتجاوز مع جميع هؤلاء، وأطرح عليهم الكثير من التساؤلات. وأتلمع من جميع هؤلاء كيفية النقد العلمي، وبأسلوب مؤدب ومحبيب، وبالإضافة إلى انعكاس خطب الجمعة على شخصيتي، فكان لا بد من الإلمام بموضوعات إجتماعية مختلفة، وسياسية، واخترت تخصص أصول الفقه فهو مناسب لقدراتي وتطلعاتي، و تلبية لحاجة حاسة النقد عندي، كنت أقوم ببعض الدراسات النقدية لبعض الأدلة المختلف فيها في أصول الفقه"

ولمرحلة الدكتوراة أهمية ودور في بناء شخصية العلواني النقدية: فقد غاص العلواني في التراث غوصاً عميقاً، فعاش العلواني الإمام الرازي لمدة أربع سنوات وهو يعد لنيل درجة الدكتوراة في تحقيق كتاب (المحصول، للإمام الرازي)، فيقول العلواني: فعندما تتعامل مع كتاب المحصول، فأنت تقرأ شرحاً وزبدة لأمهات كتب الأصول كمستصفي الغزالي، والمعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي، والبرهان لإمام الحرمين^(٢). مما فتح للعلواني نوافذ على قراءات أخرى لمعرفة مواقف هؤلاء العلماء. وبدأت تتكرس عنده نزعة النقد والمعارية والمقارنة والموازنة والنظر في المآل والمقدمات والربط بين المقدمات والنتائج إلى غير ذلك^(٣).

(١) كامثال الشيخ أمجد الزهاوي والشيخ مفتي العراق (قاسم القيسي) والشيخ (محمد فؤاد الألويسي)، والشيخ (عبد القادر خطيب)، ومشايخ آخرين.

(٢) الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، دراسة وتحقيق العلواني، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٨.

(٣) العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد. مرجع سابق، ص ٢٤

وبدأت انتقادات العلواني باستدراكات على الإمام الرازي، ربما استسيغت بحكم كونه يمارس تحقيقاً علمياً، لكن الاستدراكات زادت لدرجة طالت صميم ما اعتبره شيخه "عبد الغني عبد الخالق" ثوابت لا ينبغي لباحث كالعنواني وقتها أن يجترئ على المساس بها، وثارَت بينهم جدالات ما بين الأستاذ وتلميذه. فمثلاً من المسائل التي بدأت مع العلواني حين تحقيقه المحصول: مسألة النسخ، فقد أعجب برأي الإمام الشافعي -يرحمه الله- في رفض فكرة نسخ القرآن بالسنة، بل ما فهمه من رأي الإمام أنه يرفض النسخ كله، ولكن رد شيخه عليه: يا ابني نحن مقلدون، ولا شأن لنا بالأئمة الكبار فإذا أردت أن تكتب في هذا فاكتب دفاعاً عن رأي الشافعي، لكن لا تصرح بعدم الأخذ بالنسخ. ولكن العلواني لم يستسلم لشيخه^(١). وكذلك من المسائل التي أثارها العلواني التي قد انطلقت مع كتاب "لا إكراه بالدين.." وقد قرأ الشيخ الغزالي رأي العلواني في الردة، حيث كانت تجمعهما صحبة طويلة، فأكد له أن مثل تلك الآراء ستفتح عليه وابلأً من الاتهامات، وسيعارضه الكثيرون وربما اتهموه في دينه وعقيدته، فسأله العلواني: وماذا عن موقفك وقتها؟ فأجابته الغزالي مبتسماً: لئن أدركني يومك أنصرك^(٢).

وقد بين العلواني كتابه على ما يمكن أن نسميه الحكم أو القرار الإلهي بالحرية المطلقة لبني البشر وعلى أن حرية الاعتقاد من أسمى الحريات التي شدد عليها القرآن الكريم بالآية (القانون) في سورة البقرة: "لا إكراه بالدين" فهي عامة في الزمان والمكان والأشخاص، لا تقبل نسخاً لعمومها المطلق، وورودها بصيغة هي أقرب للخبر. وبالتالي فإن قناعة العلواني أنه لا وجود لما يسمى حد الردة في القرآن وهو المصدر الأوحد لأحكام الشريعة، ولا توجد واقعة واحدة من عصر النبوة تشير إلى دليل على قيام الرسول ﷺ بتوقيع عقوبة دنيوية ضد من يغيرون دينهم مع ثبوت ردة كثيرين ومعرفة الرسول بهم^(٣).

ولم تكن تلك الحاسة النقدية غائبة عن العلواني في أثناء ممارسته لوظيفة التدريس، فقد عين أستاذاً للفقهِ الحنبلي ولأصوله" في جامعة الإمام في السعودية، فيقول العلواني: "لقد أمضيت أكثر من إحدى عشرة سنة في تلك الجامعة أغرس في طلابي روح الاعتدال، بل إن طلابي كانوا يحتملون نقدي لما أقدمه لهم من رعاية وعناية وحرص شديد على إفادتهم، وأظنني قد أثرت في بعض طلابي"^(٤).

(١) انظر ، فرحات ، إسلام، العلواني مصارع في حلبة التراث ،مرجع سابق

(٢) انظر ، فرحات ، العلواني مصارع في حلبة التراث، المرجع نفسه.

(٣) انظر ، العلواني، لا إكراه بالدين، مرجع سابق ،ص ٩٢، ٩٠-١١ بتصرف

(٤) العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد ، مرجع سابق ، ٢٤، وانظر العلواني، أيام حياتي بين النيل والفرات،

مرجع سابق ، ٦٩ ص

وأما دور العلواني وتأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي: فيقول العلواني: تم عقد مؤتمر عام (١٩٧٧) في منطقة لوجانو، وقد شارك به عدد من المفكرين، والعلماء، والباحثين، اتخذ فيه قرار تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومدار البحث في ذلك المؤتمر: ما هو سبب تأخر أمتنا؟ وما أزمة الأمة الحقيقية؟ وبعد عدة من المحاور انذاك اتضح عندي أن الحاسة النقدية - وحدها- لم تعد كافية، فالبحث يدور في أزمة الأمة، وملاحمها، ومناهج معالجة الأزمة فالعمل في مجال البحوث والدراسات في المعهد، فتح أمام العلواني نوافذ عديدة على العلوم الاجتماعية والإنسانية بل الطبيعية والفلسفية وغيرها، ثم بعد ذلك تأصلت لدى العلواني فكرة "المنهج والمنهجية اي بناء منهج قراني، بحيث نؤسس نموذجاً معرفياً للتعامل مع القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والتراث الإسلامي والإنساني حيث كانت تلك الرؤية هي المحور الأساس في أفكار العلواني ومشاريعه.

ثالثاً: مؤثرات الحياة العلمية على نشأة العلواني وتطوره المعرفي:

- ما قاله العلواني نفسه: "كثير من أولئك الذين قرأوا لي، أو تتلمذوا علي أو حظيت بصحبتهم قد يتبادر إلى أذهانهم أنّ ما يلاحظونه عليّ، وعلى منهجي في تعليم وتعلّم معارف الوحي والعلوم النقلية أنّي درست أو تخرجت في الغرب. وقد يصاب بعضهم بنوع من الدهشة عندما يعلم أنّي درست في الكتاب (المُلا) ومدرسة المسجد، ونلت كل شهاداتي من الأزهر، ولم أسكن الغرب إلا بعد أن بلغت درجة الأستاذية وقد جاوزت الخامسة والأربعين، فإذا تعلمت الاعتدال فإنّني قد تعلمته من تلك المعارف التي ينسبون إليها تعليم الغلو والتطرف، والإعداد للإرهاب. والذي اختلف هو منهج التعلّم، والخبرات التي تعرضت لها، والعدد المتنوع من الشيوخ الذين كان لهم أثرهم الكبير في نفسيّتي وعقليّتي وتوجيهي نحو القرآن- حامل الشرعة والمنهاج والوحي الإلهيّ المصدق والمهيّم.

- بناء شخصية العلواني النقدية التي اعتادت على التفكير والسؤال.

- مدى علاقة التأثير والتأثر ما بين التطور المعرفي في فكر الشيخ العلواني وأهداف المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الفصل الثاني

المدخل إلى دراسات العلواني القرآنية

المبحث الاول: مشروع إسلامية المعرفة

المطلب الاول:(النشأة - المفهوم - الأهداف):

أولا- نشأتها:

ترجع فكرة مشروع أسلمة المعرفة بالبحث حول أسباب تأخر أمتنا، و ماهي ملامح أزمة الأمة الحقيقيّة؟ وكيف تحل وتعالج؟ فيرى العلواني أن أي تشخيص دقيق للأزمة - في محاولتنا للنهوض بهذه الأمة - يقتضي استقراء التاريخ وقراءة الحاضر، والعكوف على الذات، وتقويم المشروعات الإصلاحية السابقة، وتحديد أسباب العجز والقصور ومواطن التقصير، مقدمات لا بد منها في أي عملية نهوض واستشراف للمستقبل . ويضيف العلواني بأن تشخيصنا لأزمة الأمة : تبين أنها أزمة فكرية، وإن سائر الأزمات الأخرى التي نلمحها في أكثر من جانب، ماهي إلا نتيجة لها، أمظهرها من مظاهرها^(١)، ويرى الفاروقي^(٢) وهو من أوائل المهتمين بأسلمة المعرفة، "أن الأمة الإسلامية تخلت عن أداء دورها الحضاري الريادي على المستوى الثقافي، ويرى أن السبب الرئيس في ذلك هو النظام التعليمي العلماني، الذي صرف الأمة عن هويتها وانتمائها الحضاري وابتعادها عن تعاليم القرآن الكريم الذي رسم لها معالم هدايتها، بل وهداية الناس وقيادتهم إلى رب العالمين، وهي الوظيفة:

(١) انظر ، العلواني، اصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات،الدار العالمية للكتاب الإسلامي: الرياض، ط٢

(١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ص٣٠

(٢) هو من مواليد 1921 في فلسطين، حصل على تعليمه الأولي في المسجد، كما تلقى أجدديات العلوم الإسلامية على يد والده الذي كان قاضيا شرعيا .ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية بسبب الاحتلال الصهيوني عام 1948 لقد ساهم في تكوينه العقلي كل من البعد الفلسفي والبعد الديني ،حصل على الدكتوراة من جامعة أنديانا.بعنوان "نظرية الخير: الجوانب الميتافيزيقية والإبستمولوجية للقيم".قال عنه الغزالي :عرفت الدكتور إسماعيل الفاروقي من بضع وثلاثين سنة، كان يقدم الإسلام للعقل الغربي المستتير نظريات في المعرفة والعدالة تثير الإعجاب والمحبة، وإلى جانب علمه الواسع كان دمث الأخلاق، مطمئن النفس، منصفا للخصوم، ويعتبر الفاروقي: هو أول من انتخب لرئاسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، انظر، عويمر، مولود، مقال شهيد معركة الوجود،رابطة ادباء الشام، ١٩ تموز ٢٠١٤م.

التي حث عليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ البقرة: ١٤٣، وعليه كان من الواجب إعادة النظر في الأسباب التي أدت إلى هذا المآل وتشخيص حال الأمة الإسلامية ذلك حتى يتسنى وضع الحلول المناسبة ووجب على إثر ذلك الرجوع إلى الذات وفق مقتضى الآية الواردة في ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَاللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي كَانَتْ لِلْجَمْعِ وَالصَّالِحِينَ فَاسْمِعْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الرعد: ١١) . لكن الواقع بين أنه من الصعب العمل بهذه الخلفية لأن الأمة الإسلامية تعاني التبعية للحضارة الغربية في مختلف المجالات، في اللغة، وفي مظاهر العمران، والحياة الثقافية، والمناهج السياسية والاقتصادية والتعليمية التي سببتها الحداثة والتقنية، وكله لا يتناسب مع البيئة الإسلامية. فكان لابد من حل يخرج الأمة الإسلامية من التبعية المعرفية، والجمود الفكري"^(١)

فاجتمع مجموعة من الباحثين لتقديم مشروع إصلاح ينهض بالأمة الإسلامية فكرياً وعلمياً، ويعالج كل قضايا الإنسانية، وقد أطلق على هذا المشروع اسم "أسلمة المعرفة"، وينسب مشروع أسلمة المعرفة إلى المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فإصلاح مناهج الفكر، والعمل على إسلامية المعرفة يشكلان القضية المحورية التي اضطلع "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" بتحمل مسؤوليتها والتبشير بها"^(٢).

فما هي إسلامية المعرفة التي اقترحت حلاً لأزمة الأمة المعرفية والفكرية؟

ثانياً: المفهوم:

قد تبنى هذا المفهوم "إسلامية المعرفة" أو "أسلمة المعرفة" عدد من الباحثين فالأسلمة عند الدكتور عماد الدين خليل هي: "ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان. فالإسلامية لا تعني الدعوة إلى الوفاق بين العلوم الإنسانية والمطالب الدينية، بل احتواء كافة الأنشطة المعرفية الإنسانية من أجل جعلها تتحقق في دائرة القناعات الإيمانية، وتتشكل وفق مطالبها وتصوراتها الشاملة أسوة بالعلوم الأخرى"^(٣).

(١) الفاروقي، اسماعيل راجي، أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل، دار البحوث العلمية، الكويت، ٢، ١٩٨٣-٤، بتصرف.

(٢) العلواني، اصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، مرجع سابق، ٣٠ بتصرف.

(٣) خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، دار ابن كثير: بيروت، ط١: ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص ٩، ١١.

ويرى "أبو القاسم حاج حمد: "أن أسلمة المعرفة تعني: "فك الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري والإحالات الفلسفية الوضعية بمختلف أشكالها، وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن ناظم منهجي ومعرفي ديني غير وضعي. فأسلمة المعرفة ليست مجرد تأويل أعمى للمعارف، و إحالة المعارف إلى نصوص قرآنية ولا هي مجرد رفض تعسفي للمعرفة الوضعية المنطقية الرافضة للميتافيزيقا وإنما هي عملية تحليلية تركيبية، حيث يتم فهم واستيعاب المعرفة الغربية، ثم تجاوزها وتكييفها بما يتوافق مع الرؤية الكونية التوحيدية والمرجعية القرآنية فتوضع في إطار تفسيري آخر يدرج البعد الغيبي في فهم الكون وحركته، بدلا من التفسير الوضعي المادي الذي يفسر الظواهر على أساس أسباب مادية بحتة، فتتفي عنها البعد الوضعي وتعيد صياغتها ضمن بعدها الكوني الذي يتضمن الغائية الإلهية في الوجود والحركة، ويتم بذلك إعادة فهم مدلولات القوانين الطبيعية بما يتوافق مع أصولها التكوينية"^(١).

وأما عن العلواني فإنه يرى أن إسلامية المعرفة هي: "منهج معرفي محدد المعالم واضح القسّمات، ويمثل بديلاً للمادية والوضعية المتجاهلة لله والغيب من ناحية، كما يمثل بديلاً عن اللاهوتية والكهوتية المستنلبة للإنسان والطبيعة من ناحية أخرى"^(٢)، فهي إذاً "رؤية منهجية معرفية، و ليست تخصصاً أو أيديولوجية أو نحلة جديدة"^(٣)، "ولاتعني سحب رداء أو انتماء ديني على العلوم والمعارف الإنسانية المختلفة أو إيجاد بدائل تفصيلية تقابل كل ما هو موجود، لكنها تعني محاولة متكاملة في إطار الجمع بين القراءتين"^(٤)، لاكتشاف البديل الحضاري العالمي الذي يستهدف إنقاذ المسلمين بل العالم كله"^(٥).

(١) حاج حمد، محمد، منهجية القرآن المعرفية، أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي: بيروت ط ١ (١٤٢٤هـ: ٢٠٠٣ م) ص ٣١.

(٢) العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - فوجينيا -، ط. ٥: (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م)، ص ١٠٧.

(٣) العلواني، إسلامية المعرفة بين الامس واليوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط ١، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م)، ص ٩.

(٤) هي فكرة (قراءة الوحي وقراءة الكون) حيث يرى العلواني أنهما: "كتابان تجب قراءتهما - معاً -: كتاب منزل معجز وهو القرآن الكريم، وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والكون والتجارب البشرية فيه. انظر العلواني الجمع بين القراءتين، الشروق الدولية، القاهرة، ط ٢ (٢٠٠٨م)، ص ٢٠.

(٥) العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الاردن، ط. ٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ص ٦٢.

(٤) انظر ، العلواني، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ٣٥، ٣٠.

ثالثاً: الأهداف:

يقول العلواني أن صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المنشود على الوجه المطلوب يحتاج الخطاب الإسلامي المعاصر إلى وضع قضية إصلاح مناهج الفكر وإسلامية المعرفة موضعها الملائم، فإسلامية المعرفة تمثل البعد الغائب الذي لم ينل من عناية مشاريع التجديد والإصلاح ما يستحقه، فيجب اعتبارها القضية المفتاح لكثير من جوانب الأزمة، والمشعل الضروري لجلاء ظلام الفتنة الفكرية والعلمية، التي ظل يتخبط فيها الواقع الإسلامي منذ ما يزيد عن قرن من الزمان. والمسلمون ليسوا بحاجة، لكي يستعيدوا فاعليتهم، إلى تكوين الدين من جديد أو تجديد الدين ذاته، لكنهم بحاجة إلى الوعي المعرفي والمنهجي الذي يمكنهم من توليد الإرادة والقدرة والعزيمة والفاعلية لتجديد مناهج الفهم وفقه التدين و إلى قدرة على تقويم مسيرة حياتهم العملية والسلوكية بأفكار قائمة على القاعدة العقيدية ومصادر التدين.^(١)

ويستمد التجديد حقيقته من إعادة تشكيل العقل المسلم المستنير وهو الهدف الأساس التي تهدف إليه إسلامية المعرفة، ولكي يقدر العقل المسلم على أداء رسالته فعليه: وصل ما انقطع بينه وبين كتاب الله، باعتباره المصدر المنشئ الوحيد مع الكون للفكر والمعرف والعقيدة والشريعة والمنهاج. وكذلك وصل ما انقطع بينه وبين سنة رسول الله ﷺ مع سائر معطيات عصر التنزيل والنبوة، باعتبار السنة والسيرة هي المصدر الوحيد المبين والمفسر على سبيل الإلزام للكتاب الكريم^(٢).

وهنا تبرز أهمية إسلامية المعرفة، في إخراج الأمة المسلمة من حالة التيه والشتات والضياع التي تحياها الآن، وإعادة بناء الأمة القطب، وإنتاج المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر.

المطلب الثاني: محاور إسلامية المعرفة:

تؤكد إسلامية المعرفة على بعدين هما: البعد المعرفي ويختص بالمحتوى النظري للفكر البشري، والتميز بين مستوياته، ضمن رؤية كلية إسلامية لهذه المستويات. وأما البعد المنهجي ويختص بالبعد العملي لهذا الفكر، والبعد المنهجي يأخذ النصيب الأكبر، وتظهر معالمها المنهجية في إطار عدة دعائم تعتبر الأساس الذي تنطلق منه إسلامية المعرفة، فهما بمثابة دعائم للمنهج القرآني المراد الوصول إليه.

(١) انظر، العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، مرجع سابق، ص ٤ بتصرف.

- المحور الأول: بناء النظام المعرفي الإسلامي القائم على إعادة بناء:

اولاً: الرؤية الكونية التوحيدية: يرى العلواني أنه لا بد من إعادة الرؤية الإسلامية المعرفية القائمة على أركان العقيدة، ومقومات وخصائص التصور الإسلامي السليم المنبثق عنها، ليتضح ما يمكن اعتباره النظام المعرفي الإسلامي القادر على الإجابة عن الأسئلة الكلية النهائية، دون تجاوز شئ (١)

فما هو مفهوم الرؤية الكونية التوحيدية؟ وما أهميتها؟

يعبر عن تلك الرؤية الباحث كلشني قائلاً: "الرؤية التي تستمد مضامينها من الأصول الأساسية للدين، ويمثل التوحيد في الإسلام أساس تلك الرؤية، ويعبر عن الاعتقاد بأن خلق العالم قد تم بمشيئة حكيمة، وأن النظام الوجودي قائم على أساس الخير والرحمة واللطف بالموجودات كي تبلغ ما يليق بها من كمالات. وتقرر هذه الرؤية أن للإنسان رسالة خاصة يحملها في حياته وترفض أي طابع عبثي لحركة الكون" ويعرفها عبد الحميد أبو سليمان هي: "رؤية توحيدية غائية أخلاقية إيمانية خيرية حضارية تعبر عن الفطرة السوية، وهي رؤية إيجابية ورؤية حب وخير وتسخير وإعمار، وهي تمثل أساس تفعيل القوة والدافعية الإيمانية لدى الإنسان المسلم؛ الذي تتضافر في تكوينه وفطرته السوية وفقاً للرؤية القرآنية قوى الحب والضمير والعقل والمعرفة، وقوى الإرادة الخيرة، والوجدان السليم، وقوى العقيدة الصحيحة، والإيمان الصادق، ليجسد الإنسان المسلم فطرياً، كل ذلك في واقع المجتمع وعلاقاته التوحيدية التكاملية، وفي بناء صرح الحضارة الإنسانية الإيمانية الروحانية الخيرة". (٢)

(١) انظر، العلواني، الجمع بين القراءتين، مرجع سابق، ص ٥٩

ويرى سيد قطب - يرحمه الله - "رؤية العالم في إطارها الإسلامي تعبير عن التصور الاعتقادي الكلي الذي تقدّمه العقيدة الإسلامية، ويتضمن هذه التصور تفسيراً شاملاً للوجود وقضاياه وحقائقه، وينبثق عن هذا التصور منهج الحياة الواقعي للإنسان، ودستور نشاطه، في ضوء فهم الإنسان لمركزه في الكون، وغاية وجوده الإنساني في هذا الكون" (١)

وفي ضوء المفاهيم السابقة لهذه الرؤية الكونية تبرز أهميتها من خلال مايلي:

- أن التوحيد أساس تلك الرؤية الكونية.

- مكنت العقل المسلم من تطوير الفهم السليم للكون والحياة والانسان.

- هي التي تمثل القوة الدافعة العقدية لهذه الأمة نحو التغيير والاصلاح والإعمار والابداع

ثانياً: التكامل المعرفي:

١- حقيقة التكامل المعرفي : تنطلق إسلامية المعرفة من انتقاد المعنى الذي تضيفه الفلسفة الوضعية لمفهوم وحدة المعرفة والذي تختصره في أن كل العلوم يمكن اختزالها إلى العلم النموذج وهو الفيزياء وأن كل ما لا يخضع لتلك القوانين فهو خارج دائرة العلوم وهو فارغ من المعنى، بما في ذلك الغيبيات والقيم والدين .ومن نتائج ذلك تحقيق التجزئة بدل التكامل، وتفضيل التحليل على التركيب والمعرفة العقلانية على الحكمة البديهية، والعلم على الدين.

ولكن مفهوم التكامل المعرفي في إسلامية المعرفة هو: قضية منهجية فكرية، ترتبط بالنشاط الفكري والممارسة البحثية، وطرق التعامل مع الأفكار، فيقول فتحي الملكاوي: إذ لها بعدان أساسيان بعد إنتاجي وبعد استهلاكي؛ حيث يتمثل البعد الإنتاجي في الإبداع الفكري الذي يحتاج إلى جهد تحليلي تفكيكي يقوم فيه الباحث بفهم مقاصد النصوص والأحكام القرآنية وإسقاطها على العلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية الغربية بعد استيعابها، ثم تحقيق عملية التكامل المعرفي بينها وبين النصوص القرآنية بواسطة عملية تركيبية إبداعية تقوم بربط تلك العلوم فيما بينها لخدمة مقصد جديد وهو تحقيق الرؤية الكونية التوحيدية .أما البعد الاستهلاكي للتكامل المعرفي، فيتعلق بتوظيف البنى الفكرية التي يقوم عليها التكامل في فهم الظواهر ضمن نسقها الطبيعي والكلي الذي يسهل عملية فهمها واستيعابها من قبل الآخرين (٢).

(١) قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط ٣، (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، ص ٣-٥

(٢) انظر، ا، لملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦

ويعرف الدغامين التكامل المعرفي بأنه : "الإدراك التام الواعي للحقائق المتصلة بالوجود الإلهي والكوني والإنساني، وما ينتظم به من سنن، وما ينشأ عنه من علوم ومعارف، تظهر به الآثار العملية والجمالية للمعرفة في ربطها أجزاء ذلك الوجود وانتظام علاقاته وفق هداية الوحي، وينعكس هذا المفهوم على واقع المعرفة حين يحدّد خط سيرها، ويقرر أن لا معرفة مثمرة يمكن أن تنشأ أو تقوم دون أن تستند إلى الحقيقة المطلقة المتمثلة في وجود الله تعالى التي تشكل المرجعية الكلية"^(١).

٢- مصادر المعرفة:" ومع أن الله هو المصدر النهائي للمعرفة ، إلا أنه عز وجل أتاحها للإنسان في مصدرين لا ثالث لهما: مصدر الوحي والوجود"^(٢)، "فالوحي هو كلام الله تعالى الذي وصف الكون والعالم والأنسان بأدق وصف وأصدق، والكون خلق الله الذي يمثل فعله في هذا الوجود، فتكامل مصادر المعرفة أي : "أن قوله سبحانه يتكامل مع فعله ، وفعله كذلك يتكامل مع قوله. ويتم ذلك التكامل بواسطة أداتين لا ثالث لهما: هما العقل والحس" فاستمداد المعرفة من الوحي يتطلب عمل كل من العقل والحس معاً، واستمداد المعرفة من الوجود يتطلب عمل كل من العقل والحس معاً، لكن يتميز الوحي بوصفه مصدراً للعلم والمعرفة بالهيمنة والمرجعية".

ومن أجل تحقيق هذه الوحدة والتكامل بين الوحي والعلم من الضروري تحقيق مبدأ التوحيد كشرط منطقي لمبدأ وحدة المعرفة.

٣- أساس التكامل المعرفي: ويعتبر التوحيد أساس مفهوم التكامل المعرفي ،حيث يمثل التوحيد عند سائر علماء المسلمين بأنه: رؤية عامة إلى الحقيقة والكون والزمان والمكان والتاريخ الإنساني والمصير، وينسحب مبدأ التوحيد على مجمل نظام الحياة في الإسلام، ويميّز التوحيد الإسلامي تمييزاً حاسماً بين الخالق المتعالي وبين الكون المخلوق وإرادة الخالق هي التي تحدد وجود المخلوقات وسلوكها ونظامها وتتمثل حقيقة التوحيد في أن الكون قائم على الانتظام في السلوك، دون اضطراب أو فساد مما يشير إلى وحدة المرجعية في هذا النظام وهي الخالق الواحد سبحانه. ويستلزم الاعتراف بوحداية الله بالضرورة، الاعتراف بوحدة الحقيقة فالحق والحقيقة صفة تقتضيها حقيقة التوحيد. وفي هذا الصدد يبين الفاروقي كيف يقوم التوحيد باعتباره مبدأ منهجياً يقوم على ثلاثة مبادئ فرعية تتعلق بطبيعة المعرفة التي يكتسبها الإنسان من مصادرها: فالأول رفض جميع ما لا يوافق الحقيقة، فهو يستبعد الباطل والوهم والظن من دائرة الاعتقاد الإسلامي، والثاني إنكار التناقض، أي إنكار أن الحقيقة لا يمكن الوصول إليها، والثالث التفتح لقبول الأدلة الجديدة أو المخالفة، وهذا يرتفع بالمسلم إلى التواضع الفكري.

(١) الدغامين، زياد خليل، التكامل المعرفي في القرآن، المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع، (١٤٣٤هـ ٢٠١٣م)، ص ١٦٥

(٢) الملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، مرجع سابق، ص ٥٧

وقد تنعكس آثار التوحيد على المعرفة من عدة وجوه أهمها:

- فالتوحيد" يمثل حجر الزاوية في تكوين وبناء الرؤية الكليّة عن الكون والحياة والإنسان، والتوحيد يوضح حدود وأبعاد الدور الإنساني في الكون والحياة. وفي الوقت نفسه يحقق قدرة كبيرة على صياغة المفاهيم الضرورية لبناء فاعليّة الإنسان، وتشكيل دافعيّة العمران والتسامي فيه، وإيجاد المنطلقات المعرفيّة والثقافيّة السليمة لدى الإنسان"

- والتوحيد يبين للإنسان المنهج العلمي والنظام المعرفي، ويحدد له كل ما يتعلق بالمعرفة، بدءاً بالمنهج والنموذج وفلسفة المعرفة وتاريخها وتصنيفها، وانتهاءً بوظائف العلم والمعرفة في حياة الإنسان والمجتمع

- والتوحيد" يجعل العلم وسيلة للتقوى والارتباط بالله وحده، مصدر كل علم وخير ومعرفة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (الإسراء: ٢٨). فلا يستطيع الغرور بالمعرفة والعلم أن يستولي على قلب الموحد أو عقله أو كليهما"

- التوحيد يرفض التناقض بين الوحي والعقل، "فالمطلب الإلهي الأول هو المعرفة - معرفة الله ومعرفة الإنسان نفسه وعلاقاته المتنوعة، وهذه المعرفة منطلقها الأساس هو " النظر العقلي" الذي يقوم على ترتيب مقدّمات وجوديّة تؤخذ من الكون والوجود، تضاف إليها مقدّمات عقليّة لتنتج؛ وبذلك تتضافر عناصر الوجود وقوى الوعي الإنساني لصياغة تلك المقدّمات ثم الوصول إلى النتائج. وعن تلك النتائج ينبثق "الإيمان". وعندها لن ينتهي دور النظر العقلي، بل يصطبغ العقل والإيمان ويسيران معاً- لترشيد مسيرة الإنسان وحمايته من الانحراف والزيغ والزلل"

المحور الثاني : (بناء المنهجية المعرفية القرآنية:)

قلنا سابقاً أن المحور الأول من محاور إسلامية المعرفة هو "بناء النظام المعرفي الإسلامي" وهو بدوره ضرورة "لبناء المحور الثاني وهو "بناء المنهجية المعرفية القرآنية".

أولاً - تأسيس فكرة المنهج والمنهجية في جهود العلواني:

يذكر العلواني: " منذ عقد مؤتمر "لوجانو" التأسيسي قد بدأت بالتفكير الجاد باقتحام العقبة (عقبة المنهج) فكان من الضروري التأسيس المنهجي انطلاقاً من القرآن الكريم لبناء ما نسميه،

(المنهجية المعرفية القرآنية) فقال الله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة

: ٤٨) والشرعة موجودة في القرآن الكريم بتمامها وبلا نزاع أيضاً أن يكون المنهج موجوداً في القرآن بتمامه وبدأ النقاش يدور حول هذا، فهل يؤخذ "المنهج" من خارج القرآن، ثم يؤصل له بالقرآن؟ أم يستنبط من القرآن ذاته ويستوعب أحسن ما وصلت البشرية إليه في مجال المناهج؟"

وعليه ذهب العلواني إلى أن كلا من المنهج والمنهجية لدينا نحن المسلمين قد ولد بعد نزول القرآن المجيد، الذي بدا بتهيئة العقل البشري وتحضيره لاستقبال "القراءة ثم القراءتين والجمع بينهما. ليبدأ القرآن عمليات منهجية لتغيير واقع كانت تحكمه وتهيمن عليه قيم الشرك، وتحويله إلى واقع تحكمه قيم التوحيد والتزكية والعمران بدلا من ذلك، وبتكاتف الجهود الجماعية والفردية ترسخت فكرة البحث عن " المنهجية المعرفية القرآنية" وتشغيلها. وما قدمه العلواني من دراسات "كالجمع بين القراءتين" وفي حاكمية القرآن" وغيره كله محاولة لتطبيق بعض محاور هذه المنهجية. واعتبر العلواني: أن أهم ما وصل إليه أخيراً هو تحديد محاور القرآن الأساسية وقيمه العليا، وهي " التوحيد والتزكية والعمران"، حيث أنها تشكل المرجعية الأساسية لتجديد العلوم الإسلامية، وبناء المنهجية المعرفية القرآنية، وإعادة تفعيلها بشكل قرآني. بشكل يسمح بإبراز "المنهج القرآني".

ثانياً: أهمية المنهج القرآني:

يرى العلواني أن: "النص القرآني فريد معجز مطلق، فالمنهج الذي نقاربه به لا بد أن يكون على أعلى مستوى من الدقة، وأن يكون ذا مواصفات خاصة لعل أهمها وأبرزها ان يكون مستنبطاً منه ذاته، فإن للقرآن منطقاً، ومنهجاً". والحاجة إلى هذا المنهج ضرورية من وجوه:

- فالمنهج القرآني يعيد للعقل المسلم تألقه وقدرته وقابليته لممارسة الاجتهاد ولمزاولة الإبداع.
- المنهج القرآني يصوغ الإشكاليات التي تواجه الإنسان صياغة منهجية دقيقة، ويساعده في حسن توجيه تلك الإشكاليات إلى القرآن المجيد لاستنطاقه الجواب بعد العروج إلى عليائه" (١)
- المنهج القرآني " ضرورة لمراجعة ما بني حول القرآن المجيد من تراث، ويقدمه للقرآن لنقده وإعادةه إلى حالة الصدق، ثم الهيمنة عليه، واستيعابه، وتجاوزه"
- فالمنهج القرآني هو القادر على التصديق على سائر ما وصلت البشرية إليه من مناهج، والهيمنة عليها، والمنهج القرآني لا يهدم المناهج القائمة، فمثلاً المنهج العلمي المعاصر يعاني من أزمت متعددة، فالمنهج القرآني يخرج من حالة الإستلاب التي تمرغ فيها، ويكمل هذا المنهج بالتصديق عليه والهيمنة والاستيعاب والترقية والبناء عليه، وتجاوز ما يستحق التجاوز.
- إن التسليم بوجود منهج قرآني، وقراءة القرآن الكريم وفقاً لضوابطه، ومحدداته سوف يساعدنا على قراءته قراءة فلا تسمح بدعاوي التعارض، التي تستدرج إلى القول بالنسخ، ولا دعاوي الإبهام أو المتشابه وما إلى ذلك، فالمنهج يقدم دليلاً تفسيريًا هادياً تستقيم القراءة بمقتضاه.

(١) العلواني ، معالم في المنهج القرآني، المرجع نفسه، ص ٥٠

المبحث الثاني : محددات المنهجية المعرفية القرآنية (الجمع بين القراءتين)

وبعد أن تحدثنا عن فكرة المنهج في جهود الشيخ، وعن ضرورة بناء المنهج القرآني، يلزمنا الآن أن نتناول حقيقة هذا المصطلح (المنهجية المعرفية القرآنية) التي أثارها العلواني في دراساته القرآنية وارتكز عليها في تحديد معايير هذه الدراسات وثوابتها، وقصد بهذا المصطلح "المنهج الذي يقدمه لنا القرآن المجيد في شكل محددات، و سن قوانين يمكن استنباطها من استقراء آيات الكتاب الكريم تلاوة وتدبراً وتفسيراً وتفكيراً وتعقلاً وتذكراً، ثم التعامل مع هذه المحددات تعاملًا يسمح لنا بأن نجعل منها محددات تصديق وهيمنة، وضبط لسائر خطواتنا المعرفية"

وقد قدم العلواني دراسات قرآنية عديدة اعتبرها محددات لتلك المنهجية، وبرأيه كلما تدبرنا القرآن الكريم حق التدبر، كلما استنبطنا منه محددات أكثر وأكثر، ولكن المنتبغ لدراسات العلواني يجد تركيزه الدائم على ما اعتبره أهم خطوة منهجية، وأبرز محدد منهاجي يساعد على كشف، وتحديد بقية المحددات المنهجية القرآنية. وهو محدد (الجمع بين القراءتين).

فما هي حقيقة القراءتين، وكيفية الجمع بينهما؟

المطلب الاول: الجمع بين القراءتين (النشأة- المفهوم):

أولاً- النشأة:

القرآن الكريم هو المخرج من الفتن فهو الجامع لنبا الأولين وحكم الحاضر وخبر المستقبل. وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، والقرآن كاف، وأودع الله في كتابه السرعة والمناهج، وأمر نبيه ﷺ في مفتتح نزول القرآن بقراءتين، ومن هنا جاء اهتمام العلواني بفكرة الجمع بين القراءتين والتي يكرر ها في جميع دراساته وأبرزها بمؤلف أسماه الجمع بين القراءتين (قراءة الوحي وقراءة الكون) حيث يرى أنهما: كتابان تجب قراءتهما- معا : كتاب منزل معجز وهو القرآن، وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والكون والتجارب البشرية فيه. وفكرة الجمع بين القراءتين " كانت هي المنهجية البارزة للصدر الأول، المتمثلة في الربط بين النص والواقع وذلك بالتفاعل السليم بين العقل المتهدي والنص المعصوم والواقع المتغير تفاعلا جعل من فقه التنزيل وفهمه وآليات ربطه وبالواقع وترشيد سبل الحياة بقيمه الأساس السليم لبناء الحضارة الإسلامية الشامخة. ويؤكد العلواني بأن منهج الجمع بين القراءتين بقي قائما إلى ظهور تلك العلوم الوسيطة التي تحولت إلى حائل بين العقل المسلم والنص الموحى والكون وقضاياها.

وقد تعرض إليها بإيجاز بعض كبار العلماء:

منهم: الحارث المحاسبي ت (٢٤٣هـ): أشار إلى أن: "العقل الغريزي الذي أودعه الله فينا بات عليه أن يدرك بأن حجة الله عليه حجتان" هما: العيان الظاهر: و ما يشاهده الإنسان من مظاهر هذا الكون المنظم الدال على عظمة الله وجلال قدرته وجمال صنيعته. والخبر القاهر: وهو ما أوحى به الله تعالى على نبيه محمد ﷺ من أي وخبر قاهر " ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ (فصلت: ٤٢).

- وما يذكره الامام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ): "فالعلوم كلها داخلية في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته: وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها. والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن "

- وها هو الامام الرازي (ت: ٦٠٦هـ) قد بني تفسيره كله إنطلاقاً من هذه الفكرة: "إن الرازي اعتبر القرآن مصدر العلوم والمعارف كلها، الشرعية كانت أو المادية. فقال "أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور، وكررها وأعادها مرة بعد أخرى "

ثانياً- (مفهوم القراءة في القرآن):

وردت كلمة "قرأ" في القرآن الكريم بتصريفاتها المختلفة سبع عشر مرة. وارتبط فعل القراءة في القرآن بثلاثة كتب: كتاب الخلق، أو كتاب الكون ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾

(العلق: ١-٢). والكتاب السماوي الذي هو كتاب الوحي، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ ﴿١٨﴾﴾ (النحل: ٩٨). وكتاب العمل ﴿أَجْزَيْبٌ بِمَنْ تَحْتَمَتِ﴾ (الاسراء: ١٤)، وكان القرآن ينص على

ضرورة قراءة كتاب الكون بمفتاح كتاب الوحي، ويقول: ارتقب ثمرة جهدك، وجزاء تعبك في كتاب العمل فقراءة القرآن: "عملية يشترك اللسان في الإفصاح عن المقروء فيها وإظهاره، والقلب في تفهمه وفقه مراده، والوقوف على حقائقه إدراكاً ووعياً". ففي جمع هذه الحقائق وضمها إلى القلب، جمع وعي وفهم تعقل، تتفاعل عملية القراءة في القرآن، ليتأهل بالقراءة إلى وظيفة الاستخلاف والعبودية في الأرض، ولينطلق في آفاق الكون الواسع يسوقه، ويرشده دليل أمين، فيخرج من حال الجهل إلى حال العلم، ومن حال الظلام إلى حال النور، ومن حال الضلالة إلى حال الهداية".

وفي ضوء ذلك علينا أن نذكر بعض أقوال المفسرين في تفسير كلمة (اقرأ)، فالقرطبي اعتبر قرأ الثانية توكيداً وجعلها من تمام الآية الأولى^(١)، ويشير عدم ذكر فعل اقرأ الثانية لدي الطبري إلى اعتبارها مرادفاً أو توكيداً^(٢)، والرازي فقد أعطى لكل من الفعلين معنى يخصه فقال ناقلاً عن بعضهم "اقرأ لنفسك، والثاني للتبليغ أو الأول للتعلم من جبريل والثاني للتعليم أو اقرأ في صلاتك والثاني خارج صلاتك"^(٣)، وذكر ابن عاشور ثلاثة أقوال الثاني منها : "أن تكون الباء للمصاحبة ويكون المجرور في موضع الحال من ضمير (اقرأ) الثاني مقداً على عامله للإختصاص ، أي : اقرأ ما سيوحى إليك مصاحباً لقراءتك اسم ربك . فالمصاحبة مصاحبة الفهم والملاحظة لجلاله ، ويكون هذا إثباتاً لوحداية الله بالإلهية وإبطالا للنداء باسم الأصنام الذي كان يفعله المشركون يقولون : باسم اللات ، باسم العزى ، كما تقدم في البسمة . فهذا أول ما جاء من قواعد الإسلام قد افتتح به أول الوحي "

وأما عن العلواني فيقول : "والقرآن لا تكرر فيه ولا ترادف ، فمجيء مفردة (اقرأ) مرتين تعني أن لكل منهما معنى بالسباق واللاحق والموضع، لذلك فصيغة الأمر في قوله ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ^(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ^(٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(٥) تدل على أمرين بقراءتين لكل منهما معناها المراد بها، وخصائصها، ومجالها"^(٤)

أي ما يريده العلواني أن اقرأ الأولى لها معنى ، واقرأ الثانية لها معنى آخر حسب السياق والسياس، ولا ترادف ولا تكرر كما ذهب إليه بعض المفسرين ، وحيث جعل العلواني أن الجمع بين القراءتين، أهم محدّدات القراءة.

١- فالقراءة الأولى تعني : "قراءة باسم الله أو على اسمه - تعالي ومعه آي (أنك لن تكون وحدك في أداء هذا الفعل الذي لا تعرفه، بل سيكون معك ربك الذي أعطاك الكثير وهو قادر على أن يعلمك كيفية أداء ما أمرك به... كما علم آدم الأسماء كلها، وكما علم إبراهيم وموسى وعيسى وسواهم من النبيين والرسل عليهم السلام-من قبلك). ودلالة ذكر الإنسان وذكر خلقه - فيه طمأنة لرسول الله ﷺ بأن منحه القدرة على القراءة ليس بالأمر الصعب على ربه الذي خلق كل شيء وخلق الإنسان من علق والأمر الآخر فيه" تهئية لذهنه الرشيد ونفسه الشريفة ﷺ لبيان النوع الثاني من القراءة، وهي قراءة الخلق ودراسة الوجود"

(١) القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، مرجع سابق، ج٢٠، ص ١١٩

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج٣٩، ص ٢٥٣

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج٣١، ص ١٦

(٤) العلواني، الجمع بيت القراءتين، مرجع سابق، ص ١٤-١٥

٢ — والقراءة الثانية: "وهي قراءة كتاب الكون المتحرك والنظر في الخلق. فهذه القراءة هي التي صاغ القرآن المجيد بحسبها "دليل الخلق"^(١)، ودليل العناية والإبداع^(٣)، والتكليف بالنظر العقلي بالوجود، والنظر في آثار الأمم السابقة. وهي قراءة لكتاب الخلق، بهدي الوحي، تهتدي بآيات هذا الكتاب، وتبتعد عن الحرفية والسطحية التي أخلت بمنهج قراءة القرآن ومقاصده، وتنتهي عن مجرد ترديد الأصوات والإشتغال بالحروف والألفاظ." (٤)

المطلب الثاني: أهمية الجمع بين القراءتين، وكيفية الجمع بينهما:

أولاً: أهمية الجمع : ولكي تحقق تلك الدراسة "الجمع بين القراءتين" أهدافها فمن الضروري التعرف على أهمية الجمع بين القراءتين ومنها:

- ١- فكتاب الوحي وكتاب الكون هما مصدران من مصادر المعرفة يتضافران في توصيل الإنسان إلى معارف الشهود الحضاري، والقيام بمهام العمران والاستخلاف في هذا الكون.^(٢)
- ٢- رد دعوى الفصام المزعوم بين معطيات الوحي ونتائج المعرفة الموضوعية.^(٣)
- ٣- يتبين الناس أركان العقيدة السليمة وأصولها كما جاء القرآن المجيد بها
- ٤- تكوين ثقافة المسلم المعاصر وبشكل يختلف عن الذوق الغربي الأوروبي الذي انتهى إلى تمزيق البشرية بين اللاهوت الكهنوتي والوضعية الملحدة أو الجاهلة.

(٢) دليل "الخلق" كيف (بدأ الله الخلق) وهو يقتضي الإيمان التام واليقين الخالص بان الكون -كله- مخلوق لله - تعالى - عن إرادته صدر، وبكلماته تكون، وبتقديره تشياً: فصار شيئاً مذكوراً^(*). والقرآن المجيد يؤخذ بيد الإنسان للوصول إلى معرفة الخالق وإدراك وحدانيته. ويدعوه للتفكير في خلق السماوات والارض، ويبني التصور السليم عن الكون والحياة والإنسان، انظر العلواني،. الجمع بين القراءتين، ط(دار الشروق)، ٤٣، ٤٩،

(*) والتشويؤ: تحول ما هو ليس بشئ ليصبح شيئاً، وهو مفهوم فلسفي فيقسم الوجود بين عالم الافكار وعالم الاشياء الذي يتعلق بما هو مادي وحسي. انظر العلواني، الجمع بين القراءتين والمنهج التوحيدي للمعرفة، المكتبة الالكترونية للعلواني

(٣) ودليل العناية هو "النظر في نظام الكون الدقيق، واكتشاف بدائع الصنع الالهي فيه، والقوانين والسنن التي لا تتبدل لها، ويوضح في الوقت نفسه الرعاية الإلهية للإنسان بهذه العناية، انظر العلواني،. الجمع بين القراءتين، ط(دار الشروق)، ٤٣، ٤٩،

(٤) ادغامين، القرآن بين آفاق القراءة والتلاوة، مرجع سابق، ص ٢٥

(٢) العلواني ، الجمع بين القراءتين، مرجع سابق، ص ١١

(٣) العلواني ، الجمع بين القراءتين، المرجع سابق، ص ١٥

٥- شعور الإنسان بحاجته إلى خالقه مفقداً إليه، فلا يستبد ولا يبتغي علواً في الأرض ولا فساداً ولا يطغى. (١)

٦- بما أن القرآن قدم أنجح الحلول لأزمة الإنسان المعرفية في عصر التنزيل، تلك الأزمة التي عرفت "بالجاهلية" وبالظلمات، لذلك فالتأكيد الدائم على وجوب الجمع بين القراءتين شرط مسبقاً للخروج من الأزمة الفكرية والمعرفية في مستوياتها العالمية والمحلية. (٢)

٧- وباعتماد الجمع بين القراءتين نستطيع أن نبني المنهج التوحيدي المعرفي، وهو: التوحيد بين اللاهوت والملكوت والناسوت، والإفادة من المعارف والعلوم في إيضاح العلاقة بين الخالق والكون والإنسان. (٣)

ثانياً : كيفية الجمع :

وعندما تبين لنا أن الجمع بين القراءتين أمر ضروري، فعندها سندرك الخلل في التفريق بين القراءتين، فالقراءتين فريضة، لأنهما أمران إلهيان، ولذلك أكد العلواني على وجوب الجمع وبيان كيفية الجمع بينهما، ووضح العلواني أن المدخل الأساسي للجمع بين القراءتين هو البدء باكتشاف العلاقة المنهجية بين الناظم المنهجي لآيات القرآن الذي أعطى القرآن وحدته البنائية، وإعجاز نظمه، وبين السنن والقوانين المبنوثة في الوجود، والمهيمنة على حركته للكشف عن الناظم المنهجي الذي يربط بينهما. فالقرآن وحي إلهي نتعقل به ونتفهم به هذا الوجود إنطلاقاً من أن القرآن مطلق، ومحيط وشامل. وبقدر ما تتسع معرفتنا للإثنين معا بقدر ما تتكون لدينا القدرة على "الجمع بين القراءتين". (٤)

ويؤكد العلواني على وجوب الجمع بين القراءتين باعتباره ذلك شرطاً مسبقاً للخروج من الأزمة الفكرية والمعرفية في مستوياتها العالمية والمحلية، وأن هذه المهمة (الجمع بين القراءتين) لا يستطيع النهوض بها إلا من أوتي القرآن وحظاً من العلوم والمعارف كافياً لاكتشاف ذلك التداخل المنهجي بين القرآن والكون والإنسان (٥). لذلك كان الميدان العملي للوصول إلى "المنهجية المعرفية القرآنية" المنشودة في أربعة محاور: منهج التعامل مع القرآن الكريم، ومنهج التعامل مع السنة النبوية، ومنهج التعامل مع التراث الإسلامي، ومنهج التعامل مع التراث الإنساني المعاصر.

(١) انظر، العلواني، الجمع بين القراءتين، المرجع نفسه، ص ١٨

(٢) انظر، العلواني، الجمع بين القراءتين، المرجع نفسه، ص ١٥

(٣) العلواني، الجمع بين القراءتين، المرجع نفسه، ص ١٩

(٤) انظر، العلواني، إسلامية المعرفة، مرجع سابق، ١٩، وانظر العلواني الجمع بين القراءتين، ص ٥٤.

(٥) العلواني، الجمع بين القراءتين، مرجع سابق، ص ٥٩

الفصل الثالث

منهج التعامل مع القرآن الكريم، وعلومه

مدخل الدراسة :

إن محاولة التعامل مع القرآن كأصل أو بتعبير العلواني كـ " منشئ للأحكام " لا بد أن يقود إلى محاولة وزن التراث بميزانه، ورد كل المعارف النقلية التي أنتجها العقل الإسلامي على مر العصور إليه، في محاولة للوصول إلى حالة من ضبط تلك العلوم بالبوصلة القرآنية. ولذا حاول العلواني أن يقف مع القرآن الكريم في خطوة ربما كانت مستغربة من البعض على فقيه يرون عمله محصوراً في الأحكام والفتاوى.. لكن الأمر مع العلواني مختلف.. فهو فقيه يرى الفقه الحضاري المستوعب لحركة الحياة هو الأصل، لا الفقه الحكمي الجزئي الذي يمثل قيوداً على تلك الحياة ويشل حركتها بـ (افعل ولا تفعل)^(١).

وقد ذكرت في الفصل السابق عن المنهجية المعرفية القرآنية في جهود العلواني، وأبرز محدّداتها، ومن المهم أيضاً أن نبين كيف وظف العلواني تلك المحدّدات في التعامل مع قضايا التفسير وعلوم القرآن؟ وهنا يلزمنا أن نتحدث عن دور العلواني في بناء المفاهيم، حيث يمثل العلواني ذروة ما وصلت إليه إسلامية المعرفة، في تأسيس علم بناء المفاهيم الإسلامية، وما يقوله السيد عمر بشأن ذلك: "لانبالغ إذا قلنا بأن جوهر كافة مؤلفات العلواني هو توليد لمنهجية لبناء المفاهيم بوجه عام، وبناء بعض المفاهيم المنظومات، وتفكيك ثلة من المفاهيم الشائعة الدارجة وإعادة بنائها. ويحسب له أنه لم يشغل كما فعل كثير من علماء الأمة بتفكيك مفاهيم غربية وإعادة بنائها"^(٢) فساحة مشروعه الفكري كله ظلت على الدوام هي بيان معالم طريق: "تنقية التراث الإسلامي مما علق به من غبش في بناء المفاهيم الإسلامية المحورية، التي صارت من فرط استقرار مضامينها ومن حجية من بنوها، بمثابة مسلمات تعيد إنتاج معارف مزجاة، هي أحوج ما تكون إلى إعادة النظر والبناء"^(٣).

(١) انظر ، فرحات، إسلام، الفقيه العلواني مصارع في حلبة التراث، مرجع سابق

(٢) عمر السيد. رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط. ١ (١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م)، ص ٥٣

(٣) عمر ، السيد، رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة العلواني، المرجع نفسه، ص ٥٣، بتصرف

فقام العلواني ببناء العديد من المفاهيم المنظومات، يتصدرها مفهوم القرآن، مع استدعاء العديد من المفاهيم الدائرة في فلكه لإخضاعها للمراجعة والضبط، وجوهر تعريف العلواني لهذا المفهوم هو أن القرآن: "هو الكلمة الربانية الفريدة الواحدة، وهي بتلك الصفات الثلاث مفارقة لأي نص آخر. فهي التي لم يدع الله تعالى أمر حفظها لسواه، وقرآنها ذات طابع تنفرد به، هو اقتضاء حضور قارئها بكلية قلباً وعقلاً ووجداناً، وكأنه يتلقاها مباشرة دون وسائط بخطاب إلهي مباشر، فهي لايمسها إلا المطهر"، ومن حقها النأي بها عن كل مالا يليق بمقامها^(١). وعبر إعادة بناء مفهوم القرآن من منظور يتجاوز المعنى الشائع (كلام الله تعالى المنزل على نبيه المنقول بالتواتر، المتعبد به، المجموع بين الدفتين) إلى الكلمة القرآنية الواحدة، تتحقق نقلة معرفية بالغة الأهمية، تفتح آفاقاً غير محدودة لتصويب مفاهيم خاطئة، ومع أن التعريف الدارج لاغبار عليه في ذاته، إلا إنه ليس كاشفاً لمنهجية التأسيس القرآني للمفاهيم، مما جعله غير عاصم من التعضية والتجزئة تارة، ومن توليد مفاهيم تحكمية من خارج القرآن.^(٢)

لذلك يستدعي مفهوم القرآن مفهوماً مركزياً هو: الوحدة البنائية للقرآن، وإعادة بناء مفهوم تفسير القرآن بالقرآن، وتفنيد مفهوم النسخ، ورفض دعوى المتشابه.

(١) عمر، السيد، الحقيبة المعرفية، مرجع سابق، ص ٧٤

(٢) عمر، السيد، المرجع نفسه، ص ٧٤-٧٥

مدخل الدراسة :

يرى العلواني أن الوحدة البنائية هي نواة المنهاجية القرآنية، وأكد في جميع دراساته على ضرورة الإيمان بالوحدة البنائية كخطوة منهجية ضرورية في التعامل مع القرآن، والتي لا يستغنى عنها في فهم القرآن وحسن تفسيره، ودقه تأويله ، فان هذه الوحدة البنائية المتولدة من دقة نظم القرآن الكريم، سارية في القرآن كله، وماثلة في مختلف أجزائه.

ولكن غياب الرؤية الكلية ، بعدم التعامل مع القرآن من منطلق الوحدة البنائية، أوقع الأمة الإسلامية في فخ القراءة التعضوية، والقراءة الحماوية في التعاطي مع القرآن فيقول العلواني في ذلك: وقد حذر القرآن الكريم من كثير من القراءات التي تكون حجة على القارئ، لا حجة له، وهي القراءة الحماوية وليس هناك شيء ابلغ في نفي حقيقة القراءة وعدم الاستفادة بها من هذا المثل، والقراءة الثانية الأخطر حين شابها "﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ

﴿ (الحجر : ٩١/٩٠) " أي من "التعضية" بمعنى التفريق والتجزأة ، فقسّموه أعضاء ، وأجزاء حسب أهوائهم، وبمشابهة المقتسمين^(١)، حرم المسلمين الكثير من أنوار القرآن، وآثار آياته الموحدة التي أحكمت فصارت كالكلمة الواحدة.

المطلب الاول: حقيقة الوحدة البنائية:

الوحدة البنائية: مركب وصفي ، أما "الوحدة" هي "مقابل للكثرة والتعدد، فكون الشيء واحدا يعني انه ليس متعددا، ولا قابلا للكثرة والتكرار ، وفي "الوحدة" معنى الثناء، فإن قيل فلان واحد دهره أي لانظير له" وحيث أن القرآن المجيد منفصل عن سائر الكتب المنزلة وغير المنزلة، متفوق عليها – جميعا - بخصائصه ومزاياه ، ونظمه وبلاغته وفصاحته وهو في الوقت ذاته واحد في داخله بهذه المزايا والخصائص. ، ويقال الله الأوحد والمتوحد : ذو الوجدانية^(٢)

(١) انظر ، العلواني: طه جابر، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة ، ط ١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ص ٧-١٠، بتصرف

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط ٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٧م)، ص ٤١٤

اي لايشركه أحد في الوجدانية. والمقصود بهذا المركب "الوحدة البنائية للقرآن": أن القرآن المجيد واحد لا يقبل بناؤه وإحكام آياته التعدد أو التجزئة في آياته، أو التعضية، بحيث يقبل بعضه ويُرفض بعضه الآخر، كما لا يقبل التناقض أو التعارض^(١) فهي قضية قائمة بالقرآن كله؛ فالقرآن -كله- كالكلمة الواحدة، والجملة الواحدة، في كل سورة وأجزائه، يتسع حتى يصبح كوناً يعادل الكون -كله- بل يستوعبه ويضمه تحت جناحيه، ويدق حتى تراه كأنه كلمة واحدة لكنها عين جارية لا تتوقف ولا تغيض ولا تغور ولا تنضب في المعاني التي تشتمل عليها، والصور الرائعة المثيرة التي ترسمها في ذهن السامع، والآثار الهامة التي تتركها في نفسه.^(٢)

وفي تتبع العلواني لمسيرة الوحدة البنائية حيث بين أن الوحدة البنائية كمصطلح في الإطار الذي يقدمه لم يجده دائراً على ألسنة المتقدمين، وقد وجد العلواني أن بذورها وبراعمها الأولى لدى البلاغيين وأصحاب البيان اللذين التقطوا تلك الموجهات القرآنية، والأضواء النبوية، وإشارات وأفهام بعض الصحابة ليبنوا عليها "نظرية النظم" و"فلسفة التحدي" ودلائل الإعجاز، وغيرها من التخصصات أو الأقسام التي تحتضن بذور الوحدة البنائية، فكثير من الأفكار المهمة تبرز - في بعض الأحيان في إطار أفكار أخرى.^(٣)

فما ينقله ابن هشام عن أبي علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ) قوله: "القرآن كله كالسورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة أخرى، نحو ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ

لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ (الحجر: ٦) وجوابه: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ (القلم: ٢). "^(٤)

ثم أصبحت الوحدة البنائية "أمراً معروفاً ومتداولاً في القرن الخامس الهجري، والحديث عنها أصبح مدخلاً منهجياً في التفسير والتأويل، وتوجيه النصوص التي تثار حولها إشكالات لغوية ونحوية"^(٥)

(١) العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مرجع سابق، ص ١٤

(٢) العلواني، الوحدة البنائية للقرآن، المرجع السابق، ص ٤٨

(٣) انظر، العلواني، الوحدة البنائية للقرآن، المرجع نفسه، ص ٤٩

(٤) الانصاري، ابن هشام، مغنى اللبيب، مكتبة سيد الشهداء، ج ١، ص ٣٢٨

(٥) العلواني، الوحدة البنائية، مرجع سابق، ص ٦٠

المطلب الثاني:مداخل تخدم الوحدة البنائية:

هناك مداخل مهمة للوحدة البنائية اعتبرها العلواني جميعها مترابطة ستساهم في إبراز نظرية الوحدة البنائية، وتعزز القول بها ومنها :

١- مدخل تفسير القرآن بالقرآن:

اعتبر العلواني تفسير القرآن بالقرآن: من الخيوط الموصلة للوحدة البنائية، فإن تفسير القرآن بالقرآن هو تفسير متعدد المداخل، القرآن فيه هو المرجع الأساس في فهمه باعتبار الوحدة البنائية له.ومن شأن الوحدة البنائية أن تحدث تغيرات جوهرية في علم التفسير.

٢- مدخل علم المناسبات:

يعتبر علم المناسبات او التناسب بين الآيات والسور علماً دقيقاً ومهماً ، نقل عن القاضي ابن العربي(ت: ٥٤٣) أنَّ علم المناسبات وارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم"^(١) ويقول: الإمام فخر الدين (ت: ٦٠٦هـ)، في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"^(٢).

ويقول الزركشي (ت: ٧٩٤): "فائدته:جعل أجزاء الكلام بعضها آخداً بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"^(٣).

إذاً فلو عمدنا إلى هذه القراءة المتدبرة لسورة قرآنية بهذا المدخل من المناسبات والبحث فيها وإدراكها فسنكتشف شبكة من العلاقات بينها تجعلنا نشعر أنها نزلت حين نزلت، وكأنها نجم واحد، أو أنها نزلت مرة واحدة.^(٤) وهذه القراءة، تحول دون وقوع المفسر في كثير من الأخطاء، كما قال دراز: "وبهذا تعرف مبلغ الخطأ الذي يتعرض له الناظرون في المناسبات بين الآيات حين يعكفون على بحث تلك الصلات الجزئية بينها بنظر قريب إلى القضيتين أو القضايا المتجاوزة، غاصين أبصارهم عن هذا النظام الكلي الذي وضعت عليه السورة في جملتها"^(٥).

(١) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الـدميـاطي، دار الحديث: القاهرة(١٤٢٧-٢٠٠٦م)، ص٣٧.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١١

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٣٦

(٤) انظر، العلواني، أفلا يتدبرون القرآن، ص ١٤١

(٥) دراز، عبدالله، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ط ٥ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م)، ص ١٥٩

٣- مدخل البحث بالتفسير الموضوعي:

إن المتتبع لجهود العلماء في التفسير الموضوعي يرى بوضوح أهمية ذلك النوع من التفسير^(١)، إذ هو تفسير العصر، وتفسير المستقبل أيضاً، فحاجة الملمين إليه ماسة في كل وقت وبه نقدم القرآن تقدماً علمياً منهجياً لإنسان هذا العصر، وفيه إبراز لعظمة هذا القرآن^(٢)، ويجلي الحقائق القرآنية، التي تهيب فكر المسلم وقلبه للصالح. ^(٣) وثرء التفسير الموضوعي يكون بالنظر الدائم والربط المستمر بين القرآن والواقع، وبين الواقع والقرآن وكله من أجل تحقيق النهضة والشهود الحضاري، والتفسير الموضوعي تنبثق فكرته من مفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن أو سورة، سورة سورة. ^(٤)

فيقول د. سعيد حوى عن أهمية الوحدة الموضوعية: " إن منزل هذا القرآن المحيط بكل شيء جعل في كتابه من أسرار الإعجاز، ومن تشابك الصلات بين سورة وآياته ما به يعرف أن هذا لا يمكن أن يكون إلا إذا كان منزل هذا القرآن هو الله رب العالمين، الذي أحاط بكل شيء علماً" ^(٥)

إذاً يعتبر التفسير الموضوعي مهم لإبراز الوحدة البنائية في القرآن، ولكن تلك الوحدة تستوعبه، ومن ثم تتجاوزه، فعندما نتدبر القرآن ونمرّن أنفسنا على تحديد موضوعات من القرآن عندها نجد أنفسنا بحاجة إلى النظر المستمر بالقرآن، دون الاقتصار على قراءة الآيات التي وردت فيها هذه الموضوعات ونقوم باستقراءها وتتبعها ومعرفة ماسبق ذكر تلك الآية التي تعتبر نصاً في الموضوع وما لحقها للكشف عن سياقها وما يمكن أن يعطينا ذلك من إضافات ومؤشرات تساعدنا على فهم الموضوع في كليته دون الوقوع في عملية التجزئة، عندها سنعيد النظر المستمر في القرآن الكريم، في كليته ووحدته مراراً مما يعزز القول بالوحدة البنائية، ووحدة السورة. ^(٦)

(٤) هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر، انظر مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم: دمشق، ط ٦ (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)، ص ١٦

(٥) الخالدي، صلاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ط ٢ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م)، ص ٥٦

(٣) الدغامين، زياد، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دار البشير: الاردن، ط ١ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م)، ص ٣١

(٤) انظر، الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المرجع نفسه، ص ١٥

(٥) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام: القاهرة، ط ١ (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، ج ١، ص ٢٥

(٦) انظر، العلواني، أفلا يتدبرون القرآن، مرجع سابق، ١٣٨ - ١٣٩

٤- البحث بوحدة السورة :

ولقد تنبه كثير من المفسرين، و المهتمين بالدراسات القرآنية إلى الوحدة البنائية للسورة، حتى لو كانت من السور الطويلة، ولو اختلفت الموضوعات بين أقسام المكي والمدني. وهذا الارتباط بين السور مظهر إعجازي بالغ الأهمية، وممن أشار إلى هذه الوحدة الشيخ دراز - " لو عمدنا إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد - وما أكثرها- وتتبعناها مرحلة مرحلة، وتدبرناها كيف بدئت وكيف ختمت، كيف تقابلت أوضاعها وتعادلت، وكيف تلاقت أركانها وتعانقت ، لو تدبرنا ذلك لوجدنا إئتلافاً وتناسباً بين المعاني والمباني، ولبدت لنا السورة وكأنها نزلت في نجم واحد"^(١)

والبحث بالوحدة البنائية على مستوى السورة يمثل البعد العملي للكشف عن مقاصد القرآن الكريم وهو ما قد يفهم من كلام العلواني حيث قال : "فالسورة وحدة، لها عمود يقوم بناؤها عليه، وذلك العمود هو موضوعها الأساس، والموضوعات الأخرى في السورة كلها أوتاد معضدة ومعززة للعمود الأساس. فالتوحيد يشكل العمود الأساس لمعظم سور القرآن المجيد ، وتدور حوله أوتاد أخرى تتناول التزكية والعمران، وإذا سلم بهذا فإنه يصبح من اليسير التسليم بوحدة القرآن البنائية".

ويقدم العلواني نموذجاً على تدبر عمود السورة (سورة الفاتحة) : فمن خلال تدبره لسورة الفاتحة وجد أن سورة الفاتحة ذات الآيات السبع سورة عمودها الأساس حصر الحمد والثناء والعبادة والاستعانة بالإله الواحد الأحد الرب الفرد الصمد، مع تعليل ذلك كله ببروبيئته وألوهيته وحاكميته وملكيته التامة للعالم والآخر، وأن مواقف الناس من ذلك - أي: حصر الحمد والعبادة والاستعانة بمن يستحقها - ولا مستحق لذلك إلا الله- ذلك أمر قد انقسم البشر حوله لما سبق في علم الله (تبارك وتعالى) فكان منهم أولئك الذين سلموا بهذه الحقائق وأمنوا بها فكانوا من الذين اهتدوا فزادهم الله هدى وأنعم عليهم في الدنيا بالهداية والتقوى وتمام النعمة، وفي الآخرة بقبولهم وإسكانهم دار رضوانه، وفريق غضب الله عليه ليأسه من الآخرة وتنكره لأنبياؤه الله وقتله وتكذيبه لكل من جاءهم بما لا تهواه نفوسهم من هدى الله ودينه، أولئك هم المغضوب عليهم

ويربط العلواني بين عمود السورة والهدف من الأمر بتلاوتها في كل ركعة من ركعات الصلاة مفروضة أو مندوبة: — ليتذكر المسلم في كل ساعة بهذه السورة التي أحكمت التوحيد الخالص والإيمان العميق وما يتطلبه من حصر الثناء والحمد والشكر والاستعانة والعبادة بالله رب العالمين، والتفكير الدائم ببروبيئته وألوهيته ونعمه وصمديته وتفردّه ووحدانيته في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله.

(١) دراز، النبأ العظيم، مرجع سابق، ص ١٥٠-١٥٢

المطلب الثالث : أهمية القول بالوحدة البنائية للقرآن المجيد:

١- تعد " الوحدة البنائية منظومة القرآن الداخلية التي تحفظه ،وتعصمه من التغيير والتحريف" (١)
٢- كما أن من شأن هذه الوحدة البنائية" أن تؤهل الجهود الرامية إلى إعادة بناء العلوم والمعارف الإسلامية على ضوء مقاصد القرآن الكريم ومرجعياته الحضارية"(٢)

٣- تعتبر الوحدة البنائية ضرورة للتدبر يقول العلواني : "أنه قرآن أراد له قائله ومنزله - تبارك و تعالی - له أن يقرأ ويتدبر ،ويتفكر فيه ،فأودع الله فيه كل ما يجعله جاذبا لأصناف الخلق كافة ،مستدعيا لهم لقراءته قادرا على صنع الدوافع والدواعي والإرادات لترتيبه وتلاوته. ووحدته تمثل الركن الأساس في هذا كله،فالقرآن بناء محكم ،ونظم متفرد واحد ،تسري فيه - كله - روح واحدة تحوِّله إلى كائن حيّ يخاطبك كفاحا، ويشتبك معك في جدل شامل يجيب به عن تساؤلاتك ،ويسقط عنك أصر شبهاتك، ويعيد تصميم تصوراتك وبناء قواعد ومنطلقات أفكارك، وتصحيح معتقداتك حتى يضعك على الصراط المستقيم لتستقيم على الطريقة ،وتبلغ شاطئ الحقيقة"(٣)

٤- تبرز أهمية الوحدة البنائية في مواجهة محاولات الطعن في القرآن الكريم، فكل المحاولات التي تريد إقصاء القرآن عن ساحة الفعل الحضاري من خلال محاولات مكشوفة عبر عناوين التجديد أو النقد ترتد أمام وحدته البنائية خاسئة وهي حسيرة؛ لأن القرآن الكريم بكل بساطة من عند الله فطبيعي أن يتسم بصفات الرحمن من الكمال والتوحيد ولهذا فهو معجز في نظمه ومعجز في دلالاته ومعجز في تناسيبته البيانية العجيبة(٤)

٥- دور الوحدة البنائية في استعادة مهمة علم "التوحيد" كما قدّمه القرآن للبشرية ،باعتباره أعلى القيم القرآنية العليا الحاكمة وأساسها(٥) .

إذاً اعتبر العلواني أن تلك الوحدة البنائية هي المحدد الثاني بعد المحدد الأول وهو الجمع بين القراءتين، وهي سارية بالقرآن كله .ولكي تبرز مزاياها وتأخذ موقعها المهم بين المحددات المنهاجية،فهي بحاجة إلى توظيفها بشكل منهاجي دقيق وذلك يتطلب جهود مكثفة.

(١) العلواني، الوحدة البنائية ،،مرجع سابق ،ص١٧-١٨

(٢) العلواني، الوحدة البنائية ،،مرجع سابق ،ص١٧-١٨

(٣) العلواني ، الوحدة البنائية ، مرجع سابق ، ص ١٥

(٤) انظر ، مازي، يوسف،الوحدة البنائية في القرآن الكريم، تاريخ ٩-٢-٢٠٠٩، توقيت ١١:٣٥

(٥) انظر ، العلواني ،الوحدة البنائية، مرجع سابق،ص٦٥-٦٦

مدخل الدراسة :

نؤكد على ما سبق أن ملامح الخطاب القرآني عند العلواني تتمثل في الوحدة البنائية التي تعد الركن الأساس في هذا الخطاب بأكمله، والتي تستدعي بدورها محاور مهمة هي: نقد التراث، وتفسير القرآن بالقرآن، والتوصل إلى المقاصد العليا الحاكمة للقرآن، وتلك المقاصد، تحتل أهمية خاصة في خطاب العلواني للتفسير، فالمقاصد هي نتاج التفسير. ولعل الجديد في خطاب العلواني في يتعلق بالتفسير هو: إعادة صياغة مفهوم التفسير، وإعادة بنائه وتنقيته من الدلالة الدارجة السائدة، وربطه بالوحدة البنائية، والأمر الآخر تغيير مسمى المفسر ووظيفته.

وفي مقدمات تأسيس المفهوم يمهد العلواني بالحديث عن الدوافع وراء تكريس جميع دراساته في القرآن المجيد. ففي بداية حديثه يبين أنه قد أخذ الدرس والعبرة من موقف الإمام الرازي، فقد كتب تفسيره في مرحلة متأخرة من عمره، وحاول أن يربط بين العلوم والمعارف وبين كتاب الله في تفسيره،^(١) وقال في وصيته: "ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم"^(٢). فكان على العلواني أن يعود إلى القرآن الكريم قبل أن يبلغ المرحلة التي بلغها الإمام الرازي. ومن هنا بدأ يكرس العلواني كل جهوده في القرآن الكريم، والمزايا والدوافع كبيرة جداً، فالقرآن الكريم هو الكتاب الكوني به ختمت النبوات بمحمد ﷺ وبه ختمت الكتب السماوية، هو الكتاب المطلق، المعجز، المتحدي، الذي تكفل الله بحفظه، وهو كتاب الاستخلاف، وكتاب التوحيد، والعمران، والتركية، فكان لا بد من الارتباط بالقرآن الكريم وربط مشاريعنا التجديدية والحضارية به بشكل وثيق، والقرآن الكريم مع خصائصه ومزاياه العظيمة، يجعل عملية استجلاء معانيه باستقراء تام أمراً قد تنوء به العصبية من العلماء، ولذلك يبقى في حالة من السموّ تجعل عملية استجلاء معانيه بشكل قريب من الكمال عملية تحتاج - أول ما تحتاج - إلى إدامة الصلة بهذا القرآن، وبناء اللاحقين من أبناء الأمة على ما أسس السابقون، واعتبار عمليات تفسيره وتأويله واستجلاء معانيه، شغل المسلمين الشاغل عبر العصور في مختلف الأجيال. ولا يُنكر العلواني جهود علماء المسلمين الذين بذلوا جهوداً كثيرة في عمليات التفسير والتأويل، وبيان أوجه بلاغة القرآن وفصاحته وتحديه وإعجازه

(١) العلواني، تفسير سورة الأنعام، دار السلام، القاهرة، ط ١، (٤١٣٣هـ-٢٠١٢م)، ص ٢٤.

(٢) العلواني، الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ٦٧.

ولكن كون هذا القرآن، كتاب مطلق كوني، معادل للكون وحركته، مستوعب لهما ، فلا يحيط به تفسير ولا تأويل - ولو تضافت عليهما الجهود - بل يحيط الله وحده سبحانه وتعالى به، الذي فصله على علمه، وبين في محكم آياته ما اختلف الناس فيه، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور.^(١)

ونؤكد أن العلواني لا ينكر جهود علماء التفسير، ولكنه يرى أن بعض هذه التفاسير وقفت حاجزاً بين القرآن والقراء وحرمت الكثير من قرائه من تدبره واستجلاء معانيه. والسبب هو ذلك الركام الكثير من الاسرائيليات والآثار، التي لم تصح سنداً ولا متناً، والمسائل اللغوية والصرفية والنحوية والبلاغية، والأحكام الفقهية^(٢). فكان لا بد من الإقبال على القرآن دون وساطة المفسرين. فيقول العلواني: " وجدت ضالتي فيما كان رسول الله ﷺ يمارسه من منهج في التفسير، حيث كان يفسر القرآن بعضه ببعض، فهدفنا إحياء المنهج النبوي، الذي بُنيت هذه الأمة به، وعلى دعائمه قام عمرائها، وبدأت رحلتنا مع تدبر القرآن، ومحاولة فهمه من داخله واستجلاء أنواره من ثنايا آياته... فوجد في ذلك خيراً كثيراً ونعماً لا تحصى، تجعل القارئ المتدبر - إذا حسن التدبر ومرن عليه- أكثر وعياً بالقرآن، وفهماً لسياقاته، وإدراكاً لمعانيه، واعتباراً بقصصه وأمثاله، وأقرب إلى الصواب في إدراك مقاصده وغاياته"

وفي ضوء ما سبق فقد حدّد العلواني منهجه في تفسير القرآن، الذي يقوم على تفسير القرآن بالقرآن، وتدبره حق التدبر.

المطلب الأول: (تفسير القرآن بالقرآن الأهمية والمفهوم):

أولاً : الأهمية :

وقد برزت أهمية هذا التفسير من - استعمال النبي ﷺ لهذا الطريق واكتسابه الجانب التأصيلي جعله منهجاً تفسيريّاً سار عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم ففي المنقول عنهم من أمثله الشيء الكثير. وبناء على ذلك اعتمده المفسرون في تفاسيرهم وتتبعوا عليه، فالناظر في تفاسيرهم يجد تفسير القرآن بالقرآن ظاهراً وبارزاً، سواءً بنقل تلك الروايات المأثورة عن السلف أو بقيامهم هذه المهمة من قبل أنفسهم لذلك تنوعت عبارات العلماء في بيان منزلة تفسير القرآن بالقرآن، فيعد تفسير القرآن بالقرآن أول أصح طرق التفسير قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن".

(١) انظر، العلواني، تفسير سورة الأنعام مرجع سابق، ص ١١.

(٢) انظر، العلواني، سورة الأنعام مرجع السابق، ص ١٢-١٣ بتصرف.

وذكر الشنقيطي إجماع العلماء: "على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا"^(١). وتحدث محسن عبد الحميد قائلاً: "تفسير القرآن بالقرآن قاعدة جليّة، يصل المفسّر إذا استعان به إلى المعنى الصحيح، لأن القرآن وحدة متكاملة مرتبطة، بعضه يتم البعض الآخر"^(٢). ورأى العلواني أنه "أرقى أنواع التفسير، فهو شفاء لما في الصدور، لأنه يرفع عن نفسك سائر الشبهات، ويزيل سائر الاعتراضات إن كان ثمة ما يستحق الاعتراض، كأن يكون مشتبهاً لم أطلق هنا، ولما قيد هناك، إلى غير ذلك"^(٣).

وقد قلنا سابقاً أن العلواني يريد إحياء المنهج النبوي في التزامه منهج تفسير القرآن بالقرآن. ولأن الخطاب القرآني لا اختلاف فيه، لأنه من عند الله، والاختلاف آفة يمكن أن يعترى الخطاب النسبي، فالتفسير الإنساني أيا كان علم المفسر وجلالة قدره لا يمكن أن يكون أبين من القرآن ولا أوضح.^(٤)

ثانياً: المفهوم :

فيما يتعلق بمفهوم التفسير لغة واصطلاحاً نذكرهما بإيجاز:

فالتفسير من حيث اللغة: "الفَاءُ وَالسَّيْنُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِبْطَاحِهِ، وَمِنْ

ذلك الفسر"^(٥)، ويعرف أكثر العلماء التفسير اصطلاحاً بأنه: "علم يبحث فيه عن احوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"^(٦)

وفي مفهوم تفسير القرآن بالقرآن: فإنه قد ارتبط بمصطلح التفسير، الذي يدور حول البيان، وبالتالي "تفسير القرآن بالقرآن" هو بيان القرآن بالقرآن، لكن من العلماء من تجاوز البيان في "تفسير القرآن بالقرآن"، واستعمله بتوسع في تطبيقاته، فكل استفادة من الآيات، كالأستشهاد أو الاستدلال بها، أو ما يوهم الاختلاف، يكون داخلاً ضمن تفسير القرآن بالقرآن.

(١) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، (١٤٠٣-١٩٨٣م)، ج١٦، ص٣.

(٢) عبد الحميد، محسن، دراسات في أصول تفسير القرآن، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، (١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م)، ص ١١١.

(٣) العلواني، سورة الانعام، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٤) العلواني، سورة الانعام، المرجع السابق، ص ٢٨، ٢٧.

(٥) ابن فارس، أحمد بن فارس، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م). ج٤، ص٥٤.

(٦) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م، ج٢، ص٧.

ولكن العلواني يرى في مفهوم "تفسير القرآن بالقرآن" وإن كان لا غبار عليه، ولكنه بحاجة إلى ضبط ومراجعة له، فهو يريد تفكيك الفهم الدارج للمفهوم، بحيث أنه لا ينصرف إلى بيان ألفاظ القرآن، ولا إلى جمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد، والنظر في تواريخ نزولها وأسباب النزول والربط بينها. فالعلواني يريد أن يتجاوز الفهم الشائع للمفهوم ويؤسس لمفهوم جديد بالنظر إليه على أنه أكثر من أن يكون تفسيراً: "فهو تفسير وتدبر وتأمّل وتفكر وتعقل وترتيل في القرآن المجيد، يستخدم كل تلك المداخل، ويتوسل بكل تلك الوسائل، ليكون القرآن الكريم المرجع الأساس في فهم القرآن المجيد ذاته، وفي فهم كل ما جاء ليعلم البشرية إياه، سواء تعلق بالأحكام أو العبر، أو السنن، أو القوانين، أو بناء الحضارات، أو بناء العمران، وتحقيق التزكية، وتحقيق التوحيد، وبناء التصور السليم والمعتقد الصحيح وكل ذلك تجده في القرآن" (١) وبناء على حديث العلواني سيتجاوز المفسر وظيفته، وينظر للقرآن برؤية جديدة يستجمع من خلالها عدة مداخل يستنبطها من القرآن نفسه، وعندها سنصل إلى فهم خطاب الله حق الفهم وأحسنه، متجاوزين بذلك الرؤية التقليدية للتفسير ولوظيفة المفسر.

المطلب الثاني : تدبر القرآن لكريم :

وما يلفت النظر إليه العلواني أنه في العقود الأخيرة في العالم الإسلامي وخارجه، بذلت الجهود الكثيرة لتوثيق علاقة المسلمين بالقرآن المجيد، وتحويلها إلى حقيقة واقعة، وممارسة مألوفة للمسلمين، فيثني العلواني على انتشار مراكز تحفيظ القرآن، واعتبرها من الظواهر الإيجابية الحسنة، فهي تعلم الناشئة أحكام التجويد وتاريخ القرآن وفضائله، وصاحب ذلك ظاهرة أخرى هي الدعوة إلى تدبر القرآن. وتلك الظاهرة امتداد لظاهرة العناية بإعادة كتابة تفاسير معاصرة للقرآن، إدراكاً لحقيقة أن التفاسير القديمة على أهميتها وتنوعها لم تعد كافية لربط المسلم المعاصر بالقرآن الكريم .

أولاً : أهمية التدبر

والغرض الأساسي من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر لا التلاوة مع عظم أجرها فيقول الله تعالى ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: ٢٩) ومن هنا تأتي دعوة القرآن المجيد لتدبر آياته، وتأكيد عليه، فالقرآن يقول للمخاطبين به: "إن التدبر هو مفتاح "قوى الوعي الإنساني"، ولا سبيل لمس معاني هذا الخطاب الإلهي إلا ذلك السبيل" (٢).

(١) العلواني، سورة الانعام، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢) العلواني، أفلا يتدبرون القرآن، المرجع نفسه، ص ٢٥.

ومجرد الغفلة عن التدبر تغلق قوى الوعي الإنساني ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْئَالَهُآ

﴿ (محمد: ٢٤) . فهو إذا قرئ على من لا يؤمنون بالآخرة حجبوا عنه بحجاب مستور وولوا

على أدبارهم نفوراً، في حين أنه إذا قرئ على المؤمن به فاضت عيناه من الدمع. وقد عجز الجن والإنس عن الإجابة على تحدي الإتيان بمثله أو بسورة من مثله. وتنادى العاجزون عن تحديهِ للتشويش عليه وحجب الناس عن الاستماع إليه واللغو فيه. وبذا كان القرآن شفاءً لما في الصدور ورحمةً للمؤمنين، ولا يزيد الكافرين إلا خساراً^(١) .

وقد ذم القرآن كل من أعرض عن تدبر كتابه وتفهمه" في سياق الإستنكار ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿ (النساء: ٨٢) . والذم والاستنكار لا يكون إلا في

أمر منهي عنه، وعلى هذا ذهب عدد من العلماء والمفسرين إلى أن ترك التدبر، من هجران القرآن الكريم المنهي عنه^(٢). يقول ابن كثير في هذا: "وترك تدبره وتفهمه من هجرانه وترك العمل به وامتنال أو امره واجتناب زواجره من هجرانه والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام. أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه". كما أوضح ذلك ابن القيم في تفسيره حيث يقول: "هجر القرآن أنواع: الرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه "فإنه عز وجل هو الذي أودع في الإنسان القدرة العقلية التي ينبغي استعمالها في تدبر آيات الله في الكتاب والكون. وعلى هذا كان الذم لمن ترك التدبر فيهما على اعتبار أنه قام بتعطيل قدرات إنسانية ميزه الخالق بها عن غيره من المخلوقات.

إذاً فالتدبر واجب شرعي على كل مسلم، كلٌ حسب قدراته وطاقاته الإدراكية القابلة للاكتساب والزيادة وبذل الوسع في تعلم وتفهم كتاب الله فيقول السعدي في تفسيره "تدبره (أي القرآن)، مفتاح كل خير محصل للعلوم والأسرار، فإذا علم هذا، علم افتقار كل مكلف لمعرفة معانيه والاهتداء بها وكان حقيقاً بالعبد أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك. فمن وفق لذلك لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكير في ألفاظه، ومعانيه ولوازمها وما تتضمنه وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً فإذا بذل وسعه في ذلك فالرب أكرم من عبده فلا بد أن يفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه"^(٣)

(١) انظر ، العلواني ، المرجع نفسه، ص ٣٧-٣٨ بتصرف.

(٢) العلواني، رقية، تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ط٤، (٢٠٠٨)، ص ١٠.

(٣) السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٣٩٨هـ—١٩٧٧)، ج١، ص ٢٩.

ثانياً: مفهوم التدبر :

جاء في لسان العرب : "والتدبر في الأمر :التفكر فيه، وفلان ما يدري قبال الأمر من دباره أي أوله من آخره .ويقال فلان لو استقبل من أمره ما استدبره لهدي لوجهة أمره، أي لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لاستترشد لأمره"^(١) والتدبر مفهوم قرآني يستمد أهميته ومحوريته من إضافته إلى القرآن المجيد. فالتدبر هو " التفكير فيما وراء الظواهر، ومعرفة أدبار الأمور، وعواقبها، وما لا تراه العين للوهلة الأولى منها، فالقرآن خطاب مفتاحه التدبر"^(٢). وقال أبو حامد الغزالي: التدبر : "وراء حضور القلب، فهناك أعمال قلبية قبل التدبر وهي :فهم أصل الكلام والتعظيم ، وحضور القلب، ثم التدبر"^(٣). وتقول رقية العلواني التدبر هو: "النظر والتوصل إلى مغزى الآيات القرآنية ومقاصدها وأهدافها وما ترمي إليه، عن طريق أعمال الفكر والتأمل وبذل الجهد الذهني في فهم الآيات"^(٤). وقد ربط العلواني بين التدبر والتدبير، والتدبير من المصطلحات التي أثارها العلواني في دراساته هذه ، وعده العلواني أهم مقاصد التدبر، فهو: التخطيط للخروج من الأزمات والمشكلات ، ويفترض أن يكون ناتجاً وحاصلاً ينتج عن التدبر فلا تدبير بدون تدبر، بل ارتجال وتخبط. ومن هنا فإن النظر في مآلات الأمور وعواقبها يستلزم تدبير الأمور في بدايتها بقدر أكبر من العناية والاهتمام لتحسن مآلاتها، وتستقيم خواتيمها^(٥)

ثالثاً: التدبر السليم :

ما يهدف إليه العلواني في جميع دراساته القرآنية وهي العودة إلى القرآن الكريم وذلك يعني بأن نتجاوز كل الحجب التي تحجبنا عن القرآن ،وتحول بيننا وبينه. ولذلك علينا إزالة تلك المعوقات كالذنوب التي هي إقفال القلوب ،والتخلي عن الإختلاف والجدال، ودخول عالم القرآن بمقررات سابقة، وإشكالية الناسخ والمنسوخ، و تحرُّ العقول من الهيمنة والقهر الذي عليها؛ ذلك أنها تتعامل مع كتاب مهيم لا يقهر فإذا تحقق ذلك للمتدبر . فتأتي مرحلة تنزيل القرآن على القلب حيث إن التدبر الأمثل لكتاب الله يلزمه التنزيل على القلب، فهو القراءة السليمة التي تؤدي إلى الثمرات التي ورد القرآن المجيد بها .

(١) ابن منظور، معجم لسان العرب، ج٤، ص ٢٧٣. مادة دبر

(٢) العلواني، التدبر وسيلتنا لفهم القرآن الكريم، أكاديمية العلواني، وأنظر العلواني، أفلا يتدبرون القرآن، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٣) القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ص ٢٠٠.

(٤) رقية، تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق، ص ٦.

(٥) انظر ، العلواني، أفلا يتدبرون القرآن، مرجع سابق، ص ١٥ ، ٤٢.

وقد أنزل الله القرآن المجيد على قلب نبيه ﷺ، "نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين (الشعراء ١٩٣-١٩٤)، وقال العلواني: " فالقلب هو العضو الوحيد في الإنسان القادر على استقبال وتلقي القول المتعال الثقيل كما أنزله الله تبارك وتعالى ، فالمتدبر حين ينزل القرآن على القلب يؤهل القلب والعقل للتفكير والتدبر لينفعل كل ذلك في القرآن فيخبت له القلب في حسن فهم العقل له ويفقه اللسان أساليب خطابه. "والقرآن حين يطرق باب القلب فإن وجد إستقبلاً يليق به بدأ كرمه وفيوضاته بالإحاطة بذلك القلب والتحلي عليه وإنارته، وأما إن وجد إعراضاً فإن الشيطان يسارع إلى ذلك القلب ليغمره بضلالاته حتى يصيبه بالعمى، ومن ثم الإعراض عن القرآن. ومن شأن تدبر القرآن وتفسير القرآن بالقرآن وتلاوة القرآن حق التلاوة، وحسن ترتيله وإقامة الصلاة به، تحقق النتائج المبتغاة التي تجعل القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة وموعظة ونور وبصائر، لا تشخذ أسماع المتدبرين فحسب بل تمنحها قدرة التمييز، قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ ﴾ (الزمر: ١٨)، وعند ذلك لا يمكن للشيطان أن يقيم حُجُباً بين حكم القرآن وأنواره وبين قوى الوعي الإنساني" (١) فمن أتاه الله القدرة على التدبر فقد أوتي خيراً كثيراً، بل أوتي الخير كله، وجمع العلم من أطرافه، واستوعب وتجاوز المثقفين الذين لم يؤتوا من تدبر القرآن حظاً (٢)

المطلب الثالث : تفسير سورة الأنعام أنموذجاً:

بين يدي السورة:

يبدأ العلواني بتدبر سورة الأنعام، فيقول هذه السورة هي السادسة بترتيب المصحف، والخامسة والخمسون في ترتيب النزول، تلت سورة الحجر في النزول، وتعد من السور القليلة التي نزلت جملة واحدة، على طولها، ويدعو العلواني إلى أن نتدبر أسماء سور القرآن، فهي مصدر مهم من مصادر التدبر، وتكشف عن معان وإيحاءات كثيرة، كما أنه في في تدبره لا يتوقف عند المكي والمدني، وأسباب النزول. لأنه برأيه أن إيماننا بالوحدة البنائية للسورة، وإيماننا بأن القرآن اتخذ صفة الإطلاق التام بعد العرضيتين والأخيرتين، وإعادة الترتيب، يغني المفسر عن تقيد تلك الآيات بتلك الروايات المتعلقة بالأسباب والمناسبات، وكون هذه الآية مكية وتلك مدنية، والتي قد تكون أحاديثاً ليست سندة وغير صحيحة (٣)

(١) العلواني، التدبر وسيلتنا لفهم القرآن، المرجع السابق .

(٢) العلواني ، تفسير سورة الانعام، ص ٢١٢، ٢١٤، بتصرف.

(٣) انظر ، العلواني، تفسير سورة الأنعام، مرجع سابق، ص ٣٧.

ولكن يمكن للمفسر أن يستأنس بتلك الروايات في حدود ما ثبت فيها صحة السند وصحة المتن، وسلمت من المعارضة والاحتمال^(١) فأساب النزول ماهي إلا نموذجاً يقدمه القرآن لنا، كأنه يقول تركته لكم تحدثون به وتتخذونه منهجاً. تعملون على تجريد ما حدث فيه لتحويله إلى منهج تتبعونه في أي عصر، لا تتقيدون به حرفياً

ثم يبين العلواني أن **عمود سورة الأنعام وهو: "التوحيد، فقد عرضت السورة أركان عقيدة التوحيد" إحصائياً وتفصيلاً مع التدليل والتعليل، بعيداً عن التجريد الجاف الذي تعرض كتب "علم الكلام والعقائد" القضايا الاعتقادية به**^(٢) ويقسم العلواني السورة إلى سبعة عشر **نجماً**، ولا يقصد بذلك نجوم التنزيل، بل ما يعني به هو: تقسيم السورة تقسيماً موضوعياً مترابطاً، يعين على الفهم والاستيعاب لسور القرآن الكريم، وترابط أجزائها ونجومها وآياتها. يتوقف عند بعض القضايا أثناء تدبره لتلك النجوم، فكثيراً ما يهتم بالمفاهيم القرآنية، فتحدث عن مفهوم الأمن في القرآن حيث يرى أن مفهوم الأمن من أخطر المفاهيم التي تشدد حاجة أمتنا إلى الوعي بها وفهمها، وإدراك طبيعتها، وكيفية تحقيقها في حياة الأمة، ولذلك لا يمكن تحقيق مقاصد الشارع الحكيم في التوحيد والتزكية، والعمران بدون حياة آمنة مستقرة، يسودها السلام والأمن، فالقرآن هو من رسم للبشرية سبل الوصول إلى الأمن والسلام وتحقيقها بناء على دعامتين نستنبطهما من الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ

بِظُلْمٍ ءُولَئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ (الأنعام). هما: الإيمان ونبذ الظلم. (٣)

وفي تدبر العلواني للآيات من سورة الأنعام، فإنه يلفت النظر إلى الفارق بين أسلوب القرآن الكريم في عرض قضية الحلال والحرام، وعرض كتب الفقه والأصول لها. فكتب الفقه تقطع الآية من سياقها، وتضعها في إطار موضوعي، مثل كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وما إلى ذلك، في حين يربط القرآن بين التحليل والتحریم والعقيدة والمرونة واليسر ورفع الحرج، ويربط الخطاب التشريعي القرآني التشريعات بالمآلات والنتائج في الدارين وبكليات توحيد الله وتزكية الإنسان وإعمار الكون. ويجمع بين فقه الفرد والجماعة والأمة، وبين التربية النفسية والتنشئة والحكمة في التنزيل على الواقع. وينبه القارئ المتدبر الفقيه إلى التدبر عبر الزمان والمكان بعقل مفتوح. وهو أخيراً لا يحصر التشريع في دائرة الأحكام الجزئية، بل يمتد به ليشمل كل ما يحقق الحياة الطيبة في الدنيا، والعاقبة الحسنة في الدار الآخرة.

(١) انظر ، العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) ص ٣٩.

(٢) العلواني، سورة الأنعام، مرجع سابق ، ص ٤١، ١٥٢.

(٣) انظر ، العلواني، سورة الأنعام، مرجع سابق ، ص ٨٩-٩٣.

ومن هنا يدعو العلواني إلى تأسيس علم فقه القرآن، وهذا العلم بهذا العنوان ربما جديد فالمتعارف عليه الموروث: هو آيات الأحكام في القرآن أو أحكام القرآن فالعلواني يريد أن يؤسس أصول هذا العلم وفق رؤيته للمنهجية المعرفية القرآنية، وحيث ينطلق من تفرد لسان القرآن والمفردات القرآنية، والقراءة المتدبرة المتتبعة لكل آيات الكتاب الكريم وفق وحدته البنائية

مدخل الدراسة :

لا شك بأن القرآن الكريم عربي المبني فصيح المعنى، وقد اختار الله تعالى لكتابه أفصح اللغات. وأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ القرآن الكريم ليكون معجزة من المعجزات الحسية والمعنوية إلى قيام الساعة. ولقد بلغ العرب أرفع مستوى عرفته الإنسانية في الفصاحة والبلاغة وارتقوا في ذلك فوق جميع الأمم مراتب ظاهرة فكان لإظهار الله تعالى القرآن على لسان رسوله محمد ﷺ من الفوائد ما لا يساويه غيره من المعجزات^(١).

ويقول أحد الباحثين: "واللغة العربية من بين اللغات لغة عتيدة، فهي لغة حضارة ولغة حية، وهي لغة القرآن الكريم ووعاء العقيدة الإسلامية، يتجسد فيها البيان العذب المشرق الجميل، والمعنى الرائع البديع، وتبرز فيها البلاغة والفصاحة، وقد سماها القرآن الكريم (اللسان العربي المبين) ، فهي أداة الفكر العلمي في مرحلة ازدهاره، فكانت لغة العلماء في العالم على مدى قرون ولغة الثقافة الخصبة المتنوعة والفن الإنساني المبدع."^(٢) وبقاء اللغة العربية حية إلى يومنا هذا مدين دون شك للقرآن، فلولا لبادت هذه اللغة كما بادت اللغات الأثرية القديمة.

ويقول العلواني: "والقرون الماضية شهدت كثير من الجهود المعادية "لسان القرآن" لتهميش اللغة العربية والدعوة إلى هجرها، وتجاوزها، واعتبارها "لغوا وحشوا" ولغة عاطلة خالية من سائر المضامين المعرفية والحضارية. جعلت من الناطقين بها - في نظر خصومهم - مجرد "ظاهرة صوتية"، وفي ذلك دعوى لمهاجمة الإسلام والمسلمين ومنهم العرب، مما أدى إلى أحداث قطيعة غير معلنة بين المسلمين وتراثهم، وقد أدى ذلك إلى انعدام الإبداع، وسلوك سبيل التدهور الحضاري والأزمات"^(٣)

وفي ضوء رؤية العلواني "للمنهجية القرآنية المعرفية" التي اقترحها حلاً للخروج من أزمتنا كمسلمين، بل أزمت العالم كله. ولا يتم الوصول إليها إلا في شكل محددات منهجية مستنبطة من القرآن نفسه. فقد تناول "لسان القرآن" كمحدد منهجي جديد مصدق ومهيمن على جميع اللغات ومنها اللغة العربية. قال العلواني "فالقرآن الكريم لغته الخاصة التي عجز العرب عن الإتيان بمثلها، وله استعمالاته الخاصة التي تختلف عن استعمالاتنا البشرية.

(١) انظر، عتر، حسن ضياء الدين ، المعجزة الخالدة، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٢) العرجا ، جهاد يوسف ، دور اللغة العربية في وحدة الأمة، (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م)، ص ٢.

(٣) العلواني، لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، دار الشروق، القاهرة، ط ١٠، (١٤٢٧-٢٠٠٦)، ص ١٤-١٥.

لذلك اختار البارئ -جل شأنه- أن يكون للقرآن لسانه الخاص به ليتصل باللسان العربي كما يشاء، ويفصل عنه عندما يريد، ويهيمن عليه في سائر الأحوال"^(١) وهنا قد تثار عدة أسئلة فكيف يكون "لسان القرآن" لسانا عربيا مبينا، وقد يتصل بالعربية حيناً، ويفصل عنها حيناً آخر، وكيف يكون مهيمناً عليها في سائر الأحوال؟

المطلب الأول: خصائص لسان القرآن الكريم:

وللإجابة عن تلك التساؤلات السابقة علينا أن نبحث باختصار في خصائص القرآن، ومنها خصائص "لسان القرآن" ومدار بحثنا عن تلك الخصائص لن يكون من زاوية النظر في خصائص النظم والاسلوب والفصاحة والبلاغة...، التي بلغ بها القرآن الكريم مبلغ التحدي والإعجاز، فخصائصه غير قابلة للحصر، لأنَّ القرآن مطلق والإنسان نسبي، وليس من شأن النسبي أن يحيط بالمطلق، أو يحصر صفاته وخصائصه المطلقة، فكل متدبر لآيات الكتاب الكريم يأخذ بالخصائص التي يقارب القرآن الكريم من زاوية النظر إليها.^(٢) ومن هذه الخصائص ما يلي

أولاً- لسان عربي:

وصف القرآن نفسه بأنه عربي، وأكد هذا الوصف مرات عديدة في مواقع كثيرة من آياته وسوره ونجومه. ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ٢) وقال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٣)، ﴿ كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت: ٣) وعروبة القرآن إحدى أهم أوصافه^(٣).

لقد نزل القرآن الكريم في العرب وبلغتهم، والعربية لسان الرسول الخاتم ﷺ فيقول عدنان زرزور عن سبب اختيار لغة العرب لينزل بها آخر الكتب الإلهية: "لاشك في أن خلاصة الفضائل الإنسانية، أو مكارم الأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم بوصفه كتاب الإنسانية الأخير الذي نزل به الوحي الأمين...تمثل عند العرب في جزيرتهم، فطرة واستعداداً، ومواهباً وملكات ما لم تملك مثله أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب، أو قبيلة من القبائل، فالعرب أصلح شعوب الأرض قاطبة لنزول القرآن فيهم وبلغتهم، وللنهوض بحمل أعباء رسالة الإسلام الإنسانية"^(٤)

(١) انظر، العلواني،، لسان القرآن، مرجع سابق، ص ١٩-٢٠. بتصرف

(٢) انظر، العلواني، لسان القرآن، المرجع نفسه، ص ٨.

(٣) العلواني، لسان القرآن، المرجع نفسه، ص ٢٩

(٤) زرزور، عدنان، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دار القلم، دمشق، ط ٢، (١٩٤١هـ-١٩٩٨م)، ص ١٨.

والسبب الآخر هو: "فضيلة بيانية جامعة امتاز بها اللسان العربي على كل لسان ، فاللسان العربي المبين، هو أوفر الألسنة حذا لينزل بها هذا الكتاب الخالد المعجز بلفظه ومعناه جميعا قال تعالى ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَسُورَةٌ

لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ (الحقاف: ١٢)" (١) ويقول العلواني: "وقد اختار الله ان يخاطب البشرية خطابه

الأخير بهذا اللسان، واختار لحمل هذا الخطاب وتبليغه للناس رسولا من أنفسهم، ناطقا بلسان قومه ليبدأ بهم ويجعل منهم أول الحاملين للرسالة، يبلغون عن الله - تعالى - وعنه ما أنزل إلى رسوله الكريم ﷺ" (٢) "والعربية لم تحمل قبل القرآن رسالة دينية، كما لم تُحمَل بمعان فلسفية أو معرفية قد تزامم المعاني التي أراد القرآن إيصالها للناس، وبالتالي ستكون خالصة لمفاهيمه ومعانيه، فهي لسان محايد استطاع القرآن تطويعها لمضامينه، فنزول رسالات سائر الرسل بلغات أقوامهم غرضه الأساس هو الإفهام، أما العربية فغرضه مع الإفهام بالبيان والوضوح التحدي والإعجاز" (٣)

فالخطاب الإلهي يفترق عن الخطاب البشري، قال القرضاوي أثناء حديثه عن خصائص القرآن: "ونزول القرآن بلغة ينطقها البشر لا يخرج عن كونه كلام الله ولا ينزع عنه الصفة الإلهية أو القداسة الربانية. وإلا لم يكن هناك فرق بين الوحي الإلهي والتفكير البشري ، فعربية القرآن ليست القرآن ليست من صنع البشر. وأحكامه ومفاهيمه ليست من نضج ثقافة عصر بل هي منزلة على البشر من سلطة أعلى منهم، سلطة الرب الخالق المعلم للإنسان: وهذا واضح من أول سورة أنزلت في القرآن: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ

الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾" (٤)

(١) زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، مرجع نفسه، ص ١١، ١٥.

(٢) العلواني، لسان القرآن، مرجع سابق، ص ٤٢، ٤٣.

(٣) العلواني، لسان القرآن، المرجع السابق، ص ٣.

(٤) القرضاوي، يوسف ، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، مرجع سابق، ص ٢٤.

ثانيا- لسان عالمي:

لقد جاء الإسلام عالميا رسالة وخطاباً منذ بدايته ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا

وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ (سبأ:٢٨) وقال سبحانه ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾

(التكوير:٢٧) لكن كيف يمكن لخطاب واحد أن يستوعب البشرية بأكملها إن لم يكن هذا الخطاب قادرا على استيعاب خصوصياتها وسائر أنماطها الثقافية ومناهجها المعرفية؟ وقد وهم البعض في صفة الخطاب الإسلامي، وظن انه خطاب حصري عربي قومي انطلاقا من أمرين: أن القرآن عربي لا يفهمه إلا العرب، وأن القرآن خطاب منحصر في عصر النبي وبيئته، لا يتجاوزه إلى سواه

وبما أن العلواني هدف في دراسته (لسان القرآن) إلى إزالة كثير من اللبس الذي أحاط

البعض به لسان القرآن، فيؤكد على أهمية أن تشاع خصائص القرآن للناس كافة ومن أهمها:

أن القرآن الكريم وإن تنزل بلغة عربية لفظا إلا أنه مطلق في معانيه، مهيمن ومحيط بما سبق من الأزمنة، ومستوعب ما يليه من الأزمنة، فلسان القرآن قد حمله منزل القرآن -عز وجل -"وحيا كاملا كافيا للبشرية، قادرا على الاستجابة لكل ظرف تاريخي مهما كانت خصائصه، أو سقفه المعرفي، فيستوعبه، ويستمر في تجاوزه باتجاه المستقبل بعد أن يقوم بتلبية احتياجاته من الهداية والحقائق والنور." إن القرآن كتاب الإنسانية كله، فهو " خطاب لا بد أن يبدأ بالإنسان ذاته ونفسه في إطار الأمة من غير انحراف نحو عرق أو طبقة أو لاهوت أو ما إليها، فإنها كلها تتنافى مع مكونات هذا الإنسان وخصائصه"

ثالثا- لسان معجز:

القرآن الكريم نمط باهر معجز ببيانه وبلاغته، أعجز الجميع على أن يأتوا بمثله ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ

الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

والقرآن الكريم قد خلا بفضل الله - تعالى - من سائر عيوب الألسن بما في ذلك اللسان العربي نفسه، فلا تناقض فيه ولا اختلافا ولا غموضا ولا إبهاما، ولا زيادة ولا تكرارا، ولا ترادفا ولا اشتراكا، ومن آتاه الله شيئا من التدوق للسان القرآن المجيد وشيئا من المعرفة بلسان العرب يستطيع أن يدرك لماذا كان القرآن المجيد يميّز نفسه دائما بالإبانة، فلا يطلق على لسانه لسانا عربيا إلا ويصفه بالبيان، والوضوح، والظهور؛ لينبه إلى مزاياه. وليشير إلى أنّ نسبته إلى لسان العرب هي نسبة الاستيعاب والتجاوز، فهو مستوعب للسان العرب، بكل مادته، ومتجاوز لها. وفرق بين اللسان العربي والله يتحدث به إلى عباده ويخاطبهم به، واللسان العربي حين يتحدث به أهل اللسان ويخاطبوا بعضهم بعضاً.

"ولسان القرآن وإن كان يتصل بكثير من الجذور اللغوية، ولكنه يفصل عنها ليكون بياناً ومبيناً وخطاباً يتصف بصفات تؤهله ليتفوق على اللسان العربي كله. فهو يبشر وينذر في آن واحد، ويفتح القلوب المغلقة والأذان الصماء والأعين العمياء على الهدى والنور فيعظ ويبشر ويذكر ويبين ويجادل ويحاور ويقوم بعمليات يتعذر إحصاؤها، وفي حين يقف اللسان العربي عند حدود معينة." (١) وما التحدي والإعجاز، الذي تحدى الله الخلق كافة أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وأعلن عن عجزهم عن ذلك بعد وجود الدواعي الكثيرة وانتفاء الصوارف. إلا بعض مظاهر الانفصال عن لسان العرب "إنفصال المسك عن دم الغزال" (٢)

ويشبهه أحمد ساعي قوة تأثير القرآن على العرب قائلًا: "الصدمة التي أحدثها القرآن بشخصيته اللغوية المتفردة في نفوس العرب آنذاك وتفهمنا تأثير هذه الصدمة على عتبة بن ربيعة حين سمع الرسول يقرأ عليه، أول مرة، ثلاث عشرة آية، فلم يستوعب منها، وهو المذهول مما سمع، إلا آخر آية قرأت عليه. هذه الصدمة اللغوية التي أصابت العربي الأول كانت أشبه بالصدمة الكهربائية التي يمر بها الأطباء اليوم على مريض توقف قلبه عن الخفقان رجاء إعادة الحياة إليه. و كأن الله - تعالى شأنه- وجلت حكمته أراد أن يعيد بهذه الصدمة اللغوية الصاعقة إلى القلب الجاهلي الميت في نفوس العرب أولاً قبل أن يعودوا إلى القرآن فيسمعوه من جديد، ويستوعبوا معانيه ويتحققوا من جدته وتميزه، ويسلموا بإعجازه" (٣) لذلك، هذا الخطاب القرآني الجديد لا بد أن يكون متفوقاً ليتمكن من إقناع المخاطب بضرورة نظره فيه، ولذلك كان تحدي القرآن المجيد عاملاً هاماً في دفع العرب لقراءته والنظر فيه، وإدراك أهم الفوارق بينه وبين أي خطاب آخر (٤).

رابعاً - لسان مهيمن:

لا أحد يشك في أن الطريق لفهم معاني القرآن الكريم هو اللغة العربية، واللغة من قواعد تفسير النص القرآني، لذلك كان الإحتكام إلى لغة العرب ومعهودهم في كلامهم هو الضابط في فهم معاني القرآن. ولكن وفق قراءة العلواني السابقة للسان القرآن، وما تميز به من مميزات جعلته فوق اللغة وإن نزل بلسان عربي، وجعلت من الإحتكام إلى اللغة دون الالتفات الكافي إلى لسان القرآن ومزاياه هذا من المراجعات التي تتطلب النظر.

(١) ساعي، أحمد، إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م) ج ١، ص ٢٠.

(٢) انظر، العلواني، لسان القرآن، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) ساعي، أحمد، إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مرجع سابق ص ٦٩-٧٠.

(٤) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، ص ٦٨.

يقول العلواني: فالانقسامات التي حدثت للإمامة الإسلامية، والجدل والصراع ومداره في جوانب عديدة شملت القضايا الاعتقادية والأصولية والفقهية واللغة والتفسير والحديث، والكل بحاجة إلى تعزيز موقفه بالتفسير والتأويل، وبالإضافة إلى وضع الحديث، وقصص الإسرائيليات...، فكانت اللغة ذات مرجعية لا يمكن تجاهلها أو التقليل من شأنها في علاقتها بالخطاب، لكن إثارة شيء مثل هذا حولها حتما سيؤدي إلى كثير من اللبس في فهم معاني القرآن^(١) وقد "تأثرت مقولات كثير من أئمة التفسير من مختلف المذاهب بمدلولات اللغة المستقرة في عقولهم ونفوسهم، وتأولوا تبعاً لها مفردات القرآن المجيد، لتشابهها في المبنى مع المفردات اللغوية، فألبسوها معان لا يحتملها السياق، وقد ينبو عنها لسان القرآن"^(٢)

فعلى سبيل المثال نجد في التفاسير من يذهب إلى أن هناك أحرفاً زائدة لا تفيد دلالة معينة، أو نجد من يصرح بأنّ تعبيراً قرآنياً جاء على غير القياس، أو من يجترئ على القول بشذوذ هذا التعبير^(٣) وقد استدرك أحد العلماء على أهل اللغة^(٤) وبين أنه قد كان لبعض النحويين جرأة عجيبة في جزمهم بأن القرآن خلا من بعض الأساليب من غير أن ينظر في القرآن ويستقرأ أساليبه. بل يذكر أن لهم قوانين لم يحتكموا فيها لأسلوب القرآن، ويضيف إن الناظر في كتب الأوائل يجد أنه قد شغلهم الشعر عن النظر في شواهد القرآن العظيم فكانت الشواهد الشعرية هي الغالبة^(٥) ولذلك بات من الضروري إعادة قراءة النص القرآني في إطار لسان القرآن الحاكم المهيمن وذلك:

- بعدم التسوية بين الاستعمال الإلهي المتحدي المعجز للسان، وبين استعمال البدو أو أهل اللسان^(٦)

(١) انظر ، العلواني، لسان القرآن، مرجع سابق، ص ٤٠-٤١

(٢) العلواني، نحو موقف قرآني من المحكم والمتشابه، مرجع سابق، ص ٢٦

(٣) انظر ، العلواني نحو موقف قرآني من المحكم والمتشابه، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٢) عظيمة ، عبد الخالق، صاحب كتاب "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" كتاب قيم وأول دراسة تقوم على استقراء أسلوب القرآن في جميع رواياته المتواترة والشاذة، وكتابه دراسة مستوعبة لجميع ألفاظ القرآن الكريم برواياته المختلفة استقراءً وتحليلاً وتوجيهاً. والذي أفنى فيه خمسة وعشرين عاماً طويلاً، واستحق الثناء من جميع العلماء ووصف بأنه امام النحاة أو شيخ النحاة، وإمام اللغة.

(٣) عظيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، (١٤٢٥-٢٠٠٤)، ص ١٣-١٥.

(٤) العلواني، لسان القرآن، مرجع سابق، ص ٦٦

- على ضوء حاكمية القرآن وهو أن القرآن حاكم ومهيمن على آداب العرب ولغاتهم، والكلمة منه حجة لها أو عليها، ومن عجب أن يتوهم بعض الجهلاء غير ذلك فيتشدقون مفتعلين إشكالت بين نصوص القرآن العظيم وقواعد اللغة العربية، وذلك لأنهم غفلوا أن ليس عليه من سلطان وأنه هو المهيمن عليها الحاكم فيها.

- والتسليم بوجود "منهج قرآني" مستنبط من القرآن نفسه ومن خصائصه: التصديق والهيمنة والاستيعاب والتجاوز، فكل مسلم يعتقد بأن كتاب الله هو خطاب إلهي مفارق لكلام البشر ولأي كتاب آخر. ولكن هذا الاعتقاد النظري لا يكفي وحده بل نحن بحاجة إلى ترجمته عمليا بشكل منهجي ومنضبط عند تعاملنا مع القرآن الكريم.

خامسا: لسان مفاهيمي:

يعطي العلواني موضوع المفاهيم أهمية ويثيرها في كثير من كتاباته، حيث يرى: "أن المفاهيم ليست ألفاظا بل هي مستودعات كبرى للمعاني والدلالات كثيرا ما تتجاوز البناء اللفظي، وتتخطى الجذر اللغوي لتعكس فلسفة الأمة، ودقائق تراكمات فكرها ومعرفتها ولذلك كانت دائرة المفاهيم أهم ميادين الصراع الفكري والثقافي بين الثقافات عبر التاريخ فقد تتداخل المفاهيم وتستعار دون أن نشعر بالآثار الخطيرة لهذا الخلط والتشابك"، فنبه العلواني لخطورة التلاعب بالمفاهيم القرآنية، فالقرآن حذرنا من أن ننساق وراء مفاهيم كتابية، كان اليهود مهرة في صياغتها، وإشاعتها، ليكونوا هم المفسرين لتلك المفاهيم، والمراجع في بيانها. لذلك نحن أحوج ما نكون إلى إعادة قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته، ومعرفة مفاهيمه، والتفيد بها، وعدم التلاعب بها، أو التساهل في استبدالها واستعمال غيرها في شئوننا وشجوننا.

وما يؤكد عليه العلواني دوما: أنه بمقدور القرآن الكريم- وهو الكريم في عطائه، المجيد في ديمومته، المكنون في معانيه- أن يتكشف عن مفاهيم جديدة تقابل الواقع المتغير ومفاهيمه.

ولابد من إدراك لغة القرآن المفاهيمية، فالقرآن يقدم شبكة من المفاهيم، فإذا قدم العدل مثلا ' قدم لها مفهوم كاملا، وهو يحوله من مجرد كلمة إلى مفهوم واسع، فاللفظة قد يكون لها معنى ثابت، فيقوم بتفريغها وشحنها من جديد، لأنه يريد أن يستوعب كل حياة البشر، بكل ثقافتهم وأنساقهم الحضارية وهذا يتطلب تتبع الألفاظ القرآنية، قصد تحقيقها وبيان مدلولاتها ومفاهيمها من داخل القرآن نفسه. وذلك أن الألفاظ القرآنية مترابطة بينها ولا يمكن فهمها إلا برد بعضها إلى بعض وقراءة بعضها في ضوء وإثر بعض. أي ضمن إطار الوحدة البنائية، يقول أحمد عبادي: "إن من لم يدرك بنائية القرآن ووحدة ألفاظه العضوية، يمكن أن يقع في تعضية وتمزيق خطيرين بإدخاله فيه من خارجه مدلولات ألفاظ لا تمت (أي المدلولات) إليه بصلة، مما من شأنه أن يحول دون الاستهداء به نحو التي هي أقوم"

وبالتالي أصبح تتبع ألفاظ القرآن في لسان العرب ليس هدفا في ذاته، وإنما هو وسيلة معينة على الفهم، وهذا نستنتجه من مفاد دراسة العلواني للسان القرآن. ومثله ما ذهب إليه محمد حاج حمد حيث يقول: " معرفة اللغة وحدها لا تكفي في الفهم الدقيق لبعض خفايا الكتاب فالقرآن ليس عربيا فقط باعتباره منزلا بلغة العرب ولكنه كبناء إلهي استوعب مفردات اللغة نفسها ضمن استخدامات دقيقة للغاية قلَّ أن فطن إليها أهل اللغة أنفسهم". (١)

ومن أوائل من التفت إلى هذا الجانب "الراغب الاصفهاني" حيث بنى على ذلك كتابه المفردات، حيث عني بتتبع المفردات في آيات القرآن لتحديد المعاني استنادا إلى السياق الذي ورد فيه، لكن برأي العلواني أن ما يقدمه هو: يشتمل على جهد الراغب، ومضافا إليه التتبع التاريخي للمفردة، مع ضرورة الإبتعاد عن أحكام التطور الدلالي للمفردات للابتعاد عن النسبية في مفردات القرآن المطلق. (٢)

وقد قدم العلواني دراسة لمفهوم (الرجاء) ليبين كيف تكون المفردة القرآنية مفهوما كاملا يطوي في مكنوناته كل ما يمكن أن يفتح المفهوم عليه من معان عبر العصور. فتحدث عن مفردة رجا قبل عصر التنزيل، وحيث شاع استعمالها بمعنى الخوف، وقد استعملت بمعنى اللامبالاة، ثم بعد عصر التنزيل فقد استوعب القرآن كل المفاهيم السابقة لمفردة الرجا وتجاوزها، فأخذ العلواني في تتبع مفهوم تلك المفردة عند المتقدمين حيث وضع الرجا بمعنى الخوف إذا سبق بجدد كقوله "مالك لا ترجون لله وقارا" (نوح: ٢١) ، مستدلين بأبيات من الشعر والرجز الجاهلي كقول الهذلي: إذا لسعته النحل لم يرج لسعها...، ومن ثم تتبع المفردة عند المفسرين منذ عصر الطبري.. إلى من جاء من بعده، فوجد أنهم قيدوا المفهوم القرآني في دائرة الرجز الشعر الجاهلي، وتناقلوه جيلا بعد جيل. وبدون أن تُقرأ الآيات في ضم بعضها ببعض في إطار الوحدة البنائية. (٣)

(١) حاج حمد، محمد أبو القاسم ، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة (العالمية الإسلامية الثانية)، دار الهادي ، بغداد، ط١، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص ٥٤-٥٥.

(٢) انظر، العلواني، لسان القرآن، مرجع سابق، ص ٦٧-٦٨.

(٣) انظر ، العلواني، لسان القرآن، مرجع سابق، ص ٧٦

لذلك خلص العلواني إلى ما يلي :

- ان الكلمة القرآنية تبدو مفهوما يدخر كماً من المعاني التي يتكشف عنها عبر العصور، وأحياناً يتم تفرغها من معنى لا يخدم أهداف الخطاب وتمنح معنى آخرًا ينبه السياق اليه^(١)

- مفهوم الرجاء ينطوي على الأمل بأنواعه، والتوقع بعمومه والاهتمام والمبالاة والاكتراث بكل ما يمكن أن تعلق به، والطمع بأشكاله ومتعلقاته. والخوف لازم من لوازم الرجاء أو بعض هذه المصطلحات أو المفاهيم الفرعية والوقار لازم من لوازم الرجاء والسياق بحسبه يستدعي من اللوازم ما يعطي المفهوم استقراره ومناسبته في الجملة وفي الآية بحيث تصبح لبنة في بنائه^(٢)

- وجد أن هذا المنهج المتبع في تتبع المفردة القرآنية يجعلنا في مأمن من الانحراف في معاني القرآن. ودلالات ألفاظه والاضطراب في فهم معانيه، أو إسقاط قواعد لغات البشر عليه^(٣).

ومن هنا هدف العلواني إلى أنه قد يكون بالإمكان بناء قاموس قرآني مفاهيمي، يعتمد فيه على القرآن أساساً، وتجعل لغات العرب فيه مساندة ومعضدة والحاكمية لكتاب الله على كل ما عداه من لسان العرب. وهذا القاموس سيشكل رصيد مفاهيمياً للبشرية، يستطيع أن يستجيب لحاجات مختلف الانساق الثقافية والحضارية.

المطلب الثاني - تفعيل العربية وحمايتها بلسان القرآن:

أولاً- أثر القرآن على اللغة:

وعودا على بدء فمن المسلم به أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية كان له أعظم الأثر في توطيد هذه اللغة وتقوية سلطتها على الألسنة وتهذيبها واتساع أغراضها التعبيرية وفنون القول فيها. ويقول يوسف الشربجي: " أن السر الكامن وراء خلود العربية والحفاظ عليها من الاندثار هو القرآن الكريم بما كان له أثراً بالغاً في حياة الأمة العربية وتحويلها من أمة تائهة إلى أمة عزيزة قوية بتمسكها بهذا الكتاب الذي صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، ونزع من صدورهم الضغائن والأحقاد". بل إنه قد ارتقى بها نحو الكمال فكان لها مصدر طاقة وحيوية ولولا هذه الطاقة الربانية والقرآنية لما كانت لتصل إلى ما وصلت إليه بما وهبها الله من المعاني الفياضة والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة والأساليب العالية الرفيعة^(٤).

(١) انظر، العلواني، لسان القرآن، مرجع سابق، ٧٦.

(٢) انظر، العلواني، لسان القرآن، المرجع السابق، ص ٧٧.

(٣) انظر، العلواني، لسان القرآن، المرجع نفسه، ص ٧٧.

(٤) رانا أمان الله، دور القرآن الكريم في نشر اللغة وبقائها، المرجع نفسه، ص ٨٤.

إذاً "لسان القرآن" - بما يحمله من خصائص - قادر على منح العربية طاقات الحياة والخلود، واستيعاب معطيات "ال عمران والشهود الحضاري والاستخلاف لذلك لا يمكن لهذه الأمة أن تعي ذاتها وترمم بنيانها وتعيد بناء وحدتها وتشق طريقها نحو النهوض بدون إحياء روابطها بلسان القرآن واللغة العربية. (١) فالأمة التي لا تفكر بلغتها ولا تتعامل مع العلم بلسانها لا يمكنها أن تعالج أزماتها الفكرية والمعرفية والحضارية أو تبني لنفسها مشروعاً حضارياً. (٢) فكيف نوظف لسان القرآن واللغة العربية التي منحها القرآن الاستمرار والخلود في تحقيق وحدة الأمة والنهوض بها؟

ثانياً - اللغة المشتركة:

يذهب العلواني إلى أن الخطوة الأساس تكمن بتوحيد اللغة، وذلك "بإيجاد اللغة المشتركة التي تكون حجر الزاوية في بناء وحدتنا كما كان لسان القرآن حجر الزاوية في تكوين أمتنا. ويقول العلواني: "فان اللغة العربية قد اكتسبت من لسان القرآن الحياة والحيوية، وقدرتها على التجدد الذاتي، والاشتمال على الأبعاد الروحية والنفسية التي تجعل الملايين من الناس راغبين في تعلمها والمهارة فيها فالانطلاق منها في عملية بناء الوعي المشترك والثقافة الموحدة لدى الناطقين بها انطلاقاً سليماً وميسراً إذا صدقت العزائم". (٣)

وبشهادة بعض المستشرقين المنصفين للغة العربية فوصفها بأنها لغة وعي، ولغة شهادة، وينبغي إنفاذها سليمة بأي ثمن؛ للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية" (٤).

وهذا المنطلق في توحيد اللغة لا يحمل في طياته أي استعلاء لغوي أو عرقي، ولا يعني إلغاء لغات المنتمين إلى الإسلام أو فرض سيادة لسان القرآن عليها ولكنه منطلق يتخذ لسان القرآن والعربية لغة الفكر والثقافة والمعرفة، مع المحافظة على لغات المسلمين الأخرى وأدابها لتكون مجالات وأدوات تعزيز لوحدة الأمة، واللغة العربية هي الوحيدة التي صارت وسيلة انتماء لثقافة وحضارة وأمة، والتاريخ قد يعيد نفسه. فقد كانت غالبية علماء المسلمين في العربية والعلوم الإسلامية من غير العرب، فأعطوا للعربية جلّ طاقاتهم دون إلغاء للغاتهم. فاللغة المشتركة تتطلب ذلك التداخل بين لغات المسلمين واللسان العربي بالأخذ والعطاء مع المحافظة على العربية "لغة أمة ولغة أمّ" تبني وتؤسس لثقافة عالمية، كونية مشتركة ويعبر عنها، وكل من نطق بها باعتباره لسان الأمة، أو تعلمه فهو عربي.

(١) انظر، العلواني، لسان القرآن، مرجع سابق، ص ١٦.

(٢) انظر، العلواني، لسان القرآن، المرجع نفسه، ص ١٧.

(٣) العلواني، لسان القرآن، المرجع نفسه، ص ١٧.

(٤) العرجا، جهاد يوسف، دور اللغة في وحدة الأمة، مرجع سابق، ص ١٣

وبهذه اللغة المشتركة نستطيع أن نتلمس خصائص "الأمة القطب"، تلك الأمة المخرجة
قطب تأليف واستيعاب تقدم نفسها نموذجاً للناس دون أن تفرض عليها الانضمام لها أو تبني دينها
وقيمها. وحيث أظهر الله تعالى الإسلام على الدين كله، واستحقت تلك الأمة الشهادة على الأمم
والحضور الحضاري على الناس كلهم، والوسطية بينهم، التي أثنى عليها الخالق بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴿١٤٣﴾. (البقرة: ١٤٣). (١).

(١) انظر، عمر، السيد، الحقيبة المعرفية للعنواني، مرجع سابق، ص ٣٠٢-٣٠٣

مدخل الدراسة : تأسيس علم المراجعات الإسلامي:

كنا قد ذكرنا في مقدمة هذا الفصل عن جهود العلواني في بناء المفاهيم الإسلامية ،حيث جعل مدخل بناء المفاهيم هو الولوج إليها على أنها منظومة بمنهاجية علم يتم تأسيسه هو :علم المراجعات الإسلامي، وتبرز أهمية الدعوة إلى تأسيس علم المراجعات في جهود العلواني بوضوح، فأساس مشروعه الذي انطلق منه بهدف الوصول للمنهجية القرآنية المعرفية، كان قد أرسى قواعده على دعائم ستة منها: إعادة دراسة وفهم تراثنا الإسلامي، القائم على مصدرية القرآن والسنة في ضوء منهجية القرآن المعرفية.

وما يؤكد عليه العلواني في قراءته للتراث الإسلامي هو " إعادة دراسة هذا الموروث، وقراءته قراءة نقدية تحليلية معرفية ، تخرجنا من الدوائر الثلاث التي تحكم أساليب تعاملنا مع تراثنا في الوقت الحاضر: دائرة القبول المطلق ، ودائرة الرفض المطلق، ودائرة الانتقاء العشوائي". ويقول العلواني: " وهذه الدوائر الثلاث لا يمكن أن تحقق التواصل مع ما يجب التواصل معه من هذا التراث، كما لا يمكن أن تحقق القطيعة المعرفية مع ما يجب إحداث القطيعة معه من ذلك التراث". لذلك نجد أن العلواني قدم لنا خطوات بمثابة مداخل مترابطة ، تمكننا من الإنطلاق نحو المراجعة السليمة لتراثنا الإسلامي، أهمها:

— التمييز بين الوحي المنزل وبين التراث البشري. فمدخل المراجعة " هو الفكر البشري الذي هو نسبي، وليس المصادر الموحاة التي هي مطلقة ومهيمنة هيمنة مستمرة إلى يوم الدين، والرسول ﷺ قدم منهاجية للتأسي والإتباع. وكل فهم بشري عدا فهم النبي هو عرضة للمراجعة والنقد على الدوام"

-- عرض قضايا التراث على القرآن الكريم لتحديد موقعها منه هل هي متوافقة مع ثوابته أم متعارضة وهل يقبلها القرآن الكريم أم يرفضها ، وهل أنشأها الكتاب الكريم المصدر المنشئ، أو أنها أنشئت خارجه واتخذت من آياته شاهداً ومعضداً؛ لأنّ إنشاءها انطلاقاً من القرآن يجعلها قادرة على الاستجابة لقواعد التصديق والهيمنة القرآنية والاستيعاب والتجاوز القرآنيين. فالقرآن قد قام بمراجعة تراث النبوات وأخلاه من كل الشوائب بما يوحد المرجعية للبشرية. وكما أن القرآن قد راجع تراث الأمم السابقة، فمن مكنون هذا القرآن أيضاً قدرته التامة على مراجعة تراث المسلمين الذي تأسس وبني حوله لاستجلاء معانيه، والكشف عن بيانه، فهو الكتاب الذي صنعت هذه الأمة به، وبنيت به لبننة بنجومه وآياته، فالقرآن هو الذي يقرّر مدى صدق هذا التراث في التعبير عنه، والدلالة على معانيه ومكوناته

- المراجعة في ضوء مقومات "العصر النبوي من حيث مدى اتّصالها بالسنة النبوية سيرة وأفعالاً وتطبيقات، حيث كان الرسول ﷺ يمثّل المنهج الذي على كل من يريد اتباع القرآن الالتزام والتأسي به في تطبيقه، وتحقيق ما جاء به في واقع الحياة. ولذلك فإنّ مقايسة هذه العلوم إلى السيرة النبوية والسنن النبوية باعتبارها منهج اتباع القرآن المجيد تعد مسألة أساسية؛ لأنها بمثابة عرض المسائل الجزئية والفرعية على المنهج الكلي للتحقق من انضباط تلك الجزئيات والفرعيات بالمنهج الكلي الضابط الصارم"

ومن هنا يرى العلواني أنه إذا تمت المراجعة وفق تلك الأسس، فلا مانع أن تعرض العلوم الإسلامية النقلية التراثية على القرآن الكريم، فالميزان الذي نراجع به ذلك الموروث موجود في القرآن الكريم فقد اشتمل القرآن على أصول هامة كلية وجزئية لعلم المراجعات. وقد قدم العلواني مراجعات لبعض القضايا في العلوم الإسلامية، ومنها علوم القرآن وحيث هدف العلواني في مراجعة علوم القرآن إلى تنقية علوم القرآن وإعادتها إلى حالة الصدق، والعمل على بناء وتأسيس وعي قرآني جديد، يعيد بناء وتشكيل العقل المسلم بناءً معرفياً ومنهجياً، موظفاً سائر قوى الوعي الإنساني في ذلك، وتقديم تصور للقرآن يختلف عن التصورات التقليدية بتجزئتها القرآن لناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه، حيث يعيد تعريف مفاهيم "النسخ" و"المتشابه" من داخل القرآن مثبتاً وحدته البنائية كسمة رئيسة في القرآن ومحدد منهجي أساس لقراءته. سواء لاستخلاص مقاصده أو لتفسيره.

المطلب الأول: فكرة عامة عن النسخ:

النسخ من الموضوعات التي أولاها العلماء عنايتهم وبيّنوا خطره وشأنه وأهميته في فهم الدين. وقد عد العلماء النسخ آلية من آليات فهم الخطاب الشرعي في حالة التعارض والتنافي بين النصوص الشرعية، فهو ارتبط في علم التفسير، وتحدث عنه علماء الحديث، والأكثر عناية به علماء أصول الفقه خصوصاً عند الحديث عن التعارض والترجيح وهكذا صار النسخ مبحثاً أصيلاً في العلوم الشرعية.

وما قاله العلماء في الغرض من النسخ كثير، ويقول ابن العربي: "على أن تبدل الأحكام بالنسخ اختباراً للمؤمنين وامتحاناً لهم كي يمتثلوا أمر الله في جميع الأحوال والظروف". وقال ابن كثير في النسخ: "بأن الله يختبر عباده وطاعتهم لرسوله بالنسخ فيأمر بالشيء لما فيه المصلحة التي يعلمها تعالى، ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى" (١)

(١) ابن كثير الدمشقي، إسماعيل تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، مرجع سابق، ج ١، ص ٢١٤-٢١٥.

وفي بيان موقف العلماء من النسخ قال ابن العربي: "لقد أجمع المسلمون على جواز النسخ ووقوعه فعلاً خلافاً لليهود الذين أنكروه وقالوا أنه بداء. والآيات القرآنية في جواز النسخ عديدة"^(١). وقال أبو جعفر النحاس "فتكلم العلماء من الصحابة والتابعين في الناسخ والمنسوخ، ثم اختلف المتأخرون فيه فمنهم من جرى على سنن المتقدمين فوفق .. ومنهم من خالف ذلك فاجتنب . فمن المتأخرين من قال ليس في كتاب الله عز وجل ناسخ ولا منسوخ وكابر العيان واتبع غير سبيل المؤمنين"^(٢)

وبالمقابل قد أنكرته فئة من علماء المسلمين ،على رأسهم أبو مسلم الأصفهاني (ت: ٣٢٢ هـ) الذي ألف كتاباً سماه: جامع الرسائل في الناسخ والمنسوخ ينفي فيه ما ادّعي عليه النسخ من آيات الكتاب العزيز^(٣)، وقال الأصفهاني: "أحكام القرآن لا تبطل أبداً، والنسخ إبطال، فهو لا يرد على هذه الأحكام"^(٤). والاختلاف وقع أيضاً في عدد الآيات المنسوخة فيقول فضل عباس: "وإذا كان النسخ أمراً واقعاً في كتاب الله فإن كثيرين قد بالغوا في هذا الأمر فجعلوا القرآن كله ناسخاً أو منسوخاً، وقد خرج كثير منهم عن المعقول والمقبول فادعوا نسخ نسخ الأخبار ، والأخبار لا يدخلها النسخ ، كما ادّعوا نسخ بعض القواعد التي هي أصول لا يمكن أن تتغير، كما أدخل بعضهم في النسخ ما هو من قبيل التدرج في الأحكام وما هو من قبيل التخصيص"^(٥).

إذاً فاختلاف العلماء في ثبوت النسخ أو عدمه واقع ، بل إن الجدل والخلاف وقع في معظم قضايا النسخ كما سنرى، فأصبحت قضية إدعاء النسخ تورد الكثير من الإشكاليات التي سنتحدث عنها لاحقاً. فبرغم من واقعية النسخ في التراث الإسلامي إلا أنه بحاجة إلى مراجعة علمية منهجية. وفق ميزان حاكميه القرآن الكريم.

(١) ابن العربي، الناسخ والمنسوخ لمرجع سابق، ص ٣.

(٢) النحاس، أبي جعفر، محمد، الناسخ والمنسوخ في القرآن ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ،: ط ٢، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص ٥-٦.

(٣) الدغامين. زياد، دعوى النسخ في ضوء واقعية الخطاب القرآني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الاردن، ط ١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص ٢٠.

(٤) الرازي ، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج ١، ص ١١٥.

(٥) عباس، فضل، اتقان البرهان في علوم القرآن،: دار النفائس، الاردن، ط ٢. (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، ج ٢، ص ٢٤-٢٥

ثانياً: مفهوم النسخ في القرآن:

وعوداً على بدء نقول ما دعا إليه العلواني من ضرورة إعادة بناء كثير من المفاهيم الإسلامية في التراث الإسلامي، فإننا نجد قد قدم التطبيق العملي لإعادة بناء مفهوم النسخ من خلال خطوات سار عليها في مراجعة هذا المفهوم. فالخطوة الأولى التي سار عليها العلواني لمراجعة مفهوم النسخ هي: اللجوء المباشر للقرآن دون أية وسائط. وبما أن للقرآن لغته الخاصة ولسانه الخاص وهو الأصل الذي يجب أن يكون إليه المرجع لأنه استوعب اللغة وتجاوزها، ونأى عن سلبات اللسان العربي.

وهدف العلواني وهو يسير في بناء المفهوم إلى "نقض التعريف الشائع بالقرآن الكريم، أي رد الفهم البشري النسبي المعرض للخطأ للمطلق القرآني المصدق والمهيم".^(١)

وأرجع العلواني أن مثل هذه الروايات الغربية وروايات الإسرائيليات الموضوعية التي نبعت من ظهور التطاحن المذهبي هي وراء الإنحراف والتشويه لمفهوم النسخ الذي حجب العقول عن نور القرآن. وأضاف أننا نستطيع أن نستوعب مفهوم النسخ في قوله تعالى: "فيذسخ الله ما يلقي الشيطان" لأنه يجعل المنسوخ هو وساوس الشيطان، لا من آيات الله ولا من سنة رسوله ﷺ".^(٢)

وفي ضوء ما سبق يخلص العلواني إلى أن "جميع الآيات التي وردت مادة نسخ فيها لا يراد بها تلك المعاني التي ذهب الأصوليون والمفسرون واللغويون إليها بناءً على ماسبق إلى الأذهان واستقر فيها من معان اصطلاحية: "رفع حكم بحكم، أو إبطال حكم متقدم بمتأخر، أو بيان انتهاء مدة الحكم، بل إن المعاني التي جاءت في كتاب الله هي التي ينبغي أن تكون الأصل الذي يقاس به سواه"^(٣)

ثالثاً: ضوابط معرفة النسخ:

إن أهمية النسخ وما يترتب عليه من نتائج أمر لا بد فيه من الحيطة، لذا فإن الحكم على أحد النصين بانه ناسخ أو منسوخ لا يخضع لاجتهاد المجتهدين كما لا يؤخذ فيه بقول لا يستند إلى حجة، ولا يقبل فيه قول مفسر حتى قول الصحابي مالم يثبت بطريق صحيح مؤيداً بقرائن.^(٤)

(١) عمر، السيد، الحقيبة المعرفية للعلواني، مرجع سابق، ص ٨٦

(٢) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، ص ٢٢

(٣) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع نفسه، ص ٢٣

(٤) انظر، عباس، فضل، الاتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٣

وكما هو معلوم فقد وضع العلماء ضوابط لمعرفة النسخ نذكرها بإيجاز: فقد ذكر شهاب الدين القرافي في طرق معرفة النسخ التي حصرها في اثنتين:

"يعرف النسخ بالنص على الرفع أو على ثبوت النقيض أو الضد، ومعرفة التاريخ للنص على التأخير، أو السنة، أو الغزوة، أو الهجرة، ويعلم بنسبة ذلك إلى زمان الحكم، أو برواية من مات قبل رواية الحكم الأخير".^(١)

وبالنظر إلى تلك الضوابط فيما عدا الضابط الأول، فإن العلواني يرى أن ما وضعه العلماء من طرق يكشف عن آثار خطيرة ومنها:

- يصبح عامل الزمن هو السبيل لتعيين ما هو ناسخ وما هو منسوخ، فيصير التأخر الزمني كاف لجعل النص المتأخر الذي قامت نسبة أو علاقة التناقض أو التضاد أو التعادل أو التعارض بينه وبين الدليل المتقدم - في نظر المجتهد - ناسخاً للمتقدم بقطع النظر عن أي اعتبار آخر. وهنا يصير التأخر الزمني ميزة هائلة، ويكون التقدم الزمني عبئاً يكفي لإبطال مفعول النص وإزالة أثره وتبديله وتغييره^(٢).

- إن في اعتبار عامل الزمن في نظرية النسخ، إخضاع الخطاب إلى نوع من التاريخانية التي تنافي العموم والشمول والإطلاق، فأسباب النزول وتواريخ النزول مجرد أدوات يستأنس بها الفقيه - إن شاء - دون أن يكون عبئاً على النص، ويؤثر فيه بناءً على عامل الزمن، وأسباب النزول ليست حاکمة على الخطاب القرآني.^(٣)

- فطرق معرفة النسخ وضعت لتدفع التهمة عن الفقيه بالتحكم بالنص القرآني، ولكن الواقع يثبت غير ذلك، "فخرج الفقيه من منصب الحاكم بالنص إلى منصب الحاكم عليه، وبالتالي يتحول النص من متبوع يتبعه المحكوم عليه سواء مجتهداً أو مقلداً إلى تابع لفهم الفقيه الذي يحدّد للنصّ موقعه، ناسخاً أو منسوخاً، بحسب ما يصل إلى علمه من تاريخ النزول أو الورود"^(٤). ووفق كلام العلواني السابق فإن طرق معرفة النسخ هي قضية تخضع لاجتهاد المجتهد. وعندها يلزمنا مراجعة بيان وظيفة النسخ.

(١) القرافي، شهاب الدين المالكي (المتوفى: ٦٨٤هـ-)، تنقيح الفصول فيما يعرف بالأصول، تحقيق: طه عبد

الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة: ط١، (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣) ج١، ٣٢١.

(٢) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٤) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع نفسه، ص ٣٨.

رابعاً: وظيفة النسخ:

"فإذا كانت وظيفة النسخ هو رفع التعارض القائم في ذهن المجتهد وهو ينظر إلى دليلين، فهذه قضية تتعلق بأدوات المجتهد ووسائله المنهجية التي يستخدمها في التعامل مع النص، فإذا كانت وسائل المجتهد قاصرة عن إدراك معاني النصوص في سياقاتها الكلية والجزئية، وفي وحدتها وتفرقتها. فذلك يعني أن عليه أن يعيد النظر في تلك الوسائل والأدوات المنهجية، وليس له أن يعالج إشكاليته الذهنية بالتحكم بالنص قبل بناء المنهج الملائم للتعامل مع خطاب كوني مثل القرآن الكريم، فتحميل الخطاب مشكلة المجتهد أمر غير معقول منهجياً ولا يستقيم مع واجب التلاوة حق التلاوة"^(١).

وفما يتعلق بالتعارض بين النصوص هذه مسألة قد وضع الأصوليون فيها شروط ليتحقق التعارض وقد يراجع كتب علماء الأصول في ذلك، ويقول مصطفى زيد: "أما أنه يوجد في نصوص الشريعة بعد تمامها تعارض حقيقي فلا، ولكن نفي التعارض بين نصوص الشريعة لا يستلزم نفي وقوع النسخ لبعض النصوص. لأن التعارض هو تعارض ظاهري بحسب أفهامنا ومداركنا."^(٢).

واعتبر العلواني التعارض القائم في ذهن المجتهد، هو إشكال منهجي يجب تفاديه فقال: "إن إشكالية التعارض في ذهن المجتهد التي وضعت نظرية النسخ لمعالجتها، إن صورت على أنها إشكالية في النصوص ذاتها، لكنها عند إنعام النظر تبدو ظاهرة في فقه التنزيل لدى الفقيه ويعبر عنها بتحقيق المناط أو بمعرفة كيفية إعمال النص وتنزيله على الواقع، وإعمال النص يدور بين فهم الفقيه للنص وبين قدرته على تنزيله على الواقع الذي لا بد له من فهمه فهماً دقيقاً لا يعتمد على اللغة - وحدها - بل وعلى الإحاطة بأبعاد الواقع ومتغيراته ووقائعه وسائر مقوماته، لذلك إذا تمتع المجتهد بقدرة اجتهادية عالية على ربط النص بالواقع وتنزيله عليه وكانت لديه خبرة بالمحددات المنهجية لمنهجية القرآن المعرفية، كالجمع بين كالتقراءتين والوحدة البنائية، وغيرها. فإن قسماً كبيراً من الأدلة الجزئية التي يظن تعارضها سوف ينتفي التعارض عنها، أو التعادل"^(٣). وبديل البقاء في مسلمة استقرت في الأذهان مبكراً يمكن أن يلتفت كثير من أهل العلم إلى خطورة القول بالنسخ وأن هذا الذي اعتبروه حلاً لرفع التعارض سيصبح إشكالية كبيرة تنال من سلامة نصوص قطعية ثابتة.

(١) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع نفسه، ص ٥٩

(٢) زيد، مصطفى، النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية، دار الوفاء للنشر، القاهرة، ط.

٣ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م)، ج ١، ص ١٦٩

(٣) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، ص ٤٠

المطلب الثاني : أقسام النسخ وأثارها:

أولا : أقسام النسخ :

وقد امتد الخلاف في مسألة النسخ إلى تقسيماته، وتعددت التقسيمات وأشهرها عند غالبية علماء القرآن والأصوليين ثلاث تقسيمات، أشهرها على النحو الآتي :

١- نسخ الحكم مع بقاء التلاوة، فقد مثلوا له بأمثلة كثيرة نذكر منها:

أولاً: قوله سبحانه: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۗ ﴾ (البقرة: ١٨٤) منسوخ بقوله ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۗ ﴾ (البقرة: ١٨٥) على معنى أن حكم تلك منسوخ بحكم هذه، مع بقاء التلاوة في كليهما كما ترى.

ثانياً: وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤنُكُمُ صَدَقَةٌ ۗ ﴾ (المجادلة: ١٢) منسوخة بقوله تعالى: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤنُكُمُ صَدَقَتٍ ۚ فَاذَلَّرْتُمْ فَعَلُوا ۗ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۗ ﴾ (المجادلة: ١٣).

٢- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، فقد مثلوا له بأمثلة منها:

أولاً: بما جاء في رواية عائشة رضي الله عنها التي رواها مسلم^(١) وغيره من أصحاب السنن مع بعض الخلافات في هذه الروايات، قالت: "كان فيما نزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يُحرّم من) ثم نسخن بخمس رضعات معلومات يُحرّم من، فتوفي النبي ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن"
ثانياً: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة). وفي رواية عند البخاري: "حديث عمر عن ابن عباس: رضي الله عنهما- (قال عمر: لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة)"^(٢)

٣- نسخ التلاوة والحكم، فقد مثلوا له بأمثلة منها:

أولاً: (عشر رضعات معلومات يُحرّم من)

ثانياً: ما ورد في صحيح مسلم عن أنس قال: "كنا نقرأ سورة تشبهها في الطول ببراءة فأنسيتها غير أني حفظت منها (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثاً وما ملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)"^(٣).

وللعلماء توجيهات لأنواع النسخ هذه من حيث الحكمة والفائدة منها:

وفيما يتعلق بالنوع الأول فقد استدل العلماء عليه بشواهد كثيرة من القرآن الكريم، فإنهم بهذا النوع لا يمسون النص القرآني من قريب ولا بعيد، إذ الآية لم تنسخ تلاوتها بل رفع حكمها لأسرار تربوية وتشريعية يعلمها الله^(٤)، ويقول السيوطي: "وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة، وهو على الحقيقة قليل جداً، وإن أكثر الناس من تعداد الآيات فيه، فإن المحققين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربي بيّن ذلك وأتقنه. وما ذكره السيوطي: والحكمة من بقاء التلاوة، لكونه كلام الله، فيثاب عليه، والأمر الآخر ان النسخ غالباً يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيراً بالنعمة ورفع المشقة أيضاً"^(٥)

(١) النيسابوري، مسلم، الحجاج ، صحيح مسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،: دار إحياء التراث العربي، بيروت ، حديث رقم ١٤٥٢ ، (ج ٢، ص ١٠٧٥)

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير الناصر: دار طوق النجاة، ط ١٠، (١٤٢٢هـ)، حديث رقم ٦٨٢٩ ، (ج ٨، ص ١٦٨)

(٣) النيسابوري ، مسلم ، صحيح مسلم ،حديث رقم: ١٠٤٨ ، مرجع سابق ،ج ٢، ص ٧٢٥

(٤) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٢٦٥

(٥) السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علون القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم،: ابناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت، ط (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) ، ج ٢، ص ٦٣ ، ٦٩

وقالوا في: " نسخ التلاوة وبقاء الحكم: فائدة عظيمة وهي حصر القرآن في دائرة محدودة تيسر على الأمة حفظه واستظهاره، وبقائه سليماً من التغيير والتبديل. وقال الزرقاني: وسواء عرفنا الحكمة في هذا النوع أم لم نعرف، فإن ما يصدر عن العليم الحكيم الرحمان الرحيم، يصدر لحكمة وفائدة حسب ما تقتضيه المصلحة، ونؤمن بها وإن كنا لا نعلمها على التعيين" (١) بل ما قاله السيوطي في الحكمة في منسوخ التلاوة هو: "التخفيف على الأمة بعدم اشتهاار تلاوتها وكتابتها في المصحف، وإن كان حكمها باقياً، لأنه أثقل الأحكام وأشدّها" (٢)

ثانياً: آثار هذه التقسيمات:

وبالرغم مما ذكره العلماء من الحكمة والفوائد بالنظر إلى أقسام النسخ، إلا أنه اعترضت هذه التقسيمات كثير من الإشكاليات، فيقول صبحي صالح " أوقع البعض من العلماء في أخطاء منهجية كان خليفاً بهم أن يتجنبوها لئلاً يحملها الجاهلون حملاً على كتاب الله فلم يكن يخفى على أحد منهم أن القرآنية لا تثبت إلا بالتواتر، وأن أخبار الآحاد ظنية لا قطعية" (٣)، ومع ذلك ذهبوا إلى تلك التقسيمات. وقد قال صاحب المنار بعد أن ذكر الروايات وآراء العلماء وبسط القول في مسألة النسخ بخمس رضعات قائلاً: " الحق أنه لا يظهر لهذا النسخ حكمة، وإن رد هذه الرواية عن عائشة لأهون من قبولها مع عدم عمل جمهور من السلف والخلف بها، بل إن ردها وعدم الثقة بها أولى من القول بنزول شيء من القرآن لا تظهر له حكمه ولا فائدة ثم نسخه أو سقوطه أو ضياعه" (٤)

ومن وجهة نظر العلواني أن هذه التقسيمات طرحت أفكار أفضت إلى مشكلتين هما:

المشكلة الأولى: "قضية نسخ القرآن المجيد بالسنة". اختلف العلماء في نسخ الكتاب بالسنة أو بالعكس، ما بين مجوز ومانع. وقد برزت الإشكالية كما يقول العلواني في الجدل الذي قاده الإمام الشافعي حول هذا الموضوع، والذي تبدو فيه الإشكالية بحجمها الطبيعي بينه - يرحمه الله - وبين معاصريه والذين جاؤوا من بعده (٥)

(١) الزرقاني، عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، ط (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ج ٢، ص ١٨١

(٢) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٣، ص ٧٦

(٣) الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

(٤) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م)، ج ٤، ص ٣٨٨.

(٥) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، ص ٩٩

قال أبو إسحاق المروزي في كتابه : "نص الشافعي في " الرسالة القديمة والجديدة " على أن السنة لا تنسخ إلا السنة ، وأن الكتاب لا ينسخ السنة ، ولا العكس . وقال ابن السمعاني : ذكر الشافعي في " الرسالة القديمة والجديدة " ما يدل على أن نسخ السنة لا يجوز ، ولعله صرح بذلك ، ولوح في موضع آخر بما يدل على الجواز ، فخرجه أكثر أصحابنا على قولين ، وأظهرهما من مذهبه أنه لا يجوز . والثاني : الجواز ، وهو أولى بالحق انتهى . وقد استعظم إلكيا الهراسي القول بالمنع هاهنا أيضا ، وقال في " تعليقه " : قد صح عن الشافعي أنه قال في " رسالتيه " جميعا : إن ذلك غير جائز ، وعلى ذلك من هفواته ، وهفوات الكبار على أقدارهم ، ومن عد خطؤه عظم قدره . وقد كان عبد الجبار بن أحمد كثيرا ما ينصر مذهب الشافعي في الأصول والفروع ، فلما وصل إلى هذا الموضوع ، قال : هذا الرجل كبير ، لكن الحق أكبر منه" (١) .

ما يذكره نعمان جعيم: لقد كانت نظرة الإمام الشافعي إلى مسألة النسخ بين القرآن والسنة قائمة في جوهرها على الأساس الذي يحكم علاقة البيان؛ نظرا لكون السنة بيانا للقرآن الكريم، فلا يكون في البيان ما يلغي الأصل المبيّن، ولا يأتي المبيّن (الرسول ﷺ) بما يكون فيه خلافاً للأصل الذي أرسل لبيانه. لذلك كان موقفه من نسخ القرآن بالسنة مخالفاً لجمهور من جاء بعده من الأصوليين لأنه بنى موضوع النسخ على أساس مخالف للأساس الذي بنوا عليه، حيث اتخذ المنطق الذي يحكم البيان أساسا لموضوع النسخ، في حين كان اعتماد من جاء بعده على الإمكان العقلي، والتكافؤ في قوة الثبوت. وهكذا فإن الإمام الشافعي يرى بأن السنة لا تنسخ القرآن بحال، لا فرق في ذلك بين السنة المتواترة وأخبار الأحاد.

وبرأي العلواني أن - الإمام حين قال : فإن قال قائل: هل تُنسخُ السنةُ بالقرآن؟ قيل: لو نُسخَتْ السنةُ بالقرآن كانت للنبيّ فيه سنةٌ تُبيّنُ أن سنَّتهُ الأولى مَدسوخَةٌ بسنَّتهِ الآخرة، حتى تقوم الحجة على الناس بأن الشيء يُنسخُ بمثله" - لم يكن حديثه عن جواز نسخ السنة بالقرآن أو العكس فإن حديثه لا يمكن حمله إلا على أنه بيان لكيفية الحكم بالنسخ. فالإمام لا يرى للمجتهد الحق بأن يحكم بأن هذه السنة منسوخة بالقرآن ولا العكس، وإنما يحكم بنسخ السنة إذا وجد سنة مماثلة تصلح ناسخة لها، وأنداك تكون الآية مقوية للحكم بنسخ تلك السنة.

(١) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، (ت: ٧٩٤هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه دار الكتيبي، ط١، (١٤١٤

وكذلك الحال بالنسبة للقرآن: فإن المجتهد لا يحق له أن يحكم بأن الآية منسوخة إلا إذا وجد آية تصلح أن تكون ناسخة لها، وتكون السنة الواردة في الموضوع مبيّنة لكون الآية الناسخة ناسخة، والمنسوخة منسوخة^(١). والإمام حين قرر ذلك كان هدفه: "حماية أحكام كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من أي تغيير أو تعطيل من قبل من تحدّثه نفسه بذلك تحت ستار النسخ. بل حاول أن يحمي الكتاب والسنة معاً من شبهة التعارض والتناقض بينهما بل ما فهمه العلواني من أن الإمام أراد نفي النسخ عن القرآن جملة وتفصيلاً، وأن كل ما ادّعي نسخه إنما هو آيات قابلة للفهم والتفسير لا تناقض بينها ولا تعارض ولا تعادل ولا اختلاف وبأنه لو قدر لما ذهب إليه الإمام الشافعي أن ينتشر ويقبل، لربما خفف كثيراً من الآثار الجانبية لإشكالية النسخ"^(٢).

وهذه التوجيهات من قبل العلماء في فهم عبارات الإمام تبقى في دائرة الاجتهادات البشرية، فمنهم من يقترب إلى رأي الإمام، ومنهم من يبتعد، والله أعلم بذلك. ويتضح للجميع أن الإمام الشافعي ضبط مسألة النسخ بين القرآن والسنة وذلك بوضعه لشروط متى تحققت عندها يحكم بأن هذه السنة منسوخة بالقرآن.

المشكلة الثانية: "تكمّن في الإستسلام التام لسلطة المروي والمأثور والموروث، والتساهل اللافت للنظر في تمحيصه ونقده خاصة وأن هذه المرويات تتعلق بكتاب الله المعجز المطلق الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يناله الاختلاف، فكان عليهم أن يحتاطوا أشد الاحتياط، ولا يسمحوا بتداول أي شيء من تلك الروايات إذا لم يخضعوه لكل أنواع النقد والتمحيص دراية ورواية - معاً - وأن التسليم يستلزم أقولاً خطيرة في حق القرآن المجيد"^(٣) وسنقف هنا عند حديث "الشيخ والشيخة" لقد اشتهر هذا الخبر، وما قاله الزركشي "إذا تلقته الأمة بالقبول"^(٤)، ويعلق العلواني على تلك العبارة: "أن هذا القول فضفاض لا علم بسنده ولا دليل يعضده وضعوه وتعلق به من تعلق ليتخذ منه وسيلة لتعزيز ما لا يمكن إقامة دليل على قبوله"^(٥).

(١) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٢) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، ص ١٠٣، ١٠١.

(٣) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٢٥١.

(٥) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، ص ١٠٩.

وأما عن الروايات التي وردت في حديث "الشيخ والشيخة": فمنها ما ورد في :

- **عند البخاري:** "حديث عمر عن ابن عباس: رضي الله عنهما- (قال عمر: لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة"^(١)) والملاحظ أنه لم يذكر لفظة "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة"

- **وعند النسائي**^(٢) أيضا: "أخبرنا محمد بن منصور المكي قال: حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال: قال عمر: قد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول القائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق إذا أحصن، أو قامت البينة أو كان حمل، أو اعتراف. وقد قرأتها: " الشيخ والشيخة.. " وقد رجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده".

- **وفي موطأ مالك:** " أن عمر خطب الناس، فقال: أيها الناس، قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتكم على الواضحة، إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا، وضرب بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى . لكتبتها: الشيخ والشيخة فارجموها البتة. فإننا قد قرأناها"^(٣)

وقد ذكر بعض العلماء الكثير من التعليقات حول اضطراب رواية "الشيخ والشيخة". ومنها

١- أن الامام البخاري لم يذكر في صحيحه الشيخ والشيخة آية من كتاب الله ، وكأنها لم تصح عنده من هذا الطريق، وقد أشار إلى هذا الحافظ ابن حجر في الفتح^(٤)، فقال : "ولعل البخاري هو الذي حذف ذلك عمداً" ويعني- الشيخ والشيخة -.

٢- ما ذكره النسائي في رواية سفيان عن الزهري: "لا علم أحدا ذكر في هذا الحديث: (الشيخ والشيخة فارجموها البتة) غير سفيان، وينبغي أنه وهم، والله أعلم"^(٥)

(١) البخاري ، صحيح البخاري، رقم حديث (٦٨٢٩)، مرجع سابق، ج٨، ص١٦٨

(٢) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط.١: (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، حديث رقم (٧١١٨)، ج٦، ص٤١١

(٣) ابن أنس، مالك بن مالك أبو عبدالله، (ت: ١٧٩هـ) الموطأ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، ط١ (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) ج٥ ص١٢٠٣

(٤) العثمان ، حمد، أسانيد الرجم، مجلة الحكمة ، العدد الخامس ، قام بنشره أبو مهند النجدي.

(٥) النسائي ، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج٦، ص ٤١١، حديث رقم ٧١١٨.

٣-وما قاله العلواني: "إن هذا الإصحاح "الشيخ والشيخة" من إصحاحات التوراة ولا ننفي ذلك، ولكن ننفي عنه - القرآنية - . ونؤكد استحالة أن يكون حديثاً من أحاديث أفصح من نطق بالضاد، فلفظ الحديث "يبدأ بالشيخ والشيخة.. " ولم يعرف في العربية، ولا في الاصطلاحات الفقهية أنّ الشيخوخة تفيد الإحصان" بل إن القرآن لم يجعل لكبر السن وصغره دخلاً في موضوع الرجم، إنما الإحصان أو عدمه. (١)

٤ - "أن قبول هذه الروايات في الشيخ والشيخة وغيرها مما أُدعي أنها قرآن ومن ثم نسخ تترتب عليها مجموعة من العظائم" (٢):

-منها: الطعن في الصحابة الكرام، وفي مقدمتهم عمر وعثمان وزيد وكتاب الوحي ومن عملوا في جمع القرآن المجيد بشتى صيغ الجمع، فكل هؤلاء تنتفي عنهم الأمانة والدقة والضبط، وتوجه إليهم تهمة التفريط في تدوين آيات قرآنية توفي رسول الله ﷺ وهي مما يقرأ (٣)

- ومنها: "أن الله - تبارك و تعالى - الذي تكفل بحفظ القرآن كما تكفل بإنزاله وجمعه وأنه - تعالى - عن أقوالهم و عما تؤدي إليه أقوالهم - قد أخلف وعوده وفرط في ذلك كله وتركه أو بعضه لهوى الرواة إن شأؤوا أثبتوا وإن شأؤوا محوا". (٤)

-منها: "الطعن ببلاغة القرآن الكريم وفصاحته ونظمه واسلوبه واعتبار هذا القول الركيب المترجم من التوراة "الشيخ والشيخة" آية من القرآن، وكأن الصحابة الكرام لم يتمكنوا من إدراك الفروق الهائلة بين أساليب القرآن المتحدي المعجز. فلم يشر أي منهم وهم من ذؤابة فصحاء العرب إلى ركافة هذا المروي". (٥)

وينبه العلواني إلى أن الأمر أخطر مما نتصور "فلا يكفي الطعن في صحة الرواية أو دقتها، بل والأمر يتعلق بالقرآن الكريم - لا بد من الحسم، ولا بد من القول بأنه لا نسخ في القرآن على الإطلاق وأن كل ما ادّعي نسخه لم يكن يحتاج إلا إلى جهد يسير، يجمع فيه بين القراءتين، وتلاحظ فيه الوحدة البنائية في القرآن الكريم، وبقية خصائص الخطاب القرآني ليفهم ويتضح، وتبرز معانيه".

(١) انظر ، العلواني ، نحو موقف قرآني من النسخ مرجع سابق، ص ١٢٨ . وانظر العثمان حمد، أسانيد آية الرجم، مرجع سابق

(٢) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ المرجع سابق، ص ١٢٦-١٢٧

(٣) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ المرجع نفسه، ص ١٢٧

(٤) العلواني نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع نفسه، ص ١٢٧

(٥) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع نفسه، ص ١٠٨

المطلب الثالث : كيفية فهم النصوص دون اللجوء إلى القول بالنسخ:

أولاً: فهم خصائص الخطاب القرآني:

ومعرفة خصائص الخطاب القرآني وأساليبه كفيلة بمنع "القول بالجواز العقلي والوقوع الشرعي في خطاب إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعصمة هذا الكتاب، وكونه معادلاً للكون وحركته، مستوعباً لكل تصاريف تلك الحركة، تشبه آياته وكلماته وحروفه في مواقعها منه مواقع النجوم في السماء بحيث لو غير موقع نجم واحد، أو خرج عن مداره، أو اتخذ لنفسه مداراً مغايراً لاختل نظام المجموعة كلة. وكذلك مواقع "نجوم القرآن" منه وآياته وكلماته وحروفه. وحين نلاحظ هذا فإننا لا نستطيع قبول إعمال "نظرية النسخ" في القرآن العزيز المجيد"^(١)

ومن بين هذه الخصائص التي لا بد من استحضارها:

١- **الوحدة البنائية للخطاب** : والوحدة البنائية كما قلنا سابقاً فهي التي تجعل من القرآن وإن تعددت آياته وسوره وأجزاؤه وأحزابه كالكلمة الواحدة متنسقة المعاني، منتظمة المباني. فلا يستقيم القول بالنسخ مع القول بالوحدة البنائية. فالتعارض في ذهن المجتهد لا في أصل الأمر، فكلام الله نور وأنواره لا تتعارض وكل تدبير لهذا التعارض يجب أن يتأطر بالوحدة البنائية للخطاب فتقروءه في كليته ونسقيته، فإن القراءة التعضوية هي التي أورتنا كثيراً من المقولات الغثّة التي لا يتقبلها الأحكام القرآني. فغياب مفهوم الوحدة البنائية بسبب القول بالنسخ، أدى إلى فقد المسلمون شرط حسن التلاوة ودقتها واستقامة الفهم.

٢- **وكذلك يجب استحضار الجمع بين القراءتين**: بالعود إلى حديث العلواني عن ذلك المحدد المنهجي (قراءة الوحي وقراءة الكون) الذي قال فيه: "قراءة تبدو غيبية تنشأ في إطار الوحي وتنطلق باتجاه الكون، وقراءة موضوعية تنطلق من الكون وعناصره باتجاه الوحي. فقراءة الوحي بمثابة تنزل من الكلي إلى الجزئي، فتدرك بقدر ما تنتجها القدرات البشرية النسبية من الفهم لتنتزلات الكليّ وكيفياتها. وقراءة الكون تقدم القضايا والمشاكل، والأسئلة الجزئية وترفعها إلى سدة الوحي ليهتدي الإنسان القارئ في الإثنين إلى الإجابات السليمة من المصدر الذي يهدي للتي هي أقوم" فكيف يتحقق الجمع بين القراءتين على هذا النحو و "النسخ يحول دون الجمع بين القراءتين، فكيف تصح قراءة الكون وكلّ ما فيه من مفردات بعيداً عن الآيات المنسوخة"^(٢)

(١) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ مرجع سابق، ص ٦٠-٦١

(٢) الدغامين، دعوى النسخ في ضوء واقعية الخطاب القرآني، مرجع سابق، ص ٤٧

٣- قدرة الخطاب القرآني على الانفتاح على حركة الزمن: فالخطاب القرآني منفتح على حركة الزمان في عصر النبوة وما بعده، ذو قدرة خارقة معجزة على استيعاب تلك الحركة وتجاوزها، فأنا لن نجد أنفسنا مضطرين للقول بالنسخ، أو ملاحظة تواريخ النزول، أو أسبابه فيما يتجاوز الاستثناس، وإن نزول القرآن منجماً لم يكن ليربط تلك النجوم القرآنية ببيئة ذلك العصر، بل لتكوين "الأمة القطب النمودج" بها وإبراز معالم منهج التكوين دون تقييد بذلك الواقع المبارك. (١) "وكذلك فليس في الخطاب أحكام قد توفقت عند حدود الزمان والمكان وثبتت هناك لا تتحرك، فكونها واقعية يعني أنها فاعلة في حياة الانسان، ولكن القول بالنسخ حكم عليها بالتوقف عند حدود المكان أو الزمان، أو اجتهاد الإنسان، بل فيه نفي لصفة الواقعية عن تلك الآيات". (٢)

٤- استراتيجية الخطاب القرآني: وصف العلواني الخطاب القرآني "بالمقاتل المغوار يحاول اختراق الحصون ليصل إلى عقل ونفس ووجدان ذلك الانسان الذي جعل من نفسه حصناً للجاهلية فهو يستخدم كل الوسائل المتاحة لديه، والتي هيأها الله وأعداها مسبقاً للقيام بعملية الاختراق، كما أنه يستغل كل ثغرة أو فرجة.. ليصل إلى ما يريد وهنا تجد نفسك امام خطة استراتيجية دقيقة ومحكمة، ومخطط في غاية الدقة تبدو لك غايته، ومعالم سياساته المرحلية حتى بلوغ الغاية، فحين تبدو للقارئ بعض التعارضات الموهومة على سطح الخطاب فإنها لا تتم إلا عن طبيعة المجاوزات المرحلية التي يمر الخطاب بها وهو يشق طريقه حاملاً المعنى الذي حمل به إلى عقل المخاطب ونفسه ووجدانه، فهو يدرك أنه يقدم عقيدة بديلة وشريعة بديلة وتصوراً بديلاً وثقافة بديلة .. فينحاز إلى المنظومة القيمية الجاهلية كلها الراسخة في الثقافة التي يعمل على إصلاحها وتقديم البديل عنها كانهياره في الحالة العربية إلى الكرم والشجاعة والأمانة والغيرة ونجدة الضعيف ويندد في الوقت ذاته بقيم أخرى كالصلف والتفاخر بالأباء والاعتداد بسلطة المال والاسترقاق وإدمان الشراب والمقامرة والنظر إلى المرأة بوصفها مخلوق دنيوياً". (٣)

فالخطاب القرآني يأخذ بيد المخاطب ليعطي الجانب الإيجابي المنسجم مع فطرته فيه، ويستعين به على جعل هذا الإنسان بمواجهة ذاته، يحاورها ويجادلها ليصل إلى رفض الجانب السيئ الذي كان عليه، وقبول البدائل التي جاء بها الخطاب القرآني. (٤).

(١) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ مرجع سابق، ص ٦٤

(٢) الدغامين، دعوى النسخ في ضوء واقعية الخطاب القرآني، المرجع سابق، ص ٤٨، ٤٧، ٤٧، ٤٧ بتصرف

(٣) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ مرجع سابق، ص ٦٦-٦٧ بتصرف

(٤) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع السابق، ص ٧٦

٦- قدرة الخطاب القرآني على بناء منظومة كاملة للقيم والمقاصد: "والخطاب القرآني" عمل على تقديم المقاصد الشرعية الكبرى لأول مرة في تاريخ الشرائع والقيم. تقدم القيم العليا الحاكمة "التوحيد والتزكية والعمران والأمة والدعوة" لتشكل قاعدة الثوابت الراسخة التي تمكن البشرية من الاستجابة لحاجاتها التشريعية مع تحقيق مقاصد الشرائع في الواقع بكل مكوناته فنجد الخطاب القرآني قد وضع في اعتباره حالة المكلفين، والواقع بعناصره، والسياق الذي ورد الخطاب فيه، فبدأ بقياس طاقات هذا الإنسان المختلفة ليوظف الإيجابي منها في مواجهة السلبي^(١)، فهو يريد أن يرتقي به نحو الكمال بكل أبعاده، فلذلك قد بنى خطابه إلى الإنسان على أساسين هما

- "العلم المطلق بطبيعة هذا الإنسان، وإمكاناته وقدراته. "وخلق الإنسان ضعيفا" وخلق الإنسان من عجل". وإلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة ذات الدلالة على علم الله بطبيعة الإنسان في كل أحواله وتقلباته. وربما لم تدرك دعوى النسخ هذا البعد ابتداءً في الخطاب القرآني، الذي استند أساساً وقام على مبدأ "التخفيف والتيسير ورفع الحرج" ففهمت ولاحظت معنى التشديد والمشقة في كثير من نصوص الخطاب القرآني، ثم ادّعت النسخ على هذه النصوص للوصول إلى نتيجة مفادها في الأعم الأغلب التخفيف على الأمة ورفع الحرج عنها رحمة بها وتيسيراً عليها، وجعلت ذلك من حكم مشروعية النسخ، على الرغم أن هذه الحكمة لا تحتاج إلى اجتهاد للوصول إليها، بل إن النص ناطق بها صراحة، بل التشريع كله، والتكليف كله مبني عليها ابتداءً".

- العلم المطلق بواقع هذا الإنسان، وقد تحدثنا عن ذلك مسبقاً وملخصه: أن الخطاب القرآني يتفاعل مع الواقع متدرجاً فيتصل به، وينفصل عنه فيستوعب الواقع، ولكنه سرعان ما يتجاوزه فهو لا يحل فيه، بل يستوعبه ويقوم بترقيته وتزكيته ثم يتجاوزه إلى المستقبل.

- وأما عن السياق فدعا العلواني إلى فهم السياق فهماً سليماً وهو يؤدي مهامه في بناء المقاصد والقيم، بعيداً عن القول بالنسخ، ويتضح ذلك في فهم هذه الآية التي قيل أنها دخلها النسخ " فقد روى سفيان عن الزهري عن سالم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه تلا هذه الآية ﴿لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴿٢٨٤﴾ (البقرة: ٢٨٤) فدمعت عيناه فبلغ صنيعة ابن

عباس فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن، لقد صنع أصحاب رسول الله ﷺ، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ (البقرة: ٢٨٦). (٢)

(١) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع نفسه، ص ٦٩-٧٠

(٢) انظر، العلواني نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع نفسه، ص ٧١

فيقول العلواني في شأن ذلك: فهذا الانتقال بين الآيتين ظنوه للوهلة الأولى انه تعارض فقالوا بالنسخ ولكن بالملاحظة يتبين لنا أن لكل من النصين وظيفة نفسية واجتماعية وتاريخية. فالنص الأول يقوم بتحريك الواقع بإعطاء الانسان دفعة قوية جداً حيث يعلي فيه طاقاته النفسية ويضاعفها اضعاف كثيرة، فتتحقق الغايات القيمة في تكوين الإنسان أو النموذج الإنساني المطلوب المتحلي بالصدق مع الله ثم مع الذات، والإحساس الكامل بالمسؤولية التامة عن الكون والحياة والإنسان فتتحقق فيه شروط الخلافة والفاعلية وإرادة العطاء والمشاركة. إذاً وضح لك أيها الإنسان بالخطاب الأول قدراتك الهائلة الكامنة، والتي ينبغي أن تسعى لاستكمالها وتفعيلها، ثم جاء بالخطاب الثاني "لايكف الله نفساً إلا وسعها" ليبين لك أنه لا يجب أن يورقك ذلك فلا جزاء إلا على العمل الفعلي، ويحقق الجمع بين استحضر المراقبة لله وربط الجزاء بالعمل لا بحديث النفس هدفاً تربوياً هو عدم الاسترسال في حديث النفس وهو اجسها^(١).

ثانياً: فهم آية (عدة المتوفي عنها زوجها) في ضوء خصائص الخطاب القرآني:

ما قاله العلواني: "إن عملية فهم الآيات التي ادعي وقوع النسخ فيها استمرت منذ القرن الثاني الهجري في التناقض فكلما اتضح للناس معنى يزيل التعارض من أذهان المجتهدين أو العلماء رفعت من بين الآيات التي أدخلت في النسخ حتى بلغت عند المتأخرين ست آيات فقط أو خمساً"^(٢). لذلك يؤكد العلواني أنه لا تعارض ولا تناقض بين الآيات يستدعي القول بتخريجها على قواعد النسخ نفسها عند القائلين بها ليدسخ المتأخر بالمتقدم، وللدخول بتأويلات متعسفة، والتمسك بروايات بنيت على أفكار هيمنة النسخ، وعلى أنها من المسلمات، والتي هي لا تقف أمام هيمنة القرآن الكريم^(٣)، وخصائص خطابه التي أشرنا إليها سابقاً.

ولعل من أشهر الأمثلة التي ذكر غالبية العلماء أنها منسوخة ما ورد في عدة المتوفي عنها زوجها قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ حَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٤٠). قالوا: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٣٤).

(١) انظر ، العلواني ، نحو موقف قرآني من النسخ ، المرجع نفسه ، ص ، ٧٣. وانظر، عمر، السيد ، الحقيبة المعرفية

للعلواني مرجع السابق، ص ٢٢٦

(٢) العلواني ، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، ص ١١٨

(٣) انظر ، العلواني ، المرجع نفسه، ص ١٢٢

ذهب جماعة من المفسرين في تأويل هذه الآية (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) أن المتوفى عنها زوجها كانت تجلس في بيت المتوفى عنها حولا ، وينفق عليها من ماله ما لم تخرج من المنزل ؛ فإن خرجت لم يكن على الورثة جناح في قطع النفقة عنها ؛ ثم نسخ الحول بالأربعة الأشهر والعشر ، ونسخت النفقة بالربع والثمن في سورة "النساء" قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد والربيع. وفي السكنى خلاف للعلماء^(١)، روى البخاري عن ابن الزبير "قال : قلت لعثمان هذه الآية التي في "البقرة" : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) إلى قوله {عَيْرَ إِخْرَاجٍ} قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه"^(٢)، وقال ابن عاشور : "فاقتضى أن هذا موضع هذه الآية ، وأن الآية التي قبلها ناسخة لها ، وعليه فيكون وضعها هنا بتوقيف من النبي لقول عثمان " لا أغير شيئا منه من مكانه" ويحتمل أن ابن الزبير أراد بالآية الأخرى آية سورة النساء في الميراث"^(٣)

وقال الطبري عن مجاهد: "إن هذه الآية محكمة لا نسخ فيها والعدة كانت قد ثبتت أربعة أشهر وعشرا ثم جعل الله لهن وصية منها سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة فإن شاءت المرأة سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قوله تعالى {عَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} "^(٤) قال القاضي أبو محمد: "وألفاظ مجاهد رحمه الله التي حكى عنها الطبري لا يلزم منه ، أن الآية محكمة ولا نص مجاهد ذلك بل يمكن أنه أراد ثم نسخ ذلك بعد بالميراث"^(٥) وقال الرازي: "وتنزيل الآيتين على هذين التقديرين أولى، حتى يكون كل واحد منهما معمولا به ". وقد رجح ابن عاشور مقاله مجاهد حيث قال : "وهذا الذي قاله مجاهد أصرح ما في الباب وهو المقبول" ويقول صاحب الظلال : "وبعضهم يرى أن هذه الآية منسوخة بذلك. ولا ضرورة لافتراض النسخ، لاختلاف الجهة كما رأينا. فهذه تقرر حقا لها إن شاءت استعملته. وتلك تقرر حقا عليها لا مفر منه" وهي عدتها أربعة أشهر وعشراً.

(١) القرطبي ،الجامع لإحكام القرآن،مرجع سابق،ج٣،ص٢٢٦

(٢) البخاري ،صحيح البخاري،مرجع سابق، كتاب التفسير،باب "والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً" حديث رقم (٤٥٣٠)، ج٦،ص٢٩،

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص ٤٧١

(٤) الطبري ،جامع البيان ،مرجع سابق ، ج ،ص

(٥) ابن عطية ،المحرر الوجيز، مرجع سابق ،ج١،ص٣١٩

وللعلواني كلام قيم في حديثه عن عدة المتوفي عنها زوجها حيث قال: "والحق أنّ مورد الآيتين مختلف تمام، إذ أن قوله تعالى "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ" جاء مراعيًا لعادات الأمم وأعرافها في التعبير عن تكريم الأحياء لموتاهم واحترامهم لذكراهم. واختلفت العادات عند كل أمة في التعبير عن تلك المشاعر، وقد راعى القرآن هذه المشاعر الإنسانية أحسن مراعاة وأجملها، فمَنْزل الرجل الذي شهد حياته مع زوجته وبذيه يبقى وكأنّ تغييراً لم يحدث بهذه الوفاة، تخفيفاً على المنتمين للأسرة كلها وفي مقدمتهم الزوجة، ولكي يأخذ كل منهم فرصته الكافية للصبر والسُّلُو، وتجاوز الإحساس بالموت والفرق، بل إن هناك من الجوانب العاطفية في حالة "المتوفى عنها زوجها" والتي توضح كثير من المعاني في فهم الآيات التي ربما لم يلحظها المفسرون، لأنّ أعينهم كانت مشدودة إلى الحكم الفقهي الجزئي التكليفي. ولما كان هناك حاجة للقول بالنسخ بين الآيتين. (١) فلكل آية مجالها وسياقها التي تحمل عليه في ضوء مراعاة جوانب عديدة في حياة المرأة التي فقدت زوجها والتي في مراعاتها انعكاس على ترتيب حياتها ووضع الأسرة بكاملها. ومن هذه الجوانب:

١- فهناك جانب "براءة الرحم من ماء المتوفي وهي التي تكفيها القروء الثلاثة" (٢).

٢- وهناك "براءة النفس من كآبة الحزن" (٣) فتحتاج إلى مدة أكثر من الثلاث، فهي فترة الإحساس النفسي الثقيل الشديد على المرأة وتكفيها أربعة أشهر وعشر (٤)، ويشير صاحب الظلال - يرحمه الله - في الحكمة في التخفيف عن كاهل المرأة "جعل عدتها أربعة أشهر وعشر ليال: "ولم يجمع عليها بين فقدان الزوج واضطهاد الأهل بعده.. وإغلاق السبيل في وجهها دون حياة شريفة، وحياة عائلية مطمئنة. جعل عدتها أربعة أشهر وعشر ليال - ما لم تكن حاملاً فعدتها عدة الحامل - وهي أطول قليلاً من عدة المطلقة. تستبرئ فيها رحمها، ولا تجرح أهل الزوج في عواطفهم بخروجها لتوها. وفي أثناء هذه العدة تلبس ثياباً محتشمة ولا تتزين للخطاب. فأما بعد هذه العدة فلا سبيل لأحد عليها. سواء من أهلها أو من أهل الزوج. ولها مطلق حريتها فيما تتخذه لنفسها من سلوك شريف في حدود المعروف من سنة الله وشريعته، فلها أن تأخذ زينتها المباحة للمسلمات، ولها أن تتلقى خطبة الخطاب، ولها أن تزوج نفسها ممن ترتضي. لا تقف في سبيلها عادة بالية، ولا كبرياء زائفة. وليس عليها من رقيب إلا الله"

(١) العلواني نحو موقف قرآني من النسخ، المرجع السابق، ص ١١٩-١٢٠.

(٢) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، ص ١٢٠

(٣) رضا، محمدرشيد، المنار، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٤) العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ مرجع سابق، ص، ١٢٠

٣- وبعد اجتياز الصدمة العاطفية وبراءة الرحم. والتهيؤ لاستئناف دورة حياتية جديدة. تأتي فترة إعادة ترتيب الحياة لها ولأبنائه بعد هذه التغيرات الحادة المادية منها والمعنوية، فأن تعطي الزوجة المفجوعة في زوجها فرصة عام مناسب، لتعيد ترتيب أمورها، وأمور صغارها، ولتعود نفسها على تحمل المسؤوليات.

٤- مراعاة حالات للزوجة تستدعي التمتع بحق الوصية إلى أن يحول الحول، فليس كل من مات عنها زوجها على حال واحدة. فقد أشار زياد الدغامين إلى لفتات طيبة في معرض حديثه عن الحالات التي تستدعي جواز الوصية للزوجة، حيث قال في حالة المرأة الحامل: فالقائلون بالنسخ نظروا إلى قضيتين مادتين، هما: النفقة والسكنى، فبمجرد موت الزوج لا يحق للمرأة نفقة ولا سكنى، بل تنتقل بصفقتها وارثا إلى الأحكام المقررة في الميراث، وما يجري بحق المرأة الحائل يجري على المرأة الحامل وبالنظر إلى واقع تلك المرأة الحامل فالأمر مختلف، فقد يكون وضعها بعد ساعة، بل قد تلد والزوج على فراش الموت لم يدفن بعد، وقد يمتد الحمل إلى تسعة أشهر، ثم هناك إنجاب، ويولي الإنجاب رضاعة، ورعاية للمولود... الخ. وعندها تصبح الزوجة مكلفة بنفقات من أجل رعاية الجنين وتكلفة العلاج الصحي على امتداد فترة الحمل، وتكلفة نفقات الولادة، والشروع لا يكلفها بهذه النفقات. وإذا وضعت حملها هل تطالب بإخلاء المسكن للورثة، وهل الأحوال النفسية والاجتماعية بعد فترة الوضع مناسبة لذلك؟ أيعقل أن تترك كل هذه التبعات على كاهل المرأة، دون أن يكون لها وصية تحفظ لها أداء كل هذه المهمات. وهي التي تحملت مع زوجها عناء الحياة، بل قد تجرعت شحيحها وقيصومها. (١)

إذاً يخلص العلواني بأنه إذا تم فهم سياق الآيات فهما سليمان، وفي ضوء خصائص الخطاب القرآني، فعندها لاجابة لنا للقول بالنسخ، فالآية "ويتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً" اتجهت نحو الزوجة في بدنها ونفسها ورحمها وخروجها من تأثيرات مصيبة الموت، أي تسوية الجانب النفسي والجسمي للمرأة، وأما الحول فهو حد للتسويات المختلفة خاصة المادية منها. المتعلقة بترتيب الحياة. فهي وصية من الله تعالى للأزواج وللإسرة وللورثة وللأمة في أن تعطي الزوجة المتوفي عنها زوجها فرصة إعادة ترتيب حياتها المادية التي صار لها فيها شركاء آخرون هم بقية الورثة، ولا يمكن أن يتم ذلك بشكل ملائم في أقل من حول هذه المراعاة لشؤون الأسرة والزوجة ليست بغريبة عن تعاليم أحكام هذا الدين الحنيف القائمة على التخفيف والرحمة ومراعاة مختلف القضايا الإنسانية وفي مقدمتها "الأسرة" التي هي حجر الزاوية في بناء المجتمع، والتي يحرص الإسلام في المحافظة عليها. (٢)

(١) انظر، الدغامين، دعوى النسخ في ضوء واقعية الخطاب القرآني، مرجع سابق ص، ١٥٣

(٢) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ مرجع سابق، ص، ١٢١

مدخل الدراسة :

من المراجعات التي قدمها العلواني في مراجعة علوم القرآن والتي أسماها (نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه) حيث يعالج فيها إشكالية المتشابه في العلوم الإسلامية. ويجلي مفهوم المحكم والمتشابه في القرآن. فالقرآن هو خاتم الكتب الإلهية وجماع رسالات الله إلى خلقه، وهو هدى لكل خير، أحكمه الله وحفظه وفصله على علمه المحيط الشامل المطلق وهو أحسن الحديث. وهو متشابه كله في الأحكام والإتقان والإعجاز. وهو واحد كله في ابتناؤه على علم الله المحيط المطلق. ورسالات الله واحدة في أصول العقيدة وقواعد الشريعة إلا ما حرفة البشر أو فرطوا فيه. وأوجب الله على الأمة الخاتمة أن لا تحاكي الأمم السابقة في التفرق في الدين والتفريق بين الله ورسله ونبيه الخاتم. والقرآن مهيمن ومصدق وقيم على كل ما هو صحيح بالرسالات الإلهية السابقة عليه. وليس من حق أحد أن يدعي احتكار فهمه وتفسيره والتوسط بين العامة وبينه بدعوى أن فيه إحكاماً وتشابهاً وغيباً وباطناً لا يعلمه إلا هم.

ويوضح العلواني مقصد هذه الدراسة وهو: تقويض الأسس التي قامت عليها فكرة وقوع المتشابه في القرآن من أساسها وإثبات استحالة وجود غامض ومبهم وغير مفهوم في القرآن بأدلة من القرآن ذاته،فالتنزيل العزيز بيّن كله ومبين لسواه، مصداقاً لقول الله: ﴿□□□﴾ (النحل: ٨٩)

المطلب الأول: الخطوط الرئيسية المتعلقة بإشكالية المحكم والمتشابه:

أولاً: معنى المحكم والمتشابه عند المفسرين:

اختلف المفسرون بشدة حول تعريف معنى المحكم والمتشابه،فذكر العلواني بعض آرائهم على النحو الآتي: فمنهم من ضيق واسعاً وحصر المحكمات في الوصايا العشر، والمشتبهات فيما اشتبه على اليهود،وهي حروف المعجم في أوائل السور. وقال بعضهم أن المحكم هو "ما لا تختلف فيه الشرائع. والمتشابه هو المجمل". وهو ما ذهب إليه الإمام الرازي ، ومنهم من قال إن "المحكم هو الناسخ. والمتشابه هو المنسوخ ،ونقلوه عن ابن عباس،و ابن مسعود -رضي الله عنهما" ومنهم من قال إن المحكم "ما كان دليلاً واضحاً كأدلة وحدانية الله. والمتشابه ما تحتاج معرفته إلى التدبر والتأمل " ومنهم من قال بأن المحكم هو "بيان الحلال والحرام. والمتشابه ما أشبه بعضه بعضاً في المعاني، وإن اختلفت ألفاظه،ونسبه الطبري إلى مجاهد"

ويتضح للعلواني هاجس فكرة الغموض الذي سيطر على المفسرين باعتباره معنى للمتشابه، مقابل البيان باعتباره معنى للمحكم، فذكر القرطبي: " وإنما المتشابه في آية آل عمران من باب الاحتمال والاشتباه، كما في قوله أ□□□□□ (البقرة: ٧٠) أي التبس علينا" (١)، وحيث استند بعضهم للمعنى اللغوي لتفسير المتشابه بالمتببس، وواقع الأمر أن للمفهوم في اللغة معنيين: ما له أفراد أو أجزاء يشبه بعضها بعضاً، وما يلتبس فيه الأمر، وهم لم يلاحظوا المعنى الأول للمتشابه لذلك ينبه العلواني إلى أن الغموض والالتباس من عيوب الكلام التي لا تتصور إلا في حق مخلوق. والقرآن بيان للناس ليقطع حجتهم. ولكتاب الله لسان خاص به متفرد معجز في البيان.

ثانياً: منشأ إشكالية المحكم والمتشابه:

أرجع العلواني فكرة المحكم والمتشابه لطبيعة الغريزة الإنسانية التي تميل إلى الهروب من حمل التكليف، بالتذرع بعدم وضوح خطاب التكليف وقد تسعى إلى تقييده بشروط ليصبح متعسراً بغية التهرب من التكليف كما فعل اليهود في مواجهة الأمر بذبح بقرة بادعاء الغموض والالتباس. وهم ليسوا متفردين في هذا النهج. فقوم شعيب واجهوه بادعاء عدم فهم كثير مما يقول. كان علينا أن نحاذر من تقليد الأمم السابقة في ذلك، ولكننا وصلنا إلى نتيجة مماثلة، رغم أننا تركنا على المحجة البيضاء. إذاً فكيف تشوه مفهوم المحكم والمتشابه، واستقر في أذهان كثيرين أن في القرآن المبين آيات ملتبسة موهمة ومبهممة ولا تدرك معانيها؟ (٢).

فيجيب العلواني لقد نشأت هذه الإشكالية:

- نتيجة تصور أن القرآن نزل بلغة العرب كما بنى علماء اللغة فلسفتها وقواعدها وضوابطها، وهذا التصور بحاجة إلى إعادة نظر لأنه قائم على التسوية بين لسان القرآن العربي واللغة العربية، فاللغة تعبر عن مضامين ثقافية واجتماعية واقتصادية لم يأت القرآن ليكون امتداداً لها، بل ليكون هو المرجعية المهيمنة عليها. فهو ليس ملتصقاً ببيئة التلقي ولا ببيئة القراءة. فدعوى الغموض والالتباس بنيت من خارج سياق القرآن الذي هو بنية واحدة محكمة. (٣).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج٩، ص ١٩

(٢) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، مرجع سابق، ص ٢١

(٣) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥

- كما كان للمذهبية والفرقية أثرها في نشوء إشكالية المحكم والمتشابه. فعلم الكلام نشأ من الاختلافات المذهبية والنسبة إلى البدعة والشبهة والكفر، وتعقب سقطات الآخرين بمنهجية التجزئة والتعضية. وهذا هو ما حدث لمفهوم المحكم والمتشابه، باعتبار أن المتشابه هو الغامض في دوامة السجالات الكلامية، وصور القرآن كما لو كان خطاباً للتفريق والتحزب، وليس خطاباً تكليفاً يهدف إلى شحذ الأفهام والهمم، فإذا أراد واحد أن يصف من يختلف معهم بأنهم غواة زائغون، فلا بد أن يكون ما يتبنونه من آراء هو أتباع للمتشابه، وقد فات هذه الفرق أن القرآن الكريم حبل الله المتين، والنور المبين الذي أمرنا أن نعتصم به جمعياً، فهو الحكم العاصم من الفرقة والزيغ.

ثالثاً : اتجاهات تفسيرية لنفي الغموض عن معنى المحكم والمتشابه:

ونؤكد مراراً بأن العلواني لا ينكر جهود علماء التفسير، حيث بين أن هناك محاولات جادة لتخليص معنى المتشابه من الغموض، فهناك ثمة تفاسير ذهبت إل أن المتشابه هو ما يستغل على العامة دون الخاصة، ويحتاج لجهد لفهم المراد منه. ومن المفسرين من رأى أن للقرآن مكنوناً يتجدد به فهمه.

ويشير العلواني إلى جهود ابن تيمية في محاولته تخليص معنى المتشابه من الغموض، فقرر الإمام أن ليس في القرآن ألفاظ ملتبسة أو كلام لا يفهم معناه مطلقاً. وكل القرآن محكم المعنى. وما عد متشابها فهو إضافي إن اشتبه فيه الضعيف لا يشتبه فيه الراسخ. بل القول كله محكم، والمتشابه هو الموضوعات التي تشبه ما كان قد نزل على أهل الكتاب، وذكر ابن تيمية أن القرآن كله قابل للتفسير والفهم، ونبه أن ما اشتهر من أن أهل السنة يقولون بأن "المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله" كان سبباً في ظهور تأويلات باطلة من أهل البدع، فصار هؤلاء يتكلمون في تأويل القرآن بأرائهم الفاسدة. (١) وها هو صاحب المنار يلخص أقوال المفسرين في بيان المراد بكل من المحكم والمتشابه، وقال فما ذكره السلف والخلف في التشابه يدل على أنه كله يعرف معناه. وفسر هو وشيخه الإمام: بأن الأحكام وهو من إحكام النظم وإتقانه، أو من الحكمة التي اشتملت آياته عليها.

(١) انظر، ابن تيمية، تقي الدين بن أحمد، مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، ط١، ١٣٩٨هـ، ج١٣، ص١٤٤،

المطلب الثاني: منهج التدبر في معنى المحكم والمتشابه في القرآن:

بداية يؤكد العلواني على ضرورة التسليم بوجود "منهج قرآني" وقراءة القرآن الكريم وفقاً لضوابطه، ومحدداته، وعندها فلن يكون من الممكن القول بكثير من التقسيمات التي انبثقت عن القراءات التجزيئية. كمقولة المتشابه، ومقوله النسخ وإلى غير ذلك. فيحتاج إعادة بناء مفهوم المحكم والمتشابه قرآنياً مراعاة المحددات المنهجية القرآنية، وفي الصدارة منها الوحدة البنائية للقرآن، وقراءته كله انطلاقاً منها. ثم الوقوف المتدبر الطويل عند أول ما ينبغي النظر فيه وهو الآيات الثلاث التي ورد بها وصف القرآن بالإحكام والتشابه ثم يبدأ العلواني بتحليل هذه الآيات الثلاث، ثم إعادة التركيب بالعودة إلى سياقها مع الإيمان بالوحدة البنائية للقرآن، والمقارنة بين السياقات الثلاثة وسبر كل وجه من معانيها، وفي تحليله تناول بعض المفردات الواردة في الآيات، من مفهوم الآية، وأم الكتاب، وأحسن الحديث الذي يجب أن تنفق أوقانتا فيه، والفرق بين نزل وأنزل، والتأويل والتفسير، والمثاني، فالسبع المثاني في القرآن الكريم تقابل تلك السبعيات في الكون وتنبه إلى ضرورة الجمع بين القراءتين، فهذا كله يجب أن تستدعي انتباه المتدبر لما قد يقتضيه من زيادة في المعنى.

ونتيجة ما خلص إليه العلواني من ذلك التدبر:

- إنَّ القرآن الكريم قد وصف كُله وكل آياته بأنّه محكم في (آية سورة هود)، وأن كل آيات القرآن الكريم تدل بإحكام، وحكمة، وحُكم، على حقيقة التوحيد بما لا يدعو أي شك أو ريب أو تردد يمكن أن يوسوس به الشيطان ضد التوحيد، وهذا ما تنطق به كل آية من آيات القرآن الكريم. (١)

- إن التشابه وصف به الكتاب كُله في آية (الزمر) أيضاً، وذلك لأنها معنيّة بالقرآن الكريم باعتباره خطاباً للناس أي: بأسلوبه في توجيه هذا الخطاب وهذا يقتضي الكلام عن القرآن الكريم بصفته العامة والكلية، وليس باعتبار وحداته المكونة له من آيات وسور، فيصبح التشابه في تلك الأوجه من الشبه دليل ثناء وصفة مدح للقرآن. وعندها لا معنى لحصر مفهوم التشابه في الغموض والالتباس. (٢)

(١) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، المرجع السابق، ص ١١٦-١١٧

(٢) انظر، العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، المرجع نفسه، ص ١١٩

- وفي (آية سورة آل عمران) جاء ذكر النوعين مسبقين بـ"منه" التبعيضية، ولهذا الإختلاف دلالة. فإن آية آل عمران تقسم آيات الكتاب إلى قسمين: "فالمحكمات هن "أم الكتاب" وأصله، وأما المتشابهات التي تشبه في دلالتها ومضامينها ما ورد في الكتب السابقة. ولكن هذا التشابه جعل من الذين في قلوبهم زيغ من أحبار ورهبان، وأمثالهم وسيلة صد عن سبيل الله -تبارك و تعالی -وكان هذه الآيات المحكمات اللواتي انفرد الكتاب الكريم بها، وجعل منها "أم الكتاب" التي هي أصلاً لجميع الكتب -في نظرهم- ليست مقنعة بالقدر الكافي، ولكن الله أعطى كل رسول آيات على مثلها آمن الناس. أما خاتم النبيين فلم يجب الله قومه لما طلبوه من خوارق، بل أعطاه القرآن الذي تتجاوز كل آية فيه كل ما أوتيه الأنبياء من قبله. فهي معصومة متلوة إلى يوم القيامة. ثم فصلت بعلمه تبارك و تعالی .

- إن الخطاب القرآني موجه إلى بشر علمهم قاصر، وفيه غيب يخبرهم عن أشياء بعضها يمكنهم معرفتها في الدنيا وبعضها غيب لا يعلم حقائقه إلا الله، و قولنا: استأثر الله بعلمه، للتنبيه على الفرق بين الغيب المطلق، والغيب النسبي. وهذا الآخر. هو ما يسميه البعض متشابهاً في ضوء السقف المعرفي لعصره، يكشفه أهل عصر أعلى في سقفهم المعرفي منهم. وليس من حق أحد أن يوقف القرآن عند حد فهمه هو وعصره. وتأويل القرآن ليس تفسيره، بل ظهوره في واقع الناس بتقدير الله تعالى لذلك ما يؤكد عليه العلواني دائماً بأن القرآن المكنون، فالخطاب الإلهي المطلق الموجه إلى المخلوق النسبي يستلزم مكنوناً يستوعب الزمان والمكان. ومن غير المناسب وصف المكنون بأنه غموض والتباس بمنهجية تعضية جزئية.

الفصل الرابع

منظومة القيم القرآنية العليا

مدخل الدراسة :

منذ أن حُسمت قضية المنهجية المعرفية القرآنية عند رواد مدرسة إسلامية المعرفة، وفكرة تطبيق بعض محاور هذه المنهجية ومعرفة ما توصل إليها، قائمة من خلال بلورتها في دراسات عديدة، وكان الرائد فيها العلواني الذي اعتبر أهم ما وصل إليه من خلال جهوده في تطبيق تلك "المنهجية المعرفية القرآنية" هو تحديد محاور القرآن الأساسية، وقيمه العليا، والتي حددها في البدايات بثلاث محاور هي: "التوحيد والتزكية وال عمران"، ثم بعد ذلك توصل أخيراً إلى إضافة محورين آخرين هما: "الأمة والدعوة"، فتلك المحاور تشكل منظومة القيم القرآنية العليا.

فلا يسع المتفهم للقرآن الكريم أو المفسر له أن يغفل عن دراسة مقاصده أو الوقوف على أسرار خطابه وغايات آياته في الإنسان والكون والحياة. ولقد وجه العلماء بالغ اهتمامهم إلى بيان تلك المقاصد والتي تعارف الفقهاء والأصوليون - خاصة المتأخرون منهم - على اعتبارها مقاصد الشريعة، وهي في الحقيقة حكم التشريع التي بدأ بذكرها الحكيم الترمذي؛ ليبين حكم التشريع وفوائده؛ وليرد على أولئك الذين زعموا أن كل ما أمر الله به إنما هو تحكُّم منه - جلَّ شأنه - في عباده انطلاقاً من عقليات الاستلاب اللاهوتي، ثم تتابعت الكتابات فيها إلى أن وصلت إلى أبي إسحاق الشاطبي في "الموافقات"، الكتاب الذي أسس فيه الشاطبي لمقاصد الشريعة. وكذلك جهود الطاهر ابن عاشور، وغيره، وقد بذلوا جهوداً مميزة، ومنحوا موضوع مقاصد الشريعة - المتمثلة في الضروريات والحاجيات والتحسينات - العناية الفائقة، وجعلوا الضروريات في حفظ النفس والعقل والدين والمال.

ولكن العلواني يريد تجاوز تلك المقاصد التقليدية، من خلال الحديث عن المقاصد القرآنية العليا الحاكمة بوصفها قيماً علياً ومبادئ حاكمة، ولذلك وضح عبد الجبار الرفاعي: حقيقة ما سيقدمه العلواني في دراسة المقاصد من: "تأصيل مرتكزات علمية للمقاصد، محاولة لفتح باب الاجتهاد في المقاصد والامتداد بها في فضاء فسيح نلتقي فيه بمقاصد العقيدة بجوار مقاصد الشريعة، ونتعرف على مبادئ ومنطلقات تلك المقاصد، ولا تتجمد في أفق رؤية الشاطبي ومقلديه". بل تتجاوزها. وفي ضوء ذلك يرى العلواني "أن المقاصد القرآنية العليا الحاكمة كليات مطلقة قطعية، تنحصر مصادرها في المصدر الأوحى في كلياته وإطلاقه وقطعيته وكونيته وإنشائه للأحكام، ألا وهو القرآن المجيد. وهي التي دارت حولها آيات الكتاب الكريم في سوره كلها، وعليها قامت أعمدة وحدته البنائية، وهي مقاصد قادرة على القيام بالتصديق على كل ما أنتجه المسلمون من فقه وأصول وتفسير، والهيمنة عليه واستيعابه وتجاوزه بشكل منهجي".

المبحث الأول : التوحيد

مدخل الدراسة :

ما قد ذكرته سابقا أن العلواني توصل: أن في القرآن منظومة مقاصدية حاكمة هي "التوحيد والتزكية والعمران والأمة والدعوة" ، فالتوحيد يختص به تعالى ، وهو حقه على عباده، والتزكية يختص الإنسان بها وهي أهم مؤهلاته لتحقيق التوحيد والعمران، والعمران هو نصيب الكون في هذه المنظومة، ووجود الأمة ضرورة، وإقامتها مقصداً. فإنَّ الأُمَّة بكل ما تدل عليه من ضوابط وعلاقات وتصرفات تتوقف عليها كل التكاليف التي أناطها بالأُمَّة والجماعة، والدعوة فهي صلب رسالة الأُمَّة، فالمقاصد العليا الحاكمة في حاجة دائمة إلى من يدعو البشر إليها، ويذكرهم بضرورة الالتزام بها، وتحقيقها في الواقع وفي الحياة^(١). إذاً هذه المنظومة وإن بدا عليها التعدد فإنها واحدة .

واعتبر العلواني أن مفهوم التوحيد هو المفهوم المعرفي المنهجي الأهم، وقمة هرم المقاصد القرآنية العليا الحاكمة. ولذلك فإن العلواني قد عرضه في معظم جهوده التي قدمها، ومن بين سائر المقاصد العليا نجده قد أفاض بالحديث عنه. حيث قال العلواني : " التوحيد بلاشك هو أساس الدين ، وسنام الإسلام ، و دعامة الإحسان ، وعليه تقوم المنظومة الدينية كلها . والتوحيد حجر الزاوية في رسالات الرسل كافة ، به تبدأ تلك الرسالات وإليه ترجع وتؤول ، وما ذلك إلا لأن التوحيد بأنواعه :

توحيد الله في ألوهيته وربوبيته وصفاته وسائر ما اختص - جل شأنه - به ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ (النحل: ٣٦)، والتوحيد غاية الحق من الخلق:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ (الذاريات: ٥٦)، فجاء هذا القرآن المجيد ليعلم البشرية

كيف توحّد الله (تبارك و تعالى) وتؤمن به وحده رباً وإلهاً متفرداً في ذاته وصفاته وفي أعماله متفرداً في ألوهيته متفرداً في ربوبيته. والتوحيد هو المبدأ الذي يحدّد للإنسان ماهيته الإنسانية وحقيقته البشرية، ويحدّد بمقتضاه- دوره في هذه الحياة وقيمة فعله وحركته في هذا الوجود"

(١) انظر ، العلواني، المقاصد العليا الحاكمة وتفعيلها ، المكتبة الإلكترونية للعلواني(المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة) بتصرف

وما كان التوحيد بهذه المكانة ولا حظي بكل ذلك الاهتمام إلا لأن كل ما عداه متوقف عليه لا يتحقق ولا يستقيم إلا به قال العلواني : "فعلى سلامة التوحيد تتوقف أركان الإيمان كلها، وعلى طهارته من سائر أنواع الشرك تتوقف دعائم الإحسان جميعها، ولا تقوم الرؤية الكليّة الهادية إلا عليه، ولا يستقيم التصور الإنساني لمن خدش الشرك عقيدة التوحيد فيه. ولا يستتير الفكر إذا لم تنعكس أشعة التوحيد عليه، ولا يهندي السلوك الإنساني إلا به، ولا يرتقي إلى معارج التزكية إلا بسلامه ولا يبلغ العمران إلا بسلوك سبيله، ولا عدالة إلا بعد اليقين به، ولا تقوم دعائم حرية أو تحرر أو مساواة إلا على قوائمه".^(١) ولأجل ذلك كله دعا العلواني إلى استعادة "علم التوحيد من النبع القرآني الصافي وحده" ولن يتحقق ذلك إلا بعملية مراجعة لعلم الكلام بمنهجية قرآنية.

وفي ضوء الدراسات الكلامية القديمة والحديثة، ما يقوله العلواني : "فإنها قد تناولت كثير من جوانب التوحيد وفوائده وغاياته ودعائمه ونواقضه وشروطه وأركانه، وأبرزت كثيراً من الجوانب المتعلقة به"^(٢). بل ما يهدف إليه علم الكلام نفسه هو: "الرد على المتشككين في العقيدة من المناطقة والمتفلسفين وذلك باستعمال حججهم وأساليبهم الفلسفية والعقلية المحضّة في إثبات أرائهم"^(٣). ولكن هل قدمت الدراسات الكلامية التوحيد كما ينبغي أن يقدم؟ والجواب : "فإن إنشغال المتكلمين برد الشبهات التي أثارها الخصوم، إنعكس سلباً على علم التوحيد ، فجعلهم يندشغلون عن إبراز جوانب هامة من آثار التوحيد وتجليّاته وانعكاساته على مختلف جوانب الحياة، وطغى الجدل الكلامي وانصرف الناس إليه وانشغلوا به عن البيان القرآني المشرق المنير لقضايا التوحيد"^(٤) بل أفضى إلى مزالق خطيرة. مما دفع بعض العلماء إلى: "أن تكون لديهم تحفظات متشككة في جدوى هذا العلم ، بلغت بهم أحياناً إلى حد الهجوم على المشتغلين به"^(٥)، فقد قال البعض: "لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بعلم الكلام"^(٦)

(١) العلواني، المقاصد القرآنية العليا ومشكلات المجتمع، مرجع سابق، العلواني، ص ١٨.

(٢) العلواني، التوحيد ومبادئ المنهجية، مرجع سابق، ص ١٢.

(٣) نوفل، سمير، دور العقيدة في الاقتصاد الإسلامي، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، بدون صفحات.

(٤) قطب، سيد، التصوير الإسلامي، مرجع سابق، ص ١١، ينظر العلواني، التوحيد ومبادئ المنهجية، مرجع سابق ص ١٢.

(٥) نوفل، دور العقيدة في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق.

(٦) أبي العز الحنفي، صدر الدين علي بن علي ، (ت: ٧٩٢ هـ)، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد شاكر ، دائرة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، (١٤١٣ هـ)، ص ١٧٢

وما قاله سيد قطب في التعليق على علم الكلام وما تسبب به من اضطراب في منهج العقيدة المتناسق مع التععيد والجفاف والتخليط، مما جعل مباحث علم الكلام غريبة كاملة عن الإسلام، وطبيعته، وحقيقته، ومنهجه، وأسلوبه" (١)، بل إن كثير من الذين خاضوا في علم الكلام عدلوا عن ذلك وندموا على العمر الذي أنفقوه في سبيل ذلك، وذلك واضح من كلام الإمام الرازي حيث قال: "ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم" (٢)

وفي ضوء ما سبق أصبح من الصعب الاستناد إلى علم الكلام في مباحث بناء عقيدة التوحيد المستقاة من النبع الأصلي وهو القرآن، فالنص الثابت المعصوم من التغيير هو وحده الذي يستحيل إخضاعه لمعارك الجدل والكر والفر الكلامي. لذلك فالتوحيد عند العلواني: ليس علمًا ندرسه سواء توحيدًا أو عقائد أو علم كلام أو أصول الدين الخ، بل هو (عقيدة وإيمان) كامل متى خالطت بشاشته القلب حركت حامله لتغيير واقع البشرية وإعادة صياغته وفقًا لتجليات التوحيد، و"المنظومة المقاصدية القرآنية" - والتوحيد في مقدمتها- ليست منظومة تستهدف تغيير معتقدات الناس الكامنة في قلوبهم ولا تصوراتهم ومفاهيمهم وحدها، ولا لكي يفتي المفتون المستفتين بمقتضاها في قضاياهم الجزئية، بل لإنشاء حياة أفضل وواقع أظهر (٣).

المطلب الأول: الخطوات الأولى في بناء مفهوم التوحيد:

إذًا لا بد من استعادة علم التوحيد القرآني، والعمل على إعادته إلى وضعه الطبيعي وموقعه الملائم من الدراسات المعنوية بإبراز الجوانب المتعددة للتوحيد وآثاره وانعكاساته المنبثقة من نور القرآن المجيد وهديه.

ولعلنا نشير إلى أول خطوة تقدم بها العلواني في مراجعة مفهوم التوحيد والتي قد نعتبرها بمثابة مخطط للبحث في مراجعة علم التوحيد.

- **الخطوة الأولى:** فقد ربط العلواني بين مفهوم الإيمان والتوحيد بطرح مجموعة من الأسئلة الدقيقة المنتقاة التي قد تثار بالذهن أو توجه من قبل الغير وهذه الأسئلة هي بمثابة محددات في مراجعة علم التوحيد، تمكن الباحثين من القدرة على كشف أهم محاور المراجعة لعلم التوحيد بكل يسر وسهولة. وبالتالي تفترض هذه الأسئلة طلب الجواب والبحث عنه (٤).

(١) قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي، مرجع سابق، ص ١١.

(٢) العلواني، الإمام فخر الدين، ومصنفاته، مرجع سابق ص ٦٧.

(٣) انظر، العلواني، التوحيد ومبادئ المنهجية، مرجع سابق، ص ١٢.

- **الخطوة الثانية:** الوقوف عند القرآن المكي التي تمثل التوحيد محوره الأساس وقضيّته الأولى عبر الأعوام الثلاثة عشر وما ذلك إلا لألّ "التوحيد في هذا الدين جوهر طبيعته وأسس بنائه وقوام منهجه في بناء كيانه وفي امتداده وانتشاره. وآثاره في صنع الجيل الأول السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومنهم آل بيت النبي الأطهار ظاهرة بارزة؛ فقد كان ذلك الجيل جيلاً مميزاً لا في تاريخ الإسلام وحده، بل في تاريخ البشريّة كلّها، وذلك لأنه استقى التوحيد خالصاً سائغاً من النبع القرآني الصافي وحده، وتعلّم من رسول الله ﷺ كيف يتعاهد التوحيد في كل حين وفي كل موقف لنلا تشوبه الشوائب أو تكدر نقاءه المكدرات. فكان ذلك الجيل الذي أرسى القرآن المجيد دعائم التوحيد في ضميره ووجدانه وعقله وكيانه وحياته ومجتمعه عبر العهد المكي كلّه" (١).

ويتساءل سيد قطب : "ثم ما الذي حدث، اختلطت الينابيع! صبت في النبع النقي الأصل، فلسفة الإغريق ومنطقهم وأساطير الفرس وتصوراتهم، وإسرائيليات اليهود، ولاهوت النصارى وغير ذلك من رواسب الحضارات وفضلات الثقافات، واختلط ذلك كله بتفسير القرآن المجيد فدمر منهج فهمنا له وتعاملنا معه. وتسلسل إلى علم العقيدة أو الكلام ليصادر أنوار التوحيد ويطفئ إشعاعات العقيدة، ويسلب الإيمان فاعليّته. كما اختلط في أصول الفقه والفقه وعلوم العربيّة، فشاب بذلك سائر المكونات العقديّة والفكريّة والمعرفيّة والثقافيّة فتخرجت سائر الأجيال التالية من المسلمين على ذلك الماء الكدر الصادر عن النبع المشوب المختلط" (٢)

ومن هنا دعا العلواني إلى الرجوع إلى ذلك النبع الصافي من جديد. "بإعادة قراءة القرآن كلّه وخاصّة القرآن المكي في مجال التوحيد، لتنقية إيماننا وتصفية توحيدنا من كل مؤثرات الجاهليّة القديمة والحديثة، فلا بد من إعادة البناء، وإعادة التكوين بمقتضى الكتاب الذي لم يختلط ولم تشبهه الشوائب، ولا بد أن نستمد منه التوحيد الخالص، الذي سنفهم من خلاله حقيقة الوجود ومقومات الشهود وحقيقة العهد ومهمة الاستخلاف وطبيعة الائتمان وكيفية اجتياز اختبار الابتلاء" (٣)

(٢) قطب، سيد (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠). معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط٨، (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠)، ص ١٥

(٣) العلواني، التوحيد ومبادئ المنهجية، مرجع سابق، ٢٤،

المطلب الثاني : مستويات عرض القرآن الكريم لقضية التوحيد:

ولإدراك عظمة التوحيد وأهمية نقائه وصفائه وخلوصه من جميع الشوائب، يقول العلواني: "علينا أن نتدبر القرآن المجيد ومعالجاته المتنوعة لسائر قضايا التوحيد"^(١)، "فما من سورة من سور القرآن خلت من دعوة إلى التوحيد أو الاستدلال عليه بمختلف الأدلة، من أدلة الخلق والإبداع إلى أدلة الرعاية والإنعام، سائر القصص والأمثال التي لاتخلو من مضمون توحيدي أو درس في التوحيد أو إشارة إليه"^(٢). فقد رصد العلواني بعض من المستويات لتناول القرآن لقضية التوحيد ونوجز منها ما يلي

(المستوى لأول) :

الآيات الكريمة التي تناولت التوحيد باعتباره الحقيقة الكبرى الأزليّة الثابتة التي بلغ من ظهورها ووضوحها وثباتها بحيث ينبغي أن تقرر بصيغ الإعلان والتقارير، دون الالتفات إلى أي شيء أثير أو يثار حولها؛ إذ لا يمكن لشيء أن يتناول إلى مستوى النيل من هذه الحقيقة العليا^(٣).

فإنه سبحانه أحد أحد ليس له نظير ولاشبيه ولا كفو. والله سبحانه واحد وكل ما عداه يتعدد. فما يقوله الفاروقي: "والجديد الذي أتى به التصور الإسلامي ليس وجود إله، وإنما وحدانية هذا الإله وتفرد وإحياء المقاومة للوثنية، ولكل صور المؤسسات التقليدية الحائدة عن التوحيد الخالص، وهذا التفرد التوحيدي هو الذي يؤكد عليه المسلم في شهادته أن: "لا إله إلا الله" وهو الركن الأول من أركان الإسلام، وهو مركزية مفهوم الله بالنسبة للمسلم في كل مكان وفي كل فعل وفي كل فكرة، وفي كل زمان، فوعي المسلم ممتلئ بوجود الله تعالى على الدوام، هو شاغله الأسمى"^(٤).

(١)، العلواني، التوحيد ومبادئ المنهجية، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٢) العلواني، التوحيد ونفسية العبيد، أكاديمية العلواني .

(٣) انظر، العلواني، المقاصد القرآنية العليا ومشكلات المجتمع، مرجع سابق، ص ٤٩

(٤) الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، مرجع سابق، ص ٤١، ٤٤

(المستوى الثاني):

بيان وتقرير أنّ التوحيد هو المضمون الأساس لرسالات جميع الرسل وكافة الأنبياء، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا

مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾ (الأنبياء: ٢٥). - ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا

قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ (الأعراف: ٦٥). يقول سيد قطب: "فهي حقيقة

واحدة يقوم عليها دين الله كله، ويتعاقب بها الرسل جميعاً على مدار التاريخ.. فكل رسول يجيء إنما

يقول هذه الكلمة لقومه الذين اجتالهم الشيطان عنها، فنسوها وضلوا عنها، وأشركوا مع الله آلهة

أخرى- على اختلاف هذه الآلهة في الجاهليات المختلفة- وعلى أساسها تدور المعركة بين الحق

والباطل.. وعلى أساسها يأخذ الله المكذبين بها وينجي المؤمنين.. والسياق القرآني يوحد الألفاظ التي

عبر بها جميع الرسل- صلوات الله عليهم- مع اختلاف لغاتهم.. يوحد حكاية ما قالوه، ويوحد ترجمته

في نص واحد: ﴿ قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾ وذلك لتحقيق معنى وحدة العقيدة

السماوية- على مدار التاريخ- حتى في صورتها اللفظية! لأن هذه العبارة دقيقة في التعبير عن

حقيقة العقيدة، ولأن عرضها في السياق بذاتها يصور وحدة العقيدة تصويراً حسياً.. ولهذا كله

دلالتها في تقرير المنهج القرآني عن تاريخ العقيدة"

(المستوى الثالث):

مستوى الاستدلال على التوحيد، وفي هذا المستوى "يستوعب القرآن المجيد كل ما بلغه العقل الإنساني

في أعلى مستوياته الفلسفية والحكمية من طاقات على بناء الأدلة ونقضها، والاعتراض عليها أو

تأييدها، ثم يتجاوز هذه المستويات ، بحيث تصبح عملية إحصاء وترتيب تلك الأدلة وطرائقها بحد

ذاتها ضرباً من الإعجاز بل عند التدبر نجد الاستدلال على التوحيد يتنوع بشكل لا يشبهه ولا يقاربه

أي مستوى عرفته البشرية في جدلها وحوارها واستدلالات لحكامها". فعلى سبيل المثال لا

الحصر نجد ما يلي:

-يبين القرآن خصائص الإلهية وحقائقها ووظائف الربوبية ودقائقها والصفات التي ينبغي أن يتصف

الإله بها، ثم ينفي ذلك كله عن غير الله، ويثبت له وحده، ويبين أنه وحده -سبحانه- المتصف بهذه

الصفات الجدير بها، وأن لا أحد سواه يملك أيّاً منها، أو يمكن أن يتصف به" ومنها قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَتَّيَمُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ

أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا

يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١١٦﴾ (يونس: ١٠٤-١٠٦).

- "توظيف القرآن صفات الله - سبحانه- في الاستدلال على التوحيد ودعم قضيته بأسلوبه المعجز، فهو يبين الصفة ويثبتها، ويبين تفردا وواحديته بالاتصاف بها دون أن يشاركه في ذلك أحد من خلقه، ويستدل بها بعد ذلك كله على وحدانيته - سبحانه- في ألوهيته أو ربوبيته أو بهما جميعاً

قال تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٣) ﴿(الأنعام : ١٠٣)﴾ ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿(الشورى : ١١)﴾. إذاً البيان القرآني كاف وشاف في

تجلية هذه المستويات وغيرها. ولم تكن ثمة حاجة إلى أن نثار تلك (الأسئلة الغثة التي شغلت جحافل من علماء الأمة قروناً طوالاً) مثل: هل علم الله مخلوق؟ وهل هو عين القدرة أم مباين لها؟ وهل هو ذاته أو غيره، والتي بمثل تلك الأسئلة، هُجر القرآن، وضيعت الأمة نفائس الأوقات والأعمار التي فنيت بذلك الجدل الكلامي الذي لم تجنى منها سوى الفتن والاختلافات وعوامل التمزق والويلات.

المطلب الثالث : تجليات التوحيد:

يقو العلواني: "إنَّ التوحيد إذا خالطت بشاشته القلب واستيقنته الضمير واستنار به العقل واستضاء به الوجدان، انعكس على سائر جوانب الحياة الفرديَّة والأسريَّة والاجتماعيَّة. فهو يمثل منطلق العلاج الشافي لكل أمراض ومشكلات وأزمات الحياة والأحياء، ولأجل أن تنعكس آثار التوحيد على حياة الإنسان، ربط القرآن بين الإيمان والعمل، عبر سور القرآن كلها، بحيث لا يستطيع المتدبر لآيات الكتاب الكريم أن يتصور أنَّ الإيمان أو التوحيد يمكن أن يوجد منفصلين عن العمل أو يمكن أن يكونا بسيطين منعزلين لا ينعكسان على شيء، وأنَّه يكفي استقرارهما في القلب للحصول على مسمى الإيمان أو على الاتصاف به وحمل لقب مؤمن أو موحد. فإن القرآن الكريم يعرض الإيمان كما لو كان شجرة باسقة جذرها التوحيد بكل ما يتصل به بشكل مباشر وجذعها وساقها الإقرار والاعتراف بذلك بكل وسائل الإقرار والاعتراف والإعلان الملازمة، وأغصانها وثمارها الأعمال والسلوك قال

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) ﴿(البينة: ٧)﴾ لذلك فإن العقيدة والتوحيد

ثمرتها الأساسية "معرفة وعمل"، والمعرفة والعمل تمثلان ضوابط وموجَّهات مسددة لتصرفات الإنسان ينطبع بها سلوكه العملي في جوانب الحياة كلها الفرديَّة والأسريَّة والعامَّة" وقوله ﴿مَنْ

عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) ﴿(النحل: ٩٧)﴾.

وتعد قيمة التوحيد هي مصدر القيم الأخرى في جميع أنظمة الحياة البشرية، وتبرز تجليات التوحيد في انعكاسها على النظام المعرفي^(١)، "فإن التوحيد من أهم المحركات الموضوعية المؤثرة في اتجاه وإفراز الدواعي والقوى المحركة للمعرفة وتحديد مضمونها وتفسير الغامض والمبهم منها... الخ".

أولاً: تجليات التوحيد في السياسة:

وفي المجال السياسي تتجلى قيمة التوحيد أساساً في وحدة الأمة التي تعد شرطاً أساسياً لتحقيق مقاصد الخلافة السياسية الإسلامية، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢). ويقول الفاروقي: "النظام السياسي في الإسلام هو نظام

جماعة من البشر اختاروا أن يحكموا حياتهم وأن يسعوا إلى حكم غيرهم من البشر بقيم الأمة ومبادئها. وهم قد ينتمون إلى أقاليم عديدة وجماعات مختلفة. إلا أن عضويتهم في الأمة تجعل الشريعة حكماً أعلى له القول الفصل في خلافاتهم. ولا تقوم تلك الأمة على العرق ولا الإقليم ولا اللغة ولا السيادة السياسية أو العسكرية ولا على التاريخ والماضي. فهي أمة مؤسسة فحسب على الإسلام. وكل من يختار الإسلام ديناً ويرضى أن تحكم الشريعة حياته هو عضو بطبيعة الحال في تلك الأمة. فأى إنسان يتأهل بتلك الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) لتحمل كل التكاليف المتضمنة في الشريعة، وللتمتع بكل الحقوق والمزايا المقررة بها"

وينبه العلواني إلى أنه لا نقصد بضرورة إنعكاس التوحيد على النظام السياسي تحويل هذا النظام إلى جزء من العقيدة أو من الدين بصفة عامة، بل "نريد بذلك أن تلتزم الأمة -حكماً ومحكومين- بالقيم والمقاصد الإسلامية العليا الحاكمة (التوحيد، التزكية، العمران) وسائر مستويات القيم الأخرى المرتبطة بها، كالعدل، والمساواة، والحرية، والوفاء بالعهد الإلهي، والقيام بمهام العبادة والاستخلاف، وأداء حق الأمانة، والابتلاء، وتحرير العباد من عبادة أهوائهم وشهواتهم ومستذليهم من الطغاة، ومساعدتهم على ممارسة حريتهم في عبادة الله خالقهم ورازقهم وهاديهم، واختبار ما يدينون به. وهذا الذي يحققه التوحيد في قلوب المؤمنين أو ما يسمى بالجماعة السياسية وفي عقولهم وممارساتهم اليومية يتحول إلى رشد جماعي يزكي الأداء الجماعي السياسي ويكرس العلاقات الخيرة بين الجماعة السياسية".

(٢) فكنت قد تناولت تجليات التوحيد على المعرفة في الفصل الثاني من الرسالة، لذلك سنكمل هنا توضيح تجليات التوحيد لبعض الأنظمة الأخرى

(٣) العلواني، التوحيد ومبادئ المنهجية، المرجع السابق، ص ٦٥

(٤) الملكاوي، منظومة القيم، مرجع سابق، ص ٦١، بتصرف

ثانياً: تجليات التوحيد في النظام الاجتماعي:

قال الفاروقي: "فإن الإسلام وثيق الصلة بكل معطيات الزمان والمكان، وهو يسعى لضبط كل ما يتعلق بالتاريخ وبكل المخلوقات بما فيها الجنس البشري، ويعتبر كل ما هو من الطبيعة بريئاً وخيراً ومرغوباً فيه بذاته، ولا يمكن تأسيس التقوى ولا الفضيلة على إدانته، ويريد الإسلام من البشر أن يسعوا في الأرض للحصول على طبيعتها من مأكّل ومشرب ومأوى وراحة، وأن يحولوا العالم الدنيوي إلى جنة، وأن يتمتعوا بالعلاقات الفطرية التي تختص بالمشاعر الإنسانية بين أفراد الأسرة من سكن وحب، ورحمة ومودة، وتعاون وتشاور، وغيرها، ويتمتعوا بالصدقة وبطبيبات الحياة، وأن يطوروا العلوم، وأن يتعلموا، وينتفعوا بالطبيعة، وأن يتربطوا ويؤسسوا بنية اجتماعية سياسية، ويقوموا بكل تلك الأمور على الوجه الذي يرضاه الله فحسب، دون كذب ولا غش، ودون سرقة واستغلال، ودون ظلم للنفس وللجار، وللطبيعة والتاريخ. والسبب الدقيق لتسمية الإسلام الإنسان خليفة هو أنه يحقق إرادة الله تعالى، بقيامه بكل هذه الأمور على الوجه الصحيح" (١)

فإذاً من مقتضيات الإقرار بشهادة لا إله إلا الله: "الإقرار بأن الإنسان خلق لغاية، وبما أن خلق الله تعالى متره عن العبث، وأن تلك الغاية هي تحقيق الإرادة الإلهية المتعلقة بهذا العالم الذي تتخذ منه الحياة البشرية مسرحاً لفعالها الحر المسئول، فوجب من المسلم النظر إلى الحياة بزمانها ومكانها بعين الجد، لارتباط فلاحه أو خسارانه بتمثله للسنن الإلهية المتصلة بالزمان والمكان الذي يحيا فيه، وأمره الله تعالى أن يقوم بتلك المهمة بالتعاون مع إخوانه من البشر" (٢).

ثالثاً: تجليات التوحيد في الاخلاق:

ويؤكد التوحيد أن مبرر غاية وجود الإنسان "هو طاعة الله تعالى وتنفيذ أمره، ويؤكد أيضاً أن جوهر هذه الغاية هو استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض. وبمقتضى هذا الاستخلاف حمل الله تعالى الإنسان - فيما بينه القرآن الكريم - الأمانة التي لم تطق السموات والأرض حملها وأشفقن منها ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢)

(١) الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، مرجع السابق ص ١٥٧.

(٢) الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، مرجع سابق، ص ١٦٥، ينظر، الملكاوي، منظومة القيم، مرجع سابق، ص ٥٤، ٥٦.

وفحوى هذه الأمانة الإلهية هي الوفاء بالشق الأخلاقي من المشيئة الإلهية، الذي يقتضي بحكم طبيعته أن يتحقق بحرية. والإنسان هو الكائن الوحيد المفطور على نحو يؤهله لفعل ذلك. فتتحقق المشيئة الإلهية بالسنن الكونية التي أودعها الله تعالى في الطبيعة يقف عند حد القيمة الأولية أو النفعية، ولا يركي إلى مصافّ القيمة الأخلاقية. وحده الإنسان بقدرته على الفعل أو عدم الفعل أو اتخاذ موقف وسط بين الفعل والترك، هو المؤهل لتحقيق تلك الإرادة في شقها الأخلاقي. فممارسة الإنسان لحرية الإرادة في التعامل مع الأمر الإلهي التكليفي هي التي تجعل سعيه أخلاقياً. وإنسانية التوحيد هي القيمة التي تحترم الإنسان بصفته إنساناً مخلوقاً، دون تأليه أو تحقير. وهي الوحيدة التي تحدد قيمة الإنسان بمناقبه، وتبدأ تقييمها له من نقطة إيجابية لتسليمها باستواء الفطرة التي فطر الله كل البشر عليها، لإعدادهم للقيام بمهمتهم النبيلة. وهي الوحيدة التي تحدد فضائل ومثاليات الحياة الإنسانية بمحتوى مماثل للحياة الفطرية، وليس بالتكبر لها، مما يجعل إنسانيتها غير زاهدة في الحياة وأخلاقية في أن واحد.

رابعاً: تجليات التوحيد في النظام الإقتصادي:

وكما أن التوحيد في الرؤية الإسلامية هو قيمة مركزية، ومصدر للقيم الأخرى، وقاعدة لمضامين هذه القيم في أنظمة الفكر والحياة جميعها، من التفكير والنظر العقلي، إلى أنظمة الحياة المختلفة، ومنها النظام الاقتصادي وقد انعكست تجليات التوحيد على النشاط الاقتصادي في الإسلام، فإن المسلم في سلوكه الاقتصادي ينطلق من الإيمان بالله، بل أن جوهر العمل الاقتصادي للأمة وازدهاره هو التعبير عن روحانية الإسلام، يقول الله تعالى ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ

بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ وَلَا

تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٠٠﴾

"ويترتب على أفراد الله في حق تشريع الحلال والحرام اعتبار المشروعية الإسلامية الأساس الضابط لممارسة النشاط الاقتصادي في كل مظهره من انتاج واستهلاك وتداول وتوزيع ويشكل هذا جانب البعد الروحي في النظام الاقتصادي إذ ان الأساس في السياسة الاقتصادية الإسلامية هو ان الله سبحانه و تعالى و خشيته وابتغاء مرضاته والتزام تعاليمه هي التي تصوغ التصرفات الاقتصادية بين الافراد بعضهم بعضا والإسلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادي وما هو روح، بل يوازن بينهما، وهو بهذه الميزة " يسعى إلى تحقيق النفع والخير للبشر جميعاً وذلك بالحرص على العمل والانتفاع بخيرات الارض وتوظيف طاقتها وتوفير المأكل والمشرب والملبس والمسكن وجمع الثروة وإنشاء العمران وتوفير متطلبات الحياة المادية للناس وأي تقدم وارتفاع روعي يلزم أن يصاحبه تحسن مادي واذا انعدم التوازن بينهما اختل نظام الحياة".

و دعا الفاروقي إلى التأمل بسورة الماعون "لما لها من دلالة عميقة حين تغرس في وعينا أن الجفوة في معاملة اليتيم وعدم الحث على إطعام الفقير المحتاج هو تكذيب بالدين كله وتكذيب بالمبدأ والعقيدة والأخلاق والشريعة والروح"^(١)

إذاً فالتوحيد يصحّ المسار الاقتصادي على نهج من الفضيلة والقيم، ولذلك فما من أزمة اقتصادية شهدتها العالم إلا وكان وراءها خلل في السلوك الأخلاقي، النابع من ضعف العقيدة الإسلامية، وعدم ابتغاء مرضاة الله جل شأنه.

(١) الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، مرجع سابق، ص ٢٥٢.

المبحث الثاني : التزكية

المطلب الأول : مفهوم التزكية في القرآن الكريم:

التزكية مفهوم مركزي من المفاهيم القرآنية، وإن المنتبج لما جاء في القرآن من مادة (زكا)، يحصي منها تسعة وخمسين موضعاً، وهذا يدل على غناء هذا المصطلح بدلالاته المختلفة،" و تكاد تحشد المفردة القرآنية (زكا) بكل اشتقاقاتها لترسم صورة الطهر والنقاء والبركة، فترك أثراً ظاهراً في النفس، فاستطاع القرآن توظيف اللغة توظيفاً أمثل لا نظير له، في اختيار المفردة التي لها الأثر الأكبر في نفس السامع، ذلك أن العرب لا تعرف من الزكاة إلا معاني الزيادة والطهر والنمو والبركة فلما أمرهم القرآن بتزكية نفوسهم، علموا إنما أراد أن يترقوا بنفوسهم في الطهر حتى تزكو بكل خير. فاهتدت المفردة القرآنية إلى هذا المعنى في غاية الوفاء" (١). ولهذا السبب ما يؤكد العلواني باستمرار على ضرورة عدم التسوية بين الاستعمال الإلهي للسان وبين استعمال العرب له .

وسنكتفي بذكر بعض الدلالات التي يحملها لفظ التزكية في القرآن:

١- الأمر بتزكية النفس وتهذيبها فمطلوب من الإنسان أن يزكي نفسه، أي تطهيرها من الأدران والأوساخ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝١٥ ﴾ (الأعلى: ١٤-١٥) ، قال في الظلال : "فالتزكي التطهر من كل رجس و دنس" (٢)، وجاء في المنار: " وتزكية النفس تكون بالعمل الذي يجعلها زاكية أي طاهرة كثيرة الخير والبركة، وأصل الزكاء والزكاة : النمو والبركة في الزرع، ومثله كل نافع، فتزكية النفس بالفعل عبارة عن تنمية فضائلها وخيراتها، ولا يتم ذلك إلا باجتنب الشرور التي تعارض الخير وتعوقه، وهذه التزكية محمودة وهي المرادة بقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ

مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ ﴾ (الشمس: ٩) " (٣)

(١) لبيب، صالح، الآيات المصروفة بمقاصد النبوة والتزكية، مجلة طيبة، العدد (١٠)، (١٤٣٧هـ)، ص ١٠٢، ١٠١.

(٢) الظلال، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٨٩٣.

(٣) المنار، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٢٣.

٢- حين تكون التزكية هي فعل الله سبحانه، فهو الفاعل لذلك في الحقيقة نحو ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ

اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ (النور: ٢١) قال

السعدي: "أي ما تطهر من اتباع خطوات الشيطان، لأن الشيطان يسعى، هو وجنده، في الدعوة إليها وتحسينها، والنفس ميالة إلى السوء أمانة به، والنقص مستول على العبد من جميع جهاته، والإيمان غير قوي، فلو خلي وهذه الدواعي، ما زكى أحد بالتطهر من الذنوب والسيئات والنماء بفعل الحسنات، فإن الزكاة يتضمن الطهارة والنماء، ولكن فضله ورحمته أوجب أن يتزكى منكم من تزكى، وكان من دعاء النبي ﷺ: "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها" ولهذا قال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴿١١﴾﴾ "من يعلم منه أن يزكى بالتزكية، ولهذا

قال: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (١) "وقد يكون فعل الله سبحانه يرد في القرآن إجتباء واصطفاء من الله

تعالى لبعض البشر ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَرُكُودًا وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾ (مريم: ١٣) (٢) فالزكاة هنا: "الطهارة

من الدنس والآثام والذنوب، وقال قتادة: الزكاة العمل الصالح، وقال الضحاك: العمل الصالح الزكي، وقال ابن عباس الزكاة قال: بركة " (٣) إذا الهداية والتزكية فضل من الله ومنه. " فالله هو الذي منح ثم مدح، وزكى وطهر ثم قدر واعتبر، فمن فضله علينا أن خلق ونسب إلينا. فنظرة إلى الله بعين المنن التي لا تنقطع، وإلى النفس بعين العيب الذي لا ينفطع، فالأولى تدعو إلى المزيد من المحبة لله، والأخرى تدعو إلى التواضع والاستمرار في العمل، ونرى كل فعل منا صالح دون ما هو مطلوب ودون الكمال، فنسعى للارتقاء والسمو".

٣- حين تكون التزكية واحدة من مهام الرسول،، ومقصد من مقاصد النبوة، يقول الله سبحانه

و تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿١٢٩﴾﴾ (البقرة: ١٢٨-١٢٩) فكانت أعظم مقاصد النبوة، وهي: "تنمية النفوس وصقلها ثم تنحية

كل ما يعترض هذه الكمالات من شوائب وأرجاس".

(١) السعدي، تفسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٦٣

(٢) الملكاوي، منظومة القيم العليا الحاكمة، مرجع سابق، ص، ٨٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢١٧.

٤- " والله ينهى عن أن يقوم الناس بتزكية أنفسهم، يظنون أنهم بذلك يصلون إلى حالة التقوى، فإله أعلم بالناس قبل أن يصبحوا بشراً، وقبل أن يخرجوا من بطون أمهاتهم، وأعلم بما تؤول إليه أمورهم بعد ذلك وهو أعلم بمن يصل إلى التقوى" (١): ﴿ الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ

أَتَقَى ﴿٣٢﴾ (النجم: ٣٢). وذلك من النوع المذموم حيث جعله الراغب الأصفهاني: من الضرب الثاني للتزكية، وقال: " ذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلاً وشرعاً، ولهذا قيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مدح الرجل نفسه" (٢)

٥- تزكية المال إخراج الصدقة المفروضة وسيلة للتزكية، بدليل قوله سبحانه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً

تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ (التوبة: ١٠٣)، ويقول الرازي: "ذلك اختص هذا الركن، الزكاة، بهذا الاسم. وإيتاء الزكاة تزكية لصاحب المال بتطهير نفسه من

الشح، والزكاة وسيلة مضمونة للبركة والزيادة. كقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّالْيَرَبُوءَ فِي أَمْوَالِ

النَّاسِ فَلَا يَرَبُوءَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ (الروم: ٣٩) والزكاة تنمو عند الله كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام " : "إن الصدقة تقع في يد الرحمن فتربو حتى تصير مثل الجبل" (٣).

٦- تزكية النفس طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، يقول عز من قائل:- ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ

جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ (طه: ٧٤-٧٦). ذكر ابن كثير: "أي طهر نفسه من

الذنس والخبث والشرك وعبد الله وحده لا شريك له واتبع المرسلين فيما جاءوا به من خير وطلب.

(١) الملكاوي، منظومة القيم العليا، مرجع سابق، ص ٨٤، بتصرف.

(٢) الأصفهاني، مفردات الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ١٠٤.

المطلب الثاني: أهمية تزكية الإنسان:

إذاً مصطلح التزكية في القرآن غني بدلالاته، وينفذ بقوة معانيه في صميم الحياة الإنسانية بمختلف جوانبها، "فالتزكية جماع مؤهلات الإنسان للوفاء بعهد الله، والقيام بمهمة الاستخلاف والمحافظة على الأمانة، والاستجابة لنداء العمل حتى بلوغ حالة الجزاء ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (١) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿الشمس: ٩ - ١٠﴾، فينهض هذا المصطلح لتأهيله في إدارة الدنيا على منهج قرآني فريد" (١) وإن تزكية الإنسان وتقواه وطهارته تمثل النتيجة اللازمة للتوحيد الخالص النقي، فيقول العلواني: "إن التزكية، والتقوى، وطهارة القلوب لوازم أساسية للتوحيد فلا يخلص التوحيد بدونها، ولا توجد بدونها، وبذلك تتحول التزكية، والتقوى إلى ملكة قائمة في النفس الإنسانية تحول بين الإنسان وبين الوقوع في الانحراف عن الهدى والحق..، والذي يستقيم على ذلك هو المفلاح وهو الإنسان الكفو لحمل التوحيد يقيناً في القلب وسلوكاً في الحياة، وممارسة ونظماً" (٢)

وأي حديث عن قضايا الإصلاح لأمعنى له إلا إذا تعلق بالإنسان، واستهدف ترقيته في مراتب التزكية (٣) فإن من يأخذ بكل ما يستطيع من أسباب ووسائل التزكية، فهو المؤهل دون سواه إلى الإصلاح والتغيير، وصياغة الفرد وبناء المجتمع وفق مبادئ الإسلام وشريعته السمحاء وقيمه الرفيعة ومثله العليا، وسنة الرسول ﷺ.

(١) العلواني، المقاصد العليا الحاكمة، وينظر فتحي الملكاوي، منظومة القيم، ص ٨١

(٢) العلواني، المقاصد العليا الحاكمة، مرجع السابق

(٣) الملكاوي، منظومة القيم، المرجع السابق، ص ٨١

المطلب الأول : حقيقة العمران في القرآن الكريم:

يقول العلواني: "والعمران بوصفه مفهوماً قرآنياً له مشتقات تتجاوز جنسه الاشتقاقي إلى جنسه الدلالي الشرعي، لتضم في إطارها الاستخلاف، والأمانة، والتمكين، والإحياء، والزراعة، والصناعة، وكل ما يندرج تحت التنمية الشاملة بالمفاهيم المعاصرة، تستوعب ذلك كله وتتجاوزه، فيأخذ تفرده من نباته القرآني؛ ليصبح ثمرة جمع بين قراءتين، قراءة الوحي النازل من الله -جل شأنه- وقراءة الكون الذي خلقه الله، وأنشأه، واستخلفنا فيه" (١)

واستنبط هذا المفهوم "العمران" من قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٦١) (هود: ٦١). فمن المعاني التي فسر بها اللفظ "استعمركم"، يقول الشعراوي "استعمر" هو طلب التعمير، ومن الخطأ الشائع تسمية البلاد التي تحتل بلاداً أخرى: "دول الاستعمار". لأنهم لو كانوا دول استعمار، فهذا يعني أنهم يرغبون في عمارة الأرض، ولكنهم في حقيقة الأمر كانوا يخربون في الأرض؛ ولذلك كان يجب أن تسمى "دول الاستخراب". واستعمركم فيها أي: طلب منكم عمارتها، وهذا يتطلب أمرين اثنين: أن يبقي الناس الأمر الصالح على صلاحه، أو يزيده صلاح أجمعين. وقيل أيضاً "استعمركم" خلقكم لعمارتها، وجعلكم عامرينها، والإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع، واتخذكم عماراً.

إذاً فالعمران مشروع حضاري إلهي، ومقصد عام من مقاصد استخلاف الإنسان في الأرض.

المطلب الثاني : هدف العمران القرآني:

إن هدف العمران والحضارة هو الإنسان، وهو من يؤسس لها، ويرسي دعائمها، ويقول العلواني: "فإن الكتاب الهادي في شؤون وشجون العمران والبناء الحضاري يعلم الراغبين في العمران وبناء الحضارات وتجديدها أن البداية السليمة إنما تكون من الإنسان به وبتصحيح مساره، وبناء اليقين في قلبه، وتصحيح تصوراته، وإعادة بناء معتقداته، وترسيخ وبيان غاية وجوده، وتعريفه بما هو حق وما هو باطل، وبناء رؤيته الكلية للكون والإنسان والحياة.

(١) العلواني، المقاصد العليا وتفعيلها، المكتبة الإلكترونية للعلواني (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة) بتصرف

ومن هنا فإن رسالة الإنسان في الكون تقوم على: بناء الحضارة التي تحقق له الأمن والسعادة، وعلى تحقيق العبودية لله تعالى . وقد أورد الله - تعالى - في كتابه الكريم الصورة المثلى للإنسان القادر على أن يكون مستخلفاً ومؤتمناً، وقادراً على الوفاء بما عاهد الله عليه، وعلى القيام بمهام الاستخلاف التي رشحه الله -جل شأنه- لها، وكلفه بها، وقدمه على ملائكته الذين يسبحون بحمده ويقدمون له، وهو الإنسان الذي تقوم على أكتافه الحضارات، ويتحقق بيديه وعليه العمران وهو من يحمل الخير ويقدم الخير ويدافع عنه، ويأمر بالعدل والقسط وهو على صراط مستقيم، هو الذي لا يخرب ولا يهدم، ولا يستولي على ما في أيدي الناس..، وهو المدعو لأن يشارك أبناء الأسرة البشرية في تأليف مجتمع تربط بين مكوناته كلها بعقد اجتماعي مفتوح، ونسق عمراي لا يغلغق بوجه إنسان لا يريد علواً في الأرض ولا فساداً، بل يريد الإصلاح ما استطاع، قال تعالى: ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)، ولذلك ليس بعمران ولا حضارة ولا تمدن ذلك الذي يهمل الإنسان ويتجاوزه إلى البنين"

المطلب الثالث: التوحيد والعمران الحضاري:

وإذا كانت غاية استخلاف الإنسان في الأرض هي عبادة الله - تعالى - وتعمير الأرض وإصلاحها، فالتعمير والعمران لا يكون إلا وفق الشرع الحكيم والهداية الربانية، وهو محتوى الإيمان والعمل الصالح اللذين جعلهما الله شرطاً للتأمين والاستخلاف في الأرض؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥). ومما يؤكد ارتباط العمران بالإيمان في القرآن: "أقتران دعوة الرُّسُلِ أقوامهم إلى توحيد الله وعبادته في آياته الكريمة، بالدعوة إلى الإصلاح في الأرض والنهي عن الفساد لذلك استطاع التوحيد أن يمنح العمران والتمدن هوية خاصة ميّزتها عن سائر الحضارات الإنسانية السابقة واللاحقة، لأن العمران المادي إذا أنشأه الإنسان على الحق والتقوى والصلاح، فيكون عمراناً حضارياً حقاً، فيباركه الله ، ويكفل لأهله الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، في حين أن العمران القائم على دعائم الشرك أو الرياء أو المنافسة على الجاه والسلطان، هو عمران لا يطمئن أهله ولا يدوم قوامه لأنه موضوع على غير (أساس) طبقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن آسَسَ بِنُكْبِهِ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَن آسَسَ بِنُكْبِهِ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ (التوبة: ١١٠)".

مدخل الدراسة :

من أهداف القرآن الأساسية: "تكوين (أمة) متميزة تطبق رسالته، وتؤسس حياتها على عقيدته وشريعته ومثله، تربي أجيالها على هداه، وتحمل رسالته إلى العالم كله" وقد وردت كلمة أمة في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وأريد بها "الجماعة من الناس الذين تجمعهم طريقة واحدة ورؤية واحدة، وتسود بينهم معرفة وثقافة واحدة، كما يُراد بها الأصل والمرجع والقصد وما إلى ذلك، فهي اسم لمن يجتمعون على أمر هام ويشتركون في رؤية ومنهج وغاية وما إلى ذلك من أمور هامة، وأطلقت مرة على إبراهيم -عليه السلام- للإشارة إلى فضله وأهميته، وأنه أصل يُتَّجَمَعُ حوله، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ

إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ۖ ﴾ (النحل: ١٢٠). "وأمتنا المسلمة شكّلها القرآن الكريم، فهو الذي أسّس رابطتها

وبنى دعائمها، وأوضح مناهجها لتكون الأمة التي تنظر البشرية إليها على أنها نموذج ومثال وقطب تلتفت حوله؛ ولذلك فقد ضمّن الإسلام مفهوم الأمة أبعادًا كثيرة لا يمكن لها أن تقوم بها إلا إذا كانت أمة موحدة لا تطرأ عليها الفرقة ومن تلك المفاهيم والأبعاد التي تضمّنها مفهوم الأمة في لسان القرآن، الأمانة، والاستخلاف، والشهود الحضاري، والخيرية، والوسطية، والابتلاء، والعمران، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، وتكريم الإنسان وعدم استعباده، وتوحيد الله بالإلهية والربوبية والصفات، والإيمان بالأنبياء كافة، وحماية الضعفاء فيها من الأقوياء المعتدين، والإحسان إلى الناس كافة، وهذه كلها لا يمكن القيام بها والأمة مفرقة إلى طوائف ومذاهب وفئات وأحزاب وما إلى ذلك" ولذلك كانت وحدة الأمة ركنًا أساسًا من أركان إيمانها، ودعامة هامة من دعائم وجودها

المطلب الأول: مفهوم الأمة القطب، وخصائصها:

أولاً: المفهوم: يرى العلواني أن "الأمة القطب" مفهوم، أول من أصل له واستعمله في المحيط العربي هو: منى أبو الفضل وفي بداية تشكل هذا المفهوم رأت منى أبو الفضل ضرورة تأطيره وتأصيله. وفي سياق اجتماعي أكثر اتساعًا لاحظت أبو الفضل ذلك التطور المفصلي الذي بدأ يلوح في أفق الفكر السياسي العالمي، والذي وجد له أصداء في أوساط جامعة في قلب العالم العربي، وما أثاره من أسئلة لا عن طبيعة العلاقة بين الدين والسياسة وموقع الدين من الثقافة المعاصرة، بل على مستوى وعي منهاجي جديد يدعو إلى مراجعة الفصل التعسفي بين العلوم والمعارف، خاصة بين الدراسات الاجتماعية والدراسات الشرعية، هذا الفصل أو الازدواجية التي نجمت عن تراجع التعليم الديني أو التقليدي وإهماله

وفى دعوتها لإعادة النظر في هذا الفصام بين العلوم العصرية والعلوم التقليدية تعتبر أن موضوع "الأمة" في الإسلام يأتي في سياق بوادر هذه الدعوة لرأب الصدع في البناء ومد الجسور بين الإسلاميات والإنسانيات. وتوحيد الكيان الجماعي للذات الحضارية في أصولها الكيانية بين وجدان الأمة وعقلها وفكرها. "فالوعي المنهجي لمفهوم الأمة يركز في تماسكه، على عقيدة إيمانية شاملة مصدرها رباني، والعقيدة تدور مع الأمة وهي منطلق بقاء الأمة. وتؤكد منى أبو الفضل على محور العقيدة - أي على أهمية البعد العقدي في تنشيط خصائص "الأمة القطب" على مستوى التفاعل الذاتي لها ككيان استقطابي، باعتبار هذا البعد العقدي - المحور والمنطلق لكل تكامل وفعالية"

إذاً هي أمة استقطاب وتآلف كما تقول أبو الفضل: "ينجذب إليها المختلفون والمتباينون ويلتقون جميعاً حولها وينشدون إليها باعتبارها بؤرة جاذبة أو مركز ثقل بشري، حيث تنفرد "الأمة القطب" بأنها "مفاعل استقطابي" أي أنها من خلال موجات الإشعاع وال جذب المتعاقبة تشد إليها وتصهر العناصر المتباينة في بوتقة تآلف جامع، وذلك دون أن تُذهب من معالم مكوناتها. ومن خلال جمعها للتمايز والوحدة على هذا النحو تقدم لنا الأمة الصياغة الحية المجربة لتلك المثالية المحققة التي طالما ميزت الحضارة الإسلامية"

وقد أشرت سابقاً إلى أن العلواني يلتقي مع منى أبو الفضل في تناولها لمفهوم الأمة القطب، ولا يخرج عن ذلك المفهوم أبداً

ثانياً: خصائص الأمة القطب:

وبعد الحديث عن حقيقة الأمة القطب لا بد من بيان أهم خصائصها المميزة:

١- أمة العالمية: وهي محدّد مناهجيّ من أهم المحدّدات المنهاجية القرآنيّة، كما إنّها محدّد أصيل يستند إلى الرؤية الكليّة للكون والإنسان والحياة، ولذلك فإنّها تجسد هذا المحدّد -بوضوح- في العقيدة والشريعة وسائر نظم الحياة، بحيث صار سمة حضاريّة، ومعلماً وتوجّهاً ثقافياً بارزاً لا يمكن تجاهله أو تجاوزه أو المساس به. والعالمية حين تكون مسئولية الأمة وواسطة العقد في خصائصها لا بد للأمة أن تعد لها عدتها: فالعالمية ليست شعاراً أو فضيلة، بل هي خاصية داخلية في كليات التكوين العقلي والنفسي للأمة كالخروج والوسطية والشهادة...، فهي تقوم على الفعل، لا على الانفعال، فالانفعال يفقدها حركيّتها وديناميكيّتها وينقصها من أطرافها. و"العالمية" ترتبط بخصائص الأمة، فالأمة كيان حيوي متجدد يتمتع بذاتية واستقلالية، وهي العالمية المستوعبة للبشرية المتجاوزة لكل أنواع الخطاب الحصريّ قوميّاً أو جغرافياً أو طائفيّاً أو لاهوتياً

٢- أمة الخيرية: والخيرية هنا لا ترتبط باحتلال موقع المركز، أو بلوغ مستوى أعلى في التنمية، والإنتاج، أو أن تصنف صناعياً في العالم الأول- وإن كان ذلك كله مطلوباً- بل هي خيرية ربطت ربطاً محكماً بالإيمان وبالأمير بالمعروف والنهي عن المنكر^(١)، بل هي كما يقول العلواني: "أمة الشهادة مسئولة عن ملاحظة القيم، وخطوط الاستقامة والانحراف، وتقويم الاعوجاج بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا تقوم الأمة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا بعد أن تكون قد تحلّت بسائر خصال المعروف، واجتنبت سائر الخصال المنكرة في سائر جوانب نظم الحياة. إذ إنّ الله - تبارك و تعالی - قد نحي باللائمة على أولئك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم؛ قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾^(٢)

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾ (الصف: ٢ - ٣) وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ (البقرة: ٤٤)، ومن هنا فإنّ من المتوقع من هذه الأمة أن تتخذ من المعروف والبر والعمل الصالح سلوكاً لها، لأنها إذا لم تفعل فلن تتمكن من أمر الناس بذلك أو الشهادة عليهم ولهم به. وإذا لم تتخذ من تجنب المنكرات سلوكاً لها وسبيلاً، فذلك قد يسلكها في عداد الذين يخالفون الناس إلى ما ينهونهم عنه. وذلك يعرقل ويخل بمهامها المذكورة".
٢)

٣- أمة الوسطية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴿١٤٣﴾ (البقرة: ١٤٣) ووصول هذه الأمة إلى "الوسطية لم يأت فجأة أو بدون مقدمات، بل كان جعلاً إلهياً مر بمراحل، في مقدمتها الإيمان والشهادة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ "الوسطية" هنا تعني "الخيرية" وزيادة. (٣) ومن أقوال المفسرين لمفهوم أمة وسطاً في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كُنْتَ لِكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ (البقرة: ١٤٣) ذكر الطبري: "الوسط بمعنى العدل، وذلك معنى الخيار لأن الخيار من الناس عدولهم"^(٤)

(١) النحوي، عدنان، بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية، دار النحوي للنشر والتوزيع،

الرياض، ط١ (١٤١٧هـ-١٩٩٧)، ص ٢٣٦

(٢) العلواني، خصائص الأمة الذاتية، المرجع السابق

(٣) العلواني، خصائص الأمة الذاتية، المرجع نفسه.

(٤) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧

وجاء في الظلال: " وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي، أُمَّةً وَسَطًا في التصور والاعتقاد، وفي التفكير والشعور، في التنظيم والتنسيق، وفي الارتباطات والعلاقات وفي الزمان والمكان" (١)، وقال السعدي: " ولهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها. ووهبهم الله من العلم والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فذلك كانوا "أُمَّةً وَسَطًا"، (كاملين) ليكونوا "شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ"، بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم علي غيرهم" (٢)

ومن مفهوم الأمة القطب نستنبط مفهوم الوسط فتقول منى أبو الفضل "لا نقول هنا الوسط بمعناه السياسي في الفكر الغربي والذي يحمل كثيرًا من السلبية، بل نقصد به الوسط بمعناه الإسلامي الحضاري لمفهوم الوسط في الإسلام وهي: أولاً من حيث كون الجماعة التي يعبر عنها محور جذب واستقطاب، وثانياً: أُمَّةً وَسَطًا حيث الاعتدال في المزاج واجتناب الإفراط والتفريط. وثالثاً: وسط من حيث موازين القيم والأنظمة التي تقوم عليها، فالأمة الوسط هي الأمة المستخلفة في الأرض أي أنها "الأمة" وليست أُمَّةً بين الأمم "فإنَّ أُمَّةَ الأمم هذه أو "الأمة القطب" -هي" التي ترسم وسائلها وأدواتها وهيكلها، ومقوماتها وفقاً لخصائصها ومهامها، فذلك -هو الذي يحفظ لها انفتاح نسقها وحركيتها ومرورته وقدرته على أن يمنح هُويَّته المباركة لمن يتوق إلى حملها، والانتماء إليها، فدوامها وبقاؤها واستمرارها وقدرتها، على أداء دورها، ذلك كله لا يتوقف على النظام، بل على الكتاب الإمام".

المطلب الثاني: الأمة والعودة إلى القرآن:

لا شك أن ما يهدف إليه العلواني في مشروعه الفكري هو إعادة بناء الأمة وأنفاذ ما يمكن إنقاذه من أزماتها. ولن يتم ذلك إلا ببناء المنهجية القرآنية، القائمة على مراجعة تراثنا كله، فنحن بحاجة إلى المراجعات الشاملة لعلومنا وثقافتنا ونظمنا وحركاتنا وتاريخنا كله، فإن محاولات الإصلاح والتجديد السابقة، كانت تقطع أشواطاً هامّة نحو أهدافها، ولكنها تبدأ بالتراجع لأسباب عديدة، منها أسباب فكريّة، وأسباب سياسيّة، وثالثة أخلاقيّة، ومنها تعارض وتضارب اتجاهات الإصلاح في تحديد الأولويات. فيقول العلواني: " فلعل الأولويّة الأولى بعد التوحيد هي وحدة الأمة، وما تقتضيه هذه الوحدة من فكر سليم، واعتقاد قويم، وسلوك مستقيم

(١) قطب، سيد، الظلال، مرجع سابق، ج١، ص١٨١-١٨٢

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ج١، ص٧٠.

فقد ثبت أن أخطر ما عانتها الأمة من أمراض وآفات نجم عن انفراط عقدها، وتفكك روابطها، وانفصام وحدتها" فلم تستطع بعد ذلك المحافظة على وحدتها، ولا البقاء في موقع الخيرية الذي احتلته، ولا الاستمرار في موقع الوسطية الذي اختيرت له، ولا المحافظة على منصب الشهادة الذي انتدبت له، بل خسرت البشرية بتراجع أمة الإسلام النموذج الحي الذي يمكن أن تفتدي به، وتهتدي به سائر الأمم، لتقوم كونية البشرية، وعالميتها حين تقوم على قيم الحق والهدى والنور والتوحيد والتزكية والعمران"^(١) ومن هنا يؤكد العلواني على أن ما أصاب هذه الأمة من الفرقة والتمزق والتخلف سببه هو: "غفلتها عن كتاب ربها، فأخطر ما ابتليت به الأمة التي تُدعى أمة القرآن هو هجرها له حتى ألفت حالة الهجر فصارت ملازمة لها متأصلة فيها بحيث لا تشعر بها، ولا تلمسها ولا يسلم كثيرون من أبنائها بإصابتها بها" ومن هنا يتحدث العلواني عن مظاهر هجر الأمة للقرآن من خلال آفات معينة.

أولاً: مظاهر هجر القرآن:

لاشك بأن من أقبح أنواع الهجر اتخاذ القرآن مهجوراً. ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠) وهو شامل للهجر باللسان بعدم القراءة، وبالقلب بعدم التفكير والتذكر والتدبر والتعقل، وهجر الألفاظ والمعاني. ورغم اهتمام الأمة في العصر الحالي بالقرآن فإنها في حالة هجر له، لكونها لاتعمل به وتتدبره وتبني الحياة بمقتضاه، وإن انشغلت ألسنتها وأسماعها به، فإن هجر القرآن الكريم مفهومه أوسع من ذلك، لذلك يرى العلواني أن إصابة (الإنسان فرداً أم جماعة أم أمة) بعلة من العلة التالية يجعله ضمن الهاجرين للقرآن، وتلك العلة هي: "عدم معرفة قدر القرآن الكريم وذلك بالتسليم القلبي بكونه هو المحجة البيضاء والمنهج الهادي في كل المجالات، وعدم اليقين بأنه معادل للوجود كله مستوعب للإنسان واحتياجاته، وأنه لا ريب فيه ولا اختلاف، وعدم تعلق القلب بحبه وبكل حرف فيه بوصفه أحسن الحديث، وعدم الإيمان به كله وبكفايته للبشرية بمنطوقه ومكونه وكتيباته وتفصيلاته، وعدم التسليم بأنه لو أنزل على جبل لخضع وتصدع من خشية الله، وعدم تلاوته حق تلاوته مع الإيمان باشماله على الذكر الإلهي، وأنه لا نسخ فيه ولا تبديل يعتريه، كلمة الله التامة صدقاً وعدلاً، وعدم الالتزام به شرعة ومنهاجاً والاعتصام بحبله، عدم جعله مرجعية في كل ما يأخذ وما يدع بوصفه الوافي الكافي في الأخلاق والسلوك ونظم الحياة وتحقيق العدل والأمانة". إذاً فكيف يمكن رأب الصدع ورد الأمة -التي صنعها الله بالقرآن وتكونت بآياته- رداً جميلاً إلى القرآن؟.

(١) العلواني، الأمة والافتئات عليها، المكتبة الإلكترونية للعلواني (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة)

ثانياً:سبيل التعافي من هجر القرآن:

يتحدث العلواني :أنه من خلال معايشته للقرآن الكريم ، وعمله في مراجعة علوم القرآن وما أثاره عنده ما روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من قوله : «من أراد خير الأولين والآخرين فليثور القرآن، فإن فيه خير الأولين والآخرين»(١)

فدعاه ذلك كله إلى الحوار مع القرآن الكريم و استنطاق القرآن الكريم (في كثير من قضايا الأمة ومشكلاتها)، " فالقرآن يتحدث يتحدث إلى القلب ويثير الفطرة ويبرز كوامنها وطاقاتها، ويجيب على تساؤلات الأمة بيقين وثقة مطلقة، ويوحي لمن يتحاور معه بأسئلة جديدة ويجلي فطرته وقوى الوعي الإنساني لديه ويمكن بالحوار مع القرآن الخروج بثمرة يستحيل تحصيلها من رؤى البشر، لأنه كريم وكرمه واسع ومتنوع .ولعل هذا هو ما دعا الإمام علي إلى استنطاقه وسؤاله الرأي بقراءة سياقية .وهو يعمل بوسائل مختلفة ومتنوعة في الأخذ بقلب من يحاوره.والفطرة تتجه إليه بطبيعتها اتجاه الأرض العطشى للماء"بالإضافة إلى أن القرآن المجيد بمنزلة "نبي مقيم تركه رسول الله ﷺ فينا امتدادا للنبوة التي ختمت ،وللرسالة التي بلغت وأخذ تبليغها مداها. فالرسول ﷺ قام بتفعيل وتأويل القرآن في الواقع ،واقع جيل التلقي فقد كان عليه السلام يتلقى القرآن من لدنه حكيم خبير فيتلوه على أصحابه ويعلمهم إياه على مكث ثم يبرز لهم حكمه ثم يوضح لهم عملياً كيفية العمل به ليزكيهم به ، ومنهج جيل التلقي هو الأكثر صواباً في التعامل مع القرآن الكريم"(٢)

ولمقاربة القرآن بمنهج التلقي ، فعلياً أن نقدم على القرآن من مدخل الأزمان ، وهي التي يراها العلواني بأنها "الأسئلة التي يفرزها القرآن المجيد بمناسبة إثارتها، لا ليلتصق بذلك الواقع ،ويستوعب مشكلاته وأزماته.. بل ليستوعبها بحلوله وإجاباته ،ويقوم بترقية الواقع ثم تجاوزه ،وهكذا يبقى القرآن في حالة استيعاب دائم وتقديم حلول وترقية للواقع ثم تجاوزه إلى غيره، وهذا يقتضي أن يؤمن الناس أولاً بموسوعية القرآن ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام : ٣٨) ،ثم يصوغون أزماتهم وأسئلتهم وإشكالاتهم ويذهبون بها إلى القرآن ليستنطقوه الجواب"(٣)،"بجيث يشعر المسلم أنه يعيش في أجواء النص القرآني، وأن النص قريب من همومه وإحساسه، وقضاياه"(٤).

(٣) أبو حليوة ، العلواني تجليات التجديد في مشروعه الفكري،مرجع سابق ، ص ٨٠،بتصرف

(٤) العلواني، اهتمامات بأزمات الأمة وبيان سبيل حلها، المكتبة الإلكترونية للعلواني، المعهد العالمي للفكر

الإسلامي، القاهرة)

مدخل الدراسة :

وبالعود إلى تلك المقاصد القرآنية العليا التي أرادها العلواني أن تكون منظومة متكاملة، واعتبر مقصد التوحيد هو قمة الهرم بين تلك المقاصد، قد يُتساءل ماهو السبيل لإقامة تلك المقاصد، ونود الإشارة هنا أنه توفي العلواني -يرحمه الله- ولم يكمل من دراسة المقاصد القرآنية سوى التوحيد، ولكنه قد يفهم من خلال الإطلاع على عبارات متفرقة للعلواني في مقصد الدعوة، أنه يرى أن مقصد الدعوة يمثل الجانب العملي والسبيل لإقامة تلك المقاصد، وحيث جعل الدعوة هي عمود المقاصد، فالمقاصد العليا الحاكمة في حاجة دائمة إلى من يدعو البشر إليها، ويذكرهم بضرورة الالتزام بها، وتحقيقها في الواقع وفي الحياة، فكيف سنحقق التوحيد إن لم ندعو إليه؟ وكيف سنعلم الناس التزكية إن لم ندعو إليه؟ وكيف سيتحقق العمران إن لم ندعو إليه؟ وكيف ستكون هناك أمة بدون دعوة وتوحيد وتزكية وعمران، والدعوة صلب رسالة الأمة، وكأن القرآن الكريم ينطق بها فالقرآن كله دعوة، وهي البديل عن النبوة فهي المعلم والمرشد لتلك المقاصد، ومن هنا تكون الدعوة ليست أمرا تطوعيا، بل هي أمر لازم واجب التنفيذ لا يمكن أن يقوم البناء المقاصدي إذا أهمل هذا المقصد أو لم يؤخذ بالجدية اللازمة؛ ولذلك فإن الله جل شأنه قد قال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ (آل عمران: ١٠٤)، ويريد

الله بذلك أن تكون الأمة كلها أمة دعوة، وأمة استجابة، فكما استجابت لله وللرسول ﷺ، يجب أن تدعو البشر كافة لتنتقل من موقف المدعو إلى موقف المستجيب، ليدخل الجميع آنذاك في أمة الإجابة، وذلك هو المراد بظهور الدين على الدين كله، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾ (المائدة: ٣)، فليس المراد غلبة دين على دين، كما يتصور البعض(١)

(١) العلواني، المقاصد العليا الحاكمة وتفعيلها، مرجع سابق، بتصرف

٤ - يقوم المنهج الدعوي في فكر العلواني في التعامل مع غير المسلمين على ضرورة أن نفرق بين الإختلاف معهم في الدين والمعتقد، وبين وصفهم بشراً، فإن كفرهم وإشراكهم لا يجعلنا نستبيح تحقيرهم، أو استعلاءنا عليهم، ومقتنا لهم بصفتهم الإنسانية المجردة. فنحن ندعوهم للهداية، لأننا نريد الخير لهم، ونريد أن نخرجهم من الظلمات إلى النور. (١)

(١) انظر، العلواني، سورة الأنعام، مرجع سابق، ١١٠

الخاتمة

النتائج:

وبعد أن تم الله علي بفضلله وكرمه، بتقديم هذا الجهد المتواضع المتعلق بالحديث عن جهود (طه جابر العلواني) في الدراسات القرآنية، أودّ أن ألفت النظر فيما يتعلق بتلك الجهود، أنه قد ينظر إليها بما لها وما عليها، وكما هو نقد من قبله، فجهوده أيضاً قابلة للنقد في إطار دائرة البحث العلمي، والعلواني بذلك يكون قد فتح الطريق لمن بعده أن يقدم جهوداً تبني على جهوده، أو تنتقد جهوده، وما ساقترع عليه هو إبراز أهم النقاط في بيان القيمة العلمية لجهود العلواني في حقل الدراسات القرآنية والتي ستجيب عن أسئلة الدراسة على النحو الآتي :

١- أشار العلواني إلى موضوع المنهج والمنهجية في جهوده وذلك في السعي إلى بناء منهج في التعامل مع القرآن، وذلك من خلال الرجوع المباشر إلى القرآن الكريم ، فإن للقرآن حاكميته و منطقته، ومنهجه.

٢- إن المتتبع لجهود العلواني يلاحظ شغف العلواني بكتاب الله، حيث اعتبر العلواني أن منهجه قرآني، وفي ضوء ذلك قد اتهمه البعض بوصفه قرآني منكرّاً للسنة النبوية، وما عليه العلواني عكس ذلك ، حيث أن تأكيد العلواني الدائم على أن يكون المسلم قرآنيّاً هذا لا يعني أنه يشجع على ما يعرف (بالقرآنيين) الذين ينكرون السنة .فهؤلاء قد انحرفوا عن سبيل القران، فالمصطفى ﷺ كان قرآناً يمشي على الأرض، فيرى العلواني أن دعوته إلى الارتباط بالقرآن هي بحد ذاتها دعوة إلى التشبث بتلاوة رسول الله، وبتعليم رسول الله، وبتأويل رسول الله للقرآن، وبسننّه، وبمنهجه في بيان القرآن ﷺ.

٣- قدم العلواني مراجعات لبعض المباحث في علوم القرآن ضمن الأصول (القرآن الكريم والسنة المبيّنة له) ، حيث توصل في مراجعة مبحث النسخ إلى أنه لانسخ في القرآن على الإطلاق ، ومع أن قضية النسخ لا يمكن حسمها بين العلماء فهي تبقى في دائرة الخلاف، إلا أن العلواني استطاع أن يقدم لنا مراجعة تثمن له ،لمبحث من أخطر مباحث علوم القرآن، وسجل قضايا في غاية الأهمية ، يجب أن تكون محل نظر من قبل العلماء.

٤- ويمكن أن نعتبر أن ما سعى إليه العلواني في تقديم "منظومة القيم القرآنية العليا الحاكمة التي تمثل (التوحيد والتزكية والعمران والأمة والدعوة)، والتي لم يستكملها كان بمثابة حلقة متكاملة ترتبط مع جهود من سبقه في المقاصد، وتبني عليها، وقد نظر إليها العلواني بأنها : منظومة قادرة على القيام بالتصديق على كل ما أنتجه المسلمون من فقه وأصول وتفسير ،والهيمنة عليه واستيعابه وتجاوزه بشكل منهجي.

٥- لاينكر العلواني جهود من قبله من المتقدمين ، بل يعترف بفضلهم ، وها هو يتخذ الإمام الرازي معلماً له ومنهجاً له.

٦- من شأن التدبر، وتفسير القرآن بالقرآن وتلاوة القرآن حق التلاوة، أن يحقق ثمراتها معاً في آن واحد ، فيكون التدبر بضوابطه الوسيلة الأساس التي يستعان بها في التفسير للوصول إلى أحسن الفهم من مراد الله تعالى.

٧- أرجع العلواني أن مرد أزمات المسلمين وأمراضهم الكثيرة المعاصرة سببها: هجر القرآن والإعراض عن تدبره، ولن تغادر أمتنا مستنقعات أمراضها إلا بالتوقف عن هجر تدبر القرآن والإقبال عليه بقلوب محبة، والسعي لإدراك مقاصده، والانشغال بالقرآن عن كل ما عداه

٨. دعوة العلواني إلى إيجاد تفسير عمري جامع تقدمه للبشرية. واستنباط علوم قرآن جديدة من القرآن نفسه.

٩- بروز التسلسل المنهجي في كتابات العلواني ، وذلك بالتأصيل للفكرة ثم مناقشتها، ثم العمل على إيجاد حل لها.

١٠- ما اتسمت به شخصية العلواني التي انعكست على منهجه في الحوار الدعوي القائم على الاعتدال والوسطية وقبول الآخر وإحترامه للإنسانية، وبغض النظر عن العرق واللون والدين.

التوصيات:

١- نبدأ بما أوصى به العلوني -يرحمه الله- فدعا العلواني حملة القرآن الكريم أن يعملوا على وضع " طرق تربوية لتدريس القرآن الكريم وتعليم مناهج تدبره" في سائر برامج إعداد المعلمين والخطباء والدعاة. مع ضرورة أن يشعر الموجهين والمرشدين الذين يشرفون على ذلك ، أنهم مسئولون أمام الله ورسوله والقرآن على إحكام عملهم وضبطه بضوابط القرآن المجيد، ليكون بالإمكان جعل التدبر علماً له ضوابطه، ومبادئه، ومسائله، وجزئياته، ووكلياته، والذي بدوره سيكون وسيلة مهمة لإعادة بناء العقل المسلم وجعله عقلاً فعالاً مؤيداً بالقرآن المجيد ومسداً به

٢- نشر صور السماحة في الشريعة الإسلامية، وبأن الإسلام دين التسامح واللين وقبول الآخر واحترامه مهما كان دينه أو عرقه أو مذهبه.

٣- وكذلك نوصي طلبة العلم بالإطلاع على جهود العلواني في حقل الدراسات القرآنية لأنها تستحق الإفادة منها، وفيها من النعم والخير الكثير. وهناك من جهوده لم يستكمل بعد ،ومن الممكن البناء على تلك الجهود ، واستكمالها.

و رحم الله الشيخ العلواني رحمة واسعة وجزاه الله كل خير عما قدمه من جهود عظيمة لأمته بل للعالم أجمع . وجعله في ميزان حسناته إن شا الله . ونرجو من الله أن يوفقنا وإياكم لحسن تدبر كتابه ، ليكون القرآن ربيع قلوبنا، وجلاء همومنا وأحزاننا ، ونور بصائرنا وأبصارنا ، إنه سميع مجيب .

قائمة المراجع

- الاصفهاني، الراغب الحسين بن محمد، (ت ٥٠٢ هـ) المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة: لبنان ط٦، (١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م).
- الانصاري، ابن هشام، مغنى اللبيب، مكتبة سيد الشهداء.
- ابن أنس، مالك أبو عبدالله، (ت: ١٧٩ هـ) الموطأ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، ط١ (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)
- أبي العز الحنفي، صدر الدين علي بن علي، (ت: ٧٩٢ هـ)، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد شاکر، دائرة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، (١٤١٣ هـ).
- الباقلائي، ابوبكر، اعجاز القرآن، دار المعارف- مصر، ط٥، (١٩٩٧).
- البخاري. محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (ت: ٤٠٣ هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة. ط ١، (١٤٢٢ هـ).
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥).
- البريدي، أحمد، تفسير القرآن بالقرآن (دراسة تأصيلية)، مجلة معهد الإمام الشاطبي، للدراسات القرآنية، ط٢، (١٤٢٧ هـ).
- التميمي، فيصل محمد عليوي، السلطة والقبيلة صراع الهويات القاتلة في العراق، دار دجلة، الأردن، ط١، (٢٠١٧).
- ابن تيمية، تقي الدين بن احمد، (ت: ٧٢٨ هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار عمار، الأردن، (١٤١٨ هـ، ١٩٩٧)
- جميلة حموني، إسلامية المعرفة بين المشروعية والإيديولوجيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة: أكلي محند أولحاج، الجزائر، (٢٠١٥)
- جعيم، نعمان، تحرير رأي الإمام الشافعي في النسخ بين القرآن والسنة، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- العدد: ١٥، (٢٠١٠).
- الجوزية، ابن القيم محمد بن أبي بكر شمس الدين، (ت: ٧٥١ هـ)، بدائع التفسير، دار ابن الجوزي، السعودية، (١٩٩٩).
- حاج حمد، محمد أبو القاسم، منهجية القرآن المعرفية، اسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والانسانية، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣).
- حاج حمد، محمد أبو القاسم، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة (العالمية الإسلامية الثانية)، دار الهادي، بغداد - العراق، ط١، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤)،
- حسن ضياء الدين عتر، المعجزة الخالدة بلا تاريخ
- ابو حليوة، ابراهيم سليم، تجليات التجديد في مشروع العلواني الفكري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، (٢٠١١).

- حوى، سعيد، (ت: ١٩٨٩ م)، الأساس في التفسير، دار السلام القاهرة- مصر، ط ١، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥).
- الخالدي، صلاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، العبدلي - الأردن، ط ٢، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م).
- خيون، علي، الفكر السياسي للنخبة العسكرية في العراق، دار دجلة، الأردن، ط ١، (٢٠١٨).
- خليل، عماد الدين، مدخل الى اسلامية المعرفة، دار ابن كثير: بيروت، ط ١، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦).
- دراز، محمد عبد الله، (ت: ١٩٥٨ م)، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ط ٥، (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠).
- الدغامين، زياد، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقران الكريم، دار البشير، الأردن، ط ١، (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥).
- الدغامين، زياد في دعوى النسخ ضوء واقعية الخطاب القرآني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ط ١، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩).
- الدغامين، زياد خليل، التكامل المعرفي في القران، المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية- المجلد: التاسع، (١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣).
- الدغامين، زياد خليل مقاصد القرآن في فكر النورسي. مجلة كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية- العدد: ٢١، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣).
- الدغامين، زياد خليل، القرآن بين آفاق القراءة والتلاوة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت - المجلد: ١٤، العدد: ٣٧، (١٩٩٩).
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (ت: ٦٠٦ هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ٣، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠).
- رضا، محمد رشيد، (ت: ١٣٥٤ هـ)، تفسير المنار المسمى (تفسير القرآن الكريم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠).
- رانا، أمان الله، دور القرآن الكريم في نشر اللغة وبقائها، مجلة الجامعة، باكستان- العدد: ٢٢٠، (٢٠١٥).
- زر زور، عدنان محمد، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دار القلم، دمشق، ط ٢، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨).
- الزرقاني، عبد العظيم، (ت: ١٣٦٧ هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١).
- الزركشي، بدر الدين، (ت: ٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة- مصر، (١٤٢٧ - ٢٠٠٦).
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، (ت: ٧٩٤ هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط ١، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤).
- زيد، مصطفى، النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية، دار الوفاء للنشر، القاهرة- مصر، ط ٣، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧).

- ساعي، أحمد بسام، إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١، (١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢).
- السعدي، عبد الرحمن، (ت: ١٣٧٦ هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧).
- ابو سليمان: عبد الحميد، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، المعهد الاسلامي للفكر الإسلامي، الرياض، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨).
- السيد، عمر، جامع فقه الأمة (رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لقاهاة، (١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧).
- السيوطي، جلال الدين، (ت: ٩١١ هـ)، الإتيقان في علون القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ابناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط ٢، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)،
- الشنقيطي، (ت: ١٣٩٣ هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، (١٤٠٣-١٩٨٣).
- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، لبنان، ط ٢، (١٩٦٣).
- الطبري، محمد بن جرير، (ت: ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).
- الطيار، مساعد، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥).
- الطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، المعجم الكبير للطبراني، تحقيق (حمدي بن عبد المجيد السلفي)، مكتبة ابن تيمية، القاهاة، ط ٢
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: ١٣٩٣ هـ)، (التحرير والتنوير)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس
- عباس: فضل، اتقان البرهان في علوم القرآن، دار النفائس، الاردن، ط ٢، (١٤٣٦ هـ).
- عبد الخالق، عبد الغني، حجية السنة، الدار العالمية للكتاب، الرياض، ط ١، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥).
- عبد الحميد، محسن، دراسات في أصول تفسير القرآن، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب ط ٢، (١٤٠٤ هـ - ١٩٩٤).
- العثمان، حمد، أسانيد الرجم. مجلة الحكمة- العدد: الخامس.
- ابن العربي، القاضي أبو بكر، (ت: ٥٤٣ هـ)، الناسخ والمنسوخ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط ١، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧).
- العسقلاني، ابن حجر، (ت: ٨٥٣ هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، (١٣٧٩ هـ).
- عظيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهاة، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤).
- ابن عطية الأندلسي، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب، (ت: ٥٤٢ هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، (١٤٢٢ هـ).

- العقيل، عبد الله، علماء اعلام عرفتهم، دار المامون للنشر، الاردن، ط ١، (١٤٣١ هـ- ٢٠١٠)، ٤.
- العلواني، زينب، الأسرة في مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١، (١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣)، ٤.
- العلواني، رقية، تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ط ٤، (٢٠٠٨).
- عمر، شاكور سعيد، مؤتمر الشيخ أمجد الزهاوي، مطبعة شفان، العراق، ط ١، (٢٠١٣).
- الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة-بيروت.
- الفاروقي، إسماعيل، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، (١٤٣٥/ ٢٠١٣).
- الفاروقي، اسماعيل راجي، اسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل، دار البحوث العلمية، الكويت، ٠، (١٩٨٣).
- فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٦ هـ)، المحصول في علم أصول الفقه، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط ٣، (١٤١٨ هـ- ١٩٩٧).
- الفوزي، احمد، عبد الكريم قاسم وساعاته الاخيرة، دار دجلة، الاردن، ط ١، (٢٠١٥).
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (ت: ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط ٢، (١٩٨٧).
- القرافي، شهاب الدين المالكي (المتوفى: ٦٨٤ هـ)، تنقيح الفصول فيما يعرف بالأصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط ١، (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣).
- ابن فارس، أحمد بن فارس، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).
- القرضاوي، يوسف، كيف تتعامل مع القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط ١، (١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١).
- القرضاوي، يوسف، في وداع الاعلام، الدار الشامية، تركيا.
- القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري، (ت: ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، المكتبة التوفيقية، مصر.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ط ٧، (١٣٩١ هـ- ١٩٧١).
- قطب، سيد، (ت: ١٩٦٦ م)، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط ٨، (١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠).
- قطب، سيد، خصائص التصور الاسلامي ومقوماته، (١٣٨٨ هـ- ١٩٦٨).
- ابن كثير الدمشقي، إسماعيل، (ت: ٧٧٤ هـ)، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: عبد العزيز غنيم، دار الشعب.
- كلشني، مهدي، من العلم العلماني الى العلم الديني، دار الهدى، بيروت-لبنان.

- لبيب، صالح، الآيات المصروفة بمقاصد النبوة والتزكية، مجلة طيبة للأدب والعلوم الإنسانية - العدد ١٠، (١٤٣٧ هـ).
- المحاسبي، الحارث بن أسد، (ت: ٢٤٣ هـ)، العقل وفهم القرآن، دار الفكر، لبنان، ط١، (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م).
- مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط٦، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩).
- الملكاوي، فتحي حسن، منظومة القيم العليا، التوحيد والتزكية والعمران، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، (١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣).
- الملكاوي، فتحي حسن، منهجية التكامل المعرفي، مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ط٢، (١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦).
- ابن منظور، جمال الدين محمد أبي الفضل، (ت: ٧١١ هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- النحاس، محمد أبي جعفر، (ت: ٣٣٨ هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط٢، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦).
- النحوي، عدنان، بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية، دار النحوي للنشر والتوزي، الرياض، ط١، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧).
- النسائي، أحمد بن شعيب، (ت: ٣٠٣ هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١).
- نوفل، احمد، قراءة في آية إلا إذا تمنى إلقى الشيطان في أمنيته، دار الفضيلة، الأردن، ط١، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧).
- النيسابوري، مسلم الحجاج، (ت: ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- سمير نوفل، دور العقيدة في الاقتصاد الإسلامي، مراجعة يوسف ابراهيم يوسف، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي.

كتب ومقالات العلواني :

- العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق، منتدى المعارف بيروت، ط ١، (٢٠١٦).
- العلواني، حوار مع القرآن (تجربة ذاتية ودعوة للتدبر)، دار السلام، القاهرة، ط١ (٢٠١٤ هـ - ٢٠١٤ هـ)
- العلواني، لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، (٢٠٠٦).
- العلواني، حوارات الشيخ الغزالي، دار السلام، القاهرة، ط١، (٢٠١٢).
- العلواني، لا إكراه بالدين- إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم، دار الشروق الدولية، القاهرة، ط١، (٢٠٠٣).
- العلواني، اصلاح الفكر الاسلامي بين القدرات والعقباتالدار العالمية للكتاب الاسلامي، الرياض، ط ٢، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤).
- العلواني، اصلاح الفكر الاسلامي- مدخل الى نظم الخطاب في الفكر الاسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط٥، (٢٠٠٩).
- العلواني، اسلامية المعرفة بين الامس واليوم، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، ط ١، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦).
- العلواني، أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، ط٢، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧).
- العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الاردن ، ط ٢، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤).
- العلواني ومنى ابو الفضل، نحو اعادة بناء علوم الأمة الاجتماعية والسياسية، دار السلام، مصر، ط١، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩).
- العلواني، الجمع بين القراءتين، ط ٢، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨)، دار الشروق، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، وط١، (١٩٩٦).
- العلواني، الوحدة البنائية للقران المجيد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ط١، (٢٠٠٦).
- العلواني، أفلا يتدبرون القرآن، دار السلام، القاهرة ، ط١، (٢٠١٣).
- العلواني، تفسير سورة الأنعام، دار السلام، القاهرة ، ط١، (١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢).
- العلواني، الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته، دار السلام، القاهرة ، ط١، (١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ هـ).
- العلواني، حاكمية القرآن الكريم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦).
- العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ط١، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧).
- العلواني، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، دار السلام، القاهرة ، ط١، (٢٠١٠).
- العلواني، مقاصد الشريعة، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط٢، (٢٠٠٥).

- العلواني، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط ١، (١٩٩٦).
- العلواني، معالم في المنهج القرآني، (حوار مع العلواني -تقديم صباح البرزنجي)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العراق. ط ١، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩).
- مقالات العلواني، موقع اكااديمية العلواني للدراسات القرآنية، <http://alwani.org>، والمكتبة الالكترونية للعلواني مقالات غير منشورة. (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة)

- العلواني، انا مسلم.
- العلواني، طه جابر، حلقة من حلقات عمود العلواني، السيرة الذاتية، مقالة صوتية.
- العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد.
- العلواني، عز العلماء
- العلواني، تدبر سورة الفاتحة
- العلواني، التدبر وسيلتنا لفهم القرآن الكريم
- العلواني، العلواني، التلاعب بمفاهيم قرآنية
- العلواني، مداخل مراجعة القرآن الكريم
- العلواني، بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن العليا
- العلواني، أيام حياتي بين النيل والرافدين والبوتوماك، التجربة المرة، (٢٠١٢).
- العلواني، أيام حياتي بين النيل والفرات والبوتوماك، (٢٠١٢)
- العلواني، التوحيد ومبادئ المنهجية.
- العلواني، الجمع بين القرآنيين والمنهج التوحيدي للمعرفة.
- العلواني، المقاصد الشرعية العليا الحاكمة (التوحيد-التزكية-العمران).
- العلواني، المقاصد العليا الحاكمة وتفعيلها.
- العلواني، مفهوم الأمة ووقائعها.
- العلواني، وحدة الأمة.
- العلواني، الأمة والافتتات عليها.
- العلواني، اهتمامات بأزمات الأمة وبيان سبيل حلها.
- العلواني، الإنسان هدف العمران والحضارة.
- العلواني، التعصب آفاته وأضراره.

المواقع الالكترونية:

- لبدائي، نعيمة، لغة القرآن الكريم، www.riyadhalelm.com/researches تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٥
- العلواني، رقية، تدبر سورة الأنعام، islamiyyat.com تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٩/٥/٢٤
- البوغبيش، عبد الكريم دور القرآن الكريم في تطور اللغة العربية وآدابها، ديوان العرب، <https://www.diwanalarab.com> تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٩/٣/١٠
- جعفر، خديجة، المراحل الفكرية للشيخ طه جابر العلواني، مقالة في صحيفة الحياة بتاريخ الأحد، ١٠ تموز ٢٠١٦،
- حفل تأبين الشيخ الراحل طه جابر العلواني، (٢٠١٦)، العراق، قناة الشرقية، <https://www.facebook.com/sharqiyatv/photos> استرجعت بتاريخ ٢٠١٧/٦/٦
- حوار مع د. رقية طه جابر العلواني (١٤٢٨هـ - ٢٠١٠م) fikir.com، article، تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٢
- عبد العزيز السامرائي، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org/wiki/>. تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٧/٦/٥
- حفل تأبين المرحوم الدكتور طه جابر العلواني، امريكا، اذاعة صوت الجالية، بتاريخ، ٢٠١٦، ٣، ٣١. تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٠
- العرجا، جهاد يوسف، (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤). دور اللغة العربية في وحدة الأمة.
- الشعراوي، محمد متولي، خواطر الشعراوي، محاضرة صوتية
- عويمر، مولود، (٢٠١٤). (الدكتور إسماعيل الفاروقي شهيد معركة الوجود)، <https://www.oulamadz.org> تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٧/٦/٢٥
- مازي، يوسف، (٢٠٠٩). الوحدة البنائية للقرآن الكريم) التوقيت: (١١:٣٥)، <https://vb.tafsir.net>
- الملكاوي، فتحى، (نعي الدكتور طه جابر العلواني) ملتقى أهل التفسير، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦) <https://vb.tafsir.net> تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٧/٥/١١
- فرحات، إسلام، (٢٠١٦)، (العلواني مصارع في حلبة التراث)، موقع إسلام أون لاين، <https://islamonline.net> تم استرجاعها بتاريخ ٢١٠٧ /٦/١١
- البوزي، محمد، التقوى والعمران الحضاري في القرآن، (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩)، موقع الألوكة <https://www.alukah.net> تم استرجاعها بتاريخ ٢٠١٩/٧/١

The Great Efforts of Taha Jaber al-Alwani in the Qur'anic Studies, an Analytical Study

Done by:
Hanan Mousa Issa Abu Qaddoum

Supervised By:
Dr. Ziad Khalil Al-Daghameen

Abstract

The main objective beyond my study is to point out the great efforts of one of the pillars of a school which believes that all branches of knowledge are derived from Islam and they can be traced in Islamic studies. The eminent scholar Ilwani ,who devoted his life for the sake of the Holy Qur'an presented a series of Islamic studies aiming at reintroducing the Holy Qur'an to the Muslim nation and mankind as a harbinger and a saviour that can prevent Muslims from being led astray at a time when Islam has become susceptible to Islam.

The scholar Al-Alwani strongly believes that the only way to bring salvation to humanity comes through Qur'an by which we can overcome all obstacles that may hinder us from deep comprehension of the Holy Qur'an.

Therefore , this study is leading us towards deep meditation of the Holy Qur'an and realization of its purposes in order to reach the right way to be guided by its teaching and discover its treasures.

The study also recommends a better and right meditation of the Holy Qur'an and adopting proper methodologies to teach the Holy Qur'an in various sessions organized for teachers and preachers.